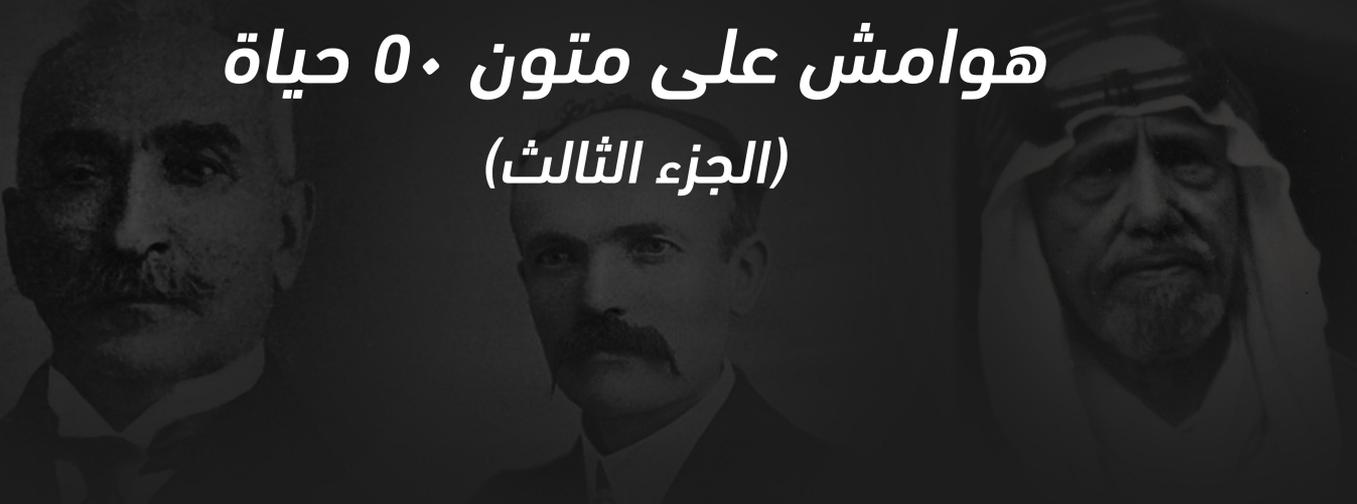


فجر عيد

# قصص ومعان

هوامش على متون 0٠ حياة

(الجزء الثالث)



# قصص ومعان

هوامش على متون 50 حياة  
(الجزء الثالث)

مجدي سعيد

الطبعة الإلكترونية الأولى

2024

الإخراج الفني: مي مجدي

## المحتويات

5	مقدمة
7	بول بيجر.. مهندس البرمجيات الأيرلندي الذي لم يستطع النوم تضامنا مع غزة
15	طارق لوباني.. وطباعة المستلزمات الطبية ثلاثيا من غزة إلى كندا
20	علي رشيد شعث.. وحكايات فلسطينية تقاوم النسيان
26	سالي روني.. الأدبية الأيرلندية التي وصفت الكيان بالفصل العنصري
30	ديرفلا ميرفي.. الرحالة الأيرلندية المعمرة المتضامنة مع فلسطين
35	تيتسو ناكامورا.. الطبيب والناشط الإنساني الياباني الذي عشق أفغانستان
41	بلقيس إدهي.. أم باكستان التي رحلت في رمضان
46	كريم الحق.. الذي أقسم ألا يدع أحدا يموت لانعدام الإسعاف
49	محمد عبدة.. وإحياء الدور النهضوي للمساجد من الولايات المتحدة
56	حسن ع شماوي.. الطبيب والداعية ومسيرة 30 عاما في زيمبابوي
61	توان جورو.. السجين السياسي الذي صار معلما وإماما للمسلمين في جنوب أفريقيا
68	أبو بكر أفندي.. مبعوث الدولة العثمانية لمسلمي جنوب أفريقيا في القرن التاسع عشر
74	أحمد عطاء الله أفندي.. قصة اغتيال أول وآخر قنصل عثماني مقيم في سنغافورة
80	أحمد ديفيدز.. رائد التأريخ الاجتماعي والثقافي واللغوي لمسلمي جنوب أفريقيا
86	عبد الله كويليام.. وأول مجتمع للمسلمين البريطانيين في ليفربول
95	يوسف سميح أصمعي.. العثماني المصري الذي أعاد الانجليز اكتشافه
100	فاطمة كيتس.. من أول النساء إسلاما في مجتمع ليفربول وربما في بريطانيا
106	محمد دوللي.. التاجر الذي أسس أول مسجد "مؤقت" في لندن عام

- 111 روبرت رشيد ستانلي.. العمدة الذي أخفت عائلته إسلامه قرنا من الزمان
- 118 يحيى باركنسون.. الأب المؤسس للشعر الإسلامي البريطاني
- 123 ويليام ويليامسون.. المغامر الذي ساقته حياة الصعلكة إلى الله
- 130 محمد مارمادوك بيكغال.. أول بريطاني مسلم يترجم القرآن الكريم
- 137 الليدي إيفيلين كوبولد.. سليلة النبلاء التي كانت أول مسلمة بريطانية
- 142 خواجه كمال الدين.. وأول بعثة إسلامية ومسجد دائم في بريطانيا
- 149 خالد شيلدريك.. الصحفي البريطاني المسلم الذي اختاره الأويغور ملكا عليهم
- 155 عبد الله يوسف علي.. صاحب الترجمة الأشهر للقرآن إلى اللغة الإنجليزية
- 162 ألكسندر راسل ويب.. مؤسس الصحافة والدعوة الإسلامية في الولايات المتحدة
- 170 كلیم صديقي.. والسعي وراء إحياء الأمة بين الدولة والحركة والثورة
- 179 فؤاد النهدي.. الحضرمي الذي قاد صحافة الجيل الثاني من مسلمي بريطانيا
- 187 زكي بدوي.. العالم الأزهري الذي ساهم في تشكيل الإسلام البريطاني
- 193 محمد باتيل.. مؤسس وأمير جماعة التبليغ في المملكة المتحدة وأوروبا
- 199 يوسف متالا.. مؤسس أول مدرسة إسلامية في المملكة المتحدة
- 205 جون براون.. الثائر في وجه العبودية والعنصرية ومن أجل الحرية وحقوق الإنسان
- 219 "علي الغياقي" وقصة تستحق أن تروى تمتد لأكثر من قرن
- 225 ليلي جناح.. سفيرة القضاء على الفقر بتمكين الفقراء
- 230 أنورادا كويرالا.. 27 عاما ضد الإتجار في البشر
- 234 سوزان سيمارد.. كيف عمقت فهمنا لشبكات الاتصال بين الأشجار والنباتات
- 239 كاتسوهيكو وشيجياتسو: عندما يجتمع العلم والخبرة مع الحكمة اليابانية القديمة

- 243 ويلي سميتس.. من علم الغابات إلى تنمية ساكنيها من إنسان وحيوان ونبات
- 250 برندون جريمشو.. رجل واحد أحيا موات جزيرة
- 255 جيم سيبولد.. وأكبر محتوى رقمي "مجاني" حول تاريخ الخرائط حول العالم
- 259 جيرات فيرماي.. رحلة الشغف والعلم من طفل كفيف إلى أكبر علماء الرخويات والأصداف
- 264 تمبل جراندين.. كيف اقتحمت عقبة "التوحد" وتخصصت في سلوك الحيوان؟
- 271 هايكه فيبر.. واستكشاف لغة وثقافة التطريز السوري والفلسطيني عبر العيون الزرقاء
- 276 روبرت إلسي.. الباحث الكندي الذي تخصص في التاريخ والثقافة والمجتمع الألباني
- 281 أناند كومار.. ومبادرته لرعاية الفقراء النابغين في الرياضيات
- 286 هاريش فيرما.. بطل تبسيط وتطوير تعليم الفيزياء في الهند
- 294 محمد علي.. والجائزة الوطنية الهندية للمعلمين لعام 2021
- 301 نجاتيلا سريداران.. الحالم بالكلمات ورحلة الشغف والإرادة والصبر على مدى ربع قرن
- 306 ماك وزارا رذرفورد.. أصغر طيارين يطوفون حول العالم بمفردهم
- 310 التعريف بالكاتب

## مقدمة

يأتي هذا الجزء الثالث من سلسلة كتب "قصص ومعان" بعد 4 أعوام من البدء فيه، كانت عزيمة الكتابة فيه تأتي وتذهب، والأفكار في اختيار شخصيات الكتاب تطوف بالعالم المجهول بالنسبة لي شرقا وغربا، فالكتابة عندي هي قبل كل شيء رحلة شخصية للتعلم واستكشاف المجهول أنقلها في أسلوب مبسط للقارئ، وبالتالي فهي ليست بحوثا علمية أكاديمية حول تلك الشخصيات، وإنما كتابات أقرب للكتابة الصحفية، إلا أنني حرصت في نهاية كل قصة منها أن أضع مصادري فيها، والتي يمكن للقارئ أن يستزيد منها حول الشخصية التي تجذبه القراءة حولها.

في الأغلب الأعم من الشخصيات التي كتبت عنها هنا أو في سائر قصص السلسلة، كنت أحرص على قراءة أكثر من مصدر، سواء أكانت مصادر متاحة على الإنترنت، أو حتى مصادر من كتب أشتريها لأتمكن من استيعاب جوانب حياة وإنجازات شخص ما قبل أن أراجع في كتابتي إلى المصادر الأخرى المختصرة، فعلت ذلك قدر المستطاع، وقدمت وختمت الحديث حول كل شخصية أكتب عنها بأفكاري ورؤيتي حولها من خلال قراءاتي.

عندما انتهيت من كتابة الخمسين قصة المخصصة لهذا الكتاب، وهو العدد الذي ارتضيته ليكون موجودا في كل جزء، قمت بإعادة ترتيب قصص الكتاب، بادئا أولا بما له ارتباط بالحدث الأبرز الذي نعيشه في غزة وفلسطين منذ 7 أكتوبر 2023، وحاولت قدر المستطاع أن يكون التنقل بين المساحات الجغرافية والموضوعية لقصص وشخصيات الكتاب انتقالا سلسا، لا يحس فيه القارئ بغربة كبيرة.

وقد كان أبرز ما تضمنه هذا الكتاب فضلا عن قصص الشخصيات التي قدمت وتقدم نضالات تنفع الناس وتحافظ على البيئة، أنني قدمت عددا لا بأس به من قصص شخصيات ساهمت في تاريخ المسلمين في كل من بريطانيا، التي حظيت بالنصيب الأكبر، كونها بلد الإقامة الحالية، فضلا عن جنوب أفريقيا، والولايات المتحدة.

وقد كان هدي من الكتابة عن جميع من كتبت هنا أن أنقل إلى القارئ المعرفة والإلهام والمتعة التي توفرها مثل هذه الرحلات الاستكشافية في تجارب وخبرات وحيوات أناس من الشرق والغرب. وأرجو أن أكون قد أفلحت في هذا.

مجدي سعيد

لندن - 25 يناير 2024



# بول بيجر

مهندس البرمجيات الأيرلندي  
الذي لم يستطع النوم تضامنا مع غزة

ويكأن الإنسان الذي يستطيع أن يظل إنسانا في هذا الزمان بضغوطه وإغراءاته، أصبح عجيبة من عجائب الدنيا، ربما لأن أمثالهم قلة - صحيح أنهم باتوا يتزايدون منذ ما بعد 7 أكتوبر 2023، ولكن ربما لأنهم ليسوا بحاجة للكلام في هذا الأمر، أو إنهم إذا صمتوا مثلهم مثل الملايين غيرهم فلن يلومهم أحد، فلا رابط يربطهم بأهل هذه القضية، ولا مصلحة ترتجى من رفع الصوت من أجلهم، بل إن الأمر المؤكد هو أن الصمت، أو حتى رفع الصوت نصره للبقاة والمتجبرين عليهم يحقق لهم الكثير من المصالح. ربما من أجل ذلك كله وأكثر، يجملي الإعجاب والتعجب دائما على محاولة الكتابة عنم اعتبرهم من "أبطال الإنسانية" من هذا الصنف من الناس.

بول بيجر Paul Biggar هو واحد من هؤلاء الناس، مهندس برمجيات، له عدة أبحاث منشورة في هذا المجال، كما أنه أحد رواد الأعمال الذين أسسوا العديد من الشركات، وطلبوا الاستثمارات في هذا المجال، أيرلندي، يقارب عمره 42 عاما، انتقل إلى سيليكون فالي، واحة شركات البرمجيات في العالم وأيقونة أمثالها من الواحات التي أنشئت في العالم لتحاكيها. إذا بحثت عنه على الإنترنت، لن تجد الكثير عن حياته، بقدر ما تجد عن شركاته وبرمجياته ونجاحاته في الحصول على تمويلاتها.

فجأة وفي يوم الخميس 14 من ديسمبر 2023، أي بعد أقل من 70 يوما من الحرب على غزة، يكتب مقالا ضافيا على موقعه بعنوان "لا أستطيع النوم".

يقول بول إنه يستلقي على سريره كل ليلة، لكنه لا يستطيع النوم لأن صور المشاهد في غزة تمنعه من ذلك، تؤرقه مشاهد معاناة أهل غزة، ووحشية الجنود المعتدين. وأنه حتى عندما يجلس للعمل في البرمجة، لا تمضي بضع دقائق قبل أن تعود صور ما يجري هناك، وأنه يجاهد لتجاوز مأساة إبادة 20 ألف إنسان، لأنه لا بد له أن يعمل.

وكما يقول فإنه كان يخشى أن يفتح تغريدات زملائه من المؤسسين والمستثمرين وشبكتته وأصدقائه ومستشاريه، كلهم يتحدث في شئون العمل، ويحاول أن يبرر لنفسه بأنهم ربما خاضعون للرقابة، ويخشون الحديث حول ما يحدث من إبادة جماعية.

وكما يقول فإن الدعاية تقتله، فمن اعتقد أنهم أصدقاؤه كانوا خاضعين لها، يتكلمون بالكثير من "الإنسانية" عنم قتلوا في 7 أكتوبر، لكنهم لا يتحدثون عنم قتلوا من يوم 8 أكتوبر وحتى اليوم، وهم 20 ألفا جراء القصف العشوائي والمتعمد. ولم يتحدث أحد أيضا عنم كانوا يقتلون في الأيام السابقة على 7 أكتوبر، ولا عن الشعب الذي ذبح منذ عام 1948، ولم يحتجوا على الاحتلال غير الشرعي ولا على الاستيطان، ولا على تجريف القرى وساتين الزيتون، لم يقولوا أي شيء عن أي من هذا.

ولم يكن لدى هؤلاء أسئلة عن سبب عيش مليوني شخص في غزة، ولا عن كيفية وصولهم إلى هناك، ولا عن تحكم إسرائيل فيما يصل إليهم من أسعار حرارية، ولا عن تحكمها في المياه والكهرباء، ولا عن كيف يمكن أن تفعل هذا دولة بشعبها، وهو حال إسرائيل، واحة التكنولوجيا، حليف الولايات المتحدة، منارة الديمقراطية في الشرق الأوسط، دولة تقتل الصحفيين، والكتاب، وتجبر أطباء وحدات حضانات الأطفال على تركهم يموتون، وتقتنص الأطفال والجدات.

يكل بول مقاله قائلاً إن أحد مؤسسي حماس عندما كان عمره 9 سنوات شهد مقتل عمه في مذبحه خان يونس، ومعه 274 فلسطينياً، وتساءل كم "حماس" يتم إنشاؤها اليوم؟

وكما يقول بول إنه عندما يقرأ عن الهولوكوست، يتخيل أنه ذلك الرجل الطيب الذي يقاتل النازيين ويحرر المعتقلين، لكن يبدو أنه لن يفعل ذلك، وأنه سيجلس مشلولاً غير قادر على فعل شيء حيال الإبادة الجماعية التي يراها كل يوم، غير قادر على التفكير بأي طريقة للمساعدة. كل ما يمكنني فعله هو إعادة التغريد والاحتجاج وكتابة مشاركة غبية في مدونة، قائلاً: أشعر بالغباء الشديد.

لم أكن مستعداً لرؤية أصدقائي ذوي القمصان البنية (المقصود من أعضاء الحزب النازي) وهم يهتفون بنشاط للإبادة الجماعية، وبالغضب، والرغبة، وحتى الحاجة، إلى الانتقام من المدنيين الأبرياء، لم أكن مستعداً لأن يكون أصدقائي حراساً لمعسكر الاعتقال، أو مسؤولين في الحزب، أو مروحين للدعاية.

فالدعاية حقيقية، ومنظمة، وواضحة، على سبيل المثال، النشر عن معاداة السامية في الجامعات لتغطية القصف العشوائي للمدنيين - ألا تشعر بالخلج. تكرار الادعاءات الإسرائيلية التي ليس لها أي دليل ولا مصداقية. إبقاء النقاش في أي موضوع مفتوحاً، باستثناء الحديث عن الفلسطينيين الذين يُقتلون في غزة، ونفي عدد القتلى لأن الأرقام نقلتها حماس.

ويستكمل بول قائلاً: بطبيعة الحال، الجميع الآن هم حماس. الطفل الذي مزقته قنبلة MK-84 هو حماس. المرأة التي تصرخ من أجل أختها، وهي تحفر تحت الأنقاض - حماس. اليتيمة البالغة من العمر تسع سنوات، وهي الآن الوالد الوحيد لأخيها البالغ من العمر 4 سنوات. كلاهما حماس.

أحياناً أحسب عدد الأشخاص الذين قتلهم الضرائب التي أدفعها، ربما يكون قد تم استخدامها لشق الطرق أو الرعاية الصحية، لكن ربما أيضاً قد اشتريت بها قنبلة العام الماضي ودمرت مبنى سكنياً في خان يونس، وربما قتلت 50 شخصاً.

يواصل المستثمرون النشر. يعترضون على عبارة "من النهر إلى البحر" لأنهم يحذفون بشكل ملائم عبارة "فلسطين ستحرر"، ويلغي التيك توك تعليم الأطفال التاريخ بدلا من الدعاية الأمريكية والإسرائيلية.

إنهم يواصلون نشر أي شيء يبعد عينك عن الركام الذي أصبحت عليه غزة وعن درب الدموع إلى الصحراء الخالية، الذي قصف وتم إطلاق النار أثناء السير فيه، أي شيء

لتجنب ذنبهم في هذه الإبادة الجماعية. إنهم ينشرون الأعلام الإسرائيلية على تويتر بينما تسقط إسرائيل قنابلها على غزة، إنهم يحتجون على وقف إطلاق النار. إنهم يحتجون على وقف إطلاق النار اللعين.

لا أعرف ماذا أفعل، لكنني أعلم أن هؤلاء ليسوا شعبي. هؤلاء الذين يعملون على تبييض وجه الإبادة الجماعية. هل من المفترض أن نتظاهر بأن الأمور تسير كالمعتاد عندما نرسل مقدمات لأصدقاءنا، ونمرح في المؤتمرات، وناقش استراتيجية تحقيق الدخل؟

بعد ذلك يتوجه بول بيجر بالاسم الأشخاص والكيانات الداعمة لشركاته وأعماله واستثماراته قائلا: أشعر بانحلال من أن هؤلاء هم من أكبر الداعمين لي على مر السنين، الأشخاص الذين استثمروا فيّ مرتين، الأشخاص الذين ساعدوني والذين نصحوني. لا أستطيع العمل مع الأشخاص الذين يقومون بتبييض عملية قتل، الأشخاص الذين يعرفون ما يحدث، والذين يتسترون عليه، والذين يدعمون الجيش الإسرائيلي والإدارة الأمريكية التي تسمح به، والتي تموله.

لقد كان السابع من أكتوبر حدثا فظيعا، وهكذا كان كل يوم منذ ذلك الحين. لقد قُتل 20 ألف فلسطيني بالقنابل الإسرائيلية العشوائية والمتعمدة.

لقد حدثت الفظائع قبل وقت طويل من السابع من أكتوبر أيضا. ولم يكن الاحتلال سرا. ويقتل المئات من الفلسطينيين كل عام منذ النكبة. والباقون ظلوا تحت الحذاء الإسرائيلي، وجردوا من حقوقهم وبيوتهم وكرامتهم.

ساستهم يغردون عن الفلسطينيين وكأنهم ليسوا بشرا. يناقشون الأمور وكأن حياتهم لا تهم. يسمونهم "الحيوانات". لقد قتلوا الآلاف من الفلسطينيين، ويعطون كل المؤشرات على أنهم سيواصلون الإبادة الجماعية.

وهم يقولون ذلك بصوت عال، أستطيع أن أرى ذلك، وكذلك يمكن أن يرى إد ومايكل ومات وإريكا (بعضاً من الأسماء التي توجه إليها برسالته). إنهم ببساطة يختارون عدم القيام بذلك.

لا يكتفي بول بالقول، بل إنه يقدم مجموعة من الإجراءات التي يجب عملها قائلًا:

لقد خلق المستثمرون المؤيدون لإسرائيل ثقافة الخوف في مجال التكنولوجيا حيث يشعر أنصار الحرية الفلسطينية بعدم القدرة على رفع أصواتهم. لقد تحدثت إلى العديد من الأشخاص في مجال التكنولوجيا الذين يخشون أنهم إذا تحدثوا، فلن يتمكنوا من جمع تمويل في جولتهم التالية، وسيخسرون 5 إلى 10 سنوات من العمل في مشروعهم، لصالح عائلاتهم وموظفيهم.

يجب علينا أن نكسر جدار الصمت حول الإبادة الجماعية في غزة. أعلم أن هذا طلب كبير. أعلم أن هناك مخاطر كبيرة، وهذا ليس خطأك. ولكن مع ذلك، لا يمكننا أن نستمر في التواطؤ في هذه الإبادة الجماعية.

- قبل كل شيء، سم الأشياء بأسمائها. قل علنا ما تراه يحدث، وقل إن ما تفعله إسرائيل والولايات المتحدة خطأ.

• تشعر بالصمت؟ قل ذلك!

• تمامًا كما أدلى معظم العاملين في مجال التكنولوجيا ببيانات بعنوان "حياة السود مهمة" في عام 2020، اخرجوا وقلوا فلسطين حرة #FreePalestine. ضع لافتة على موقع الويب الخاص بك.

- ثانيًا، لا تجن المال للمستثمرين الذين يبررون الإبادة الجماعية، أي الشركاء في الشركات التي ذكرها بالاسم سابقًا (Boldstart، أو DCVC، أو Harrison Metal، أو Redpoint، أو Bessemer، أو Sequoia، أو First Round).

• العاملون في مجال التكنولوجيا: لا تعمل لدى الشركات التي تحصل على تمويل من هذه الشركات. إذا كنت تعمل هناك بالفعل، فاتصل بالإدارة والمؤسسين، واطرح الأسئلة الصعبة أمام الجميع، دون الكشف عن هويتك إذا كنت بحاجة إلى ذلك. هدد بالحصول على وظيفة جديدة - في الواقع، احصل على وظيفة جديدة.

• المؤسسون: لا تأخذوا أموالاً من هذه الشركات. إذا كان لديك تمويل منها بالفعل، فاتصل بشريكك لتسجيل انزعاجك، واطلب منه سحب الاستثمار. امنعهم من الاستثمار في جولات لاحقة.

- احضر الاحتجاجات: ابحث عن الصوت اليهودي المحلي (الولايات المتحدة) من أجل السلام أو الاحتجاج الدولي.

- اتصل بممثلك وعضو مجلس الشيوخ

- تابع الصحفيين والمصادر الفلسطينية لتتابع ما يحدث في غزة بأعينهم.

- أخيراً، يرجى مشاركة هذا المنشور أو منشوري على منصات التواصل الاجتماعي:

.Linkedin ،Bluesky ،Threads ،Mastodon ،Twitter

انتهى المقال، وبقيت كلمة: هذا المقال هو مواجهة صريحة وعلنية للوبي الصهيوني في الولايات المتحدة، وللوبي الصهيوني في أوساط شركات التكنولوجيا، ومن ثم فإنه تضحية كبيرة بكل ما حققه بول بيجر طوال حياته المهنية من أجل أن يمارس إنسانيته في قول الحق في وجه الظلم المستمر منذ أكثر من 70 عاماً.

طالع مقال بول بيجر على مدونته الشخصي:

[https://blog.paulbiggar.com/i-cant-sleep/?fbclid=IwAR0X5FnYxpX3NwPY\\_8WNhI9K4wZ-](https://blog.paulbiggar.com/i-cant-sleep/?fbclid=IwAR0X5FnYxpX3NwPY_8WNhI9K4wZ-)

[WOHkmLHSud3VieEFC6Um6amc130L5gk](https://www.linkedin.com/company/paulbiggar)

طالع حوارا مع بول بيجر في "بزنس بوست" عندما حصل عام 2016 على تمويل لشركته مقداره 18 مليون دولار، بينما كان قد بدأ وشريك له بداية بسيطة ومتواضعة في مساحة عمل مشتركة قبلها بسنوات:

<https://www.businesspost.ie/more-business/making-it-big-in-silicon-valley/>



# طارق لويباني

وطباعة المستلزمات الطبية ثلاثيا  
من غزة إلى كندا

قلنا سابقا ونقول مجددا أن خير التطوع ما كان استثمارا لتخصصك وخبراتك ومهاراتك، أي اختصارا للتطوع بما تحسنه وتجيده، فإذا جمع الإنسان إلى تخصصه المهني مهارات تضيف إلى مهنته، وكان لديه فوق ذلك كله هما إنسانيا ووطنيا، إذا كان كل ذلك كذلك، فإن من خير النماذج التي تجمع ذلك الطبيب الفلسطيني الكندي طارق لوباني الأستاذ المساعد لطب الطوارئ في جامعة "ويست أونتاريو" في كندا.

ظهر اسم لوباني في الأخبار ضمن متابعة وسائل الإعلام لجهود مكافحة العدوى بفيروس كورونا المستجد. حيث استثمر معرفته بفنون التصميم والطباعة ثلاثية الأبعاد ليقوم بطباعة 200 من دروع الوجه المخصصة للطواقم الطبي لزملائه في المستشفى الجامعي، كبداية لتوسيع دائرة حماية الأطقم الطبية في كندا من أضرار العدوى بالفيروس.

يقول لوباني فيما نقله موقع راديو سي بي سي كندا بتاريخ 19 مارس 2020 "عندما بدأنا نشهد زيادة في الأرقام (الخاصة بكورونا)، أصبح من الواضح أن كندا سيكون لديها نفس المسار مثل أي مكان آخر"، "حينها أدركنا أنه إذا كانت واقيات الوجه ومعدات الحماية الشخصية الأخرى تنفذ لدى الجميع، فإنها كذلك ستفعل هنا".

لذلك لجأ لوباني إلى مؤسسته الخيرية الدولية "مشروع جليا Glia Project"، التي تنتج لوازم طبية منخفضة التكلفة، بالطباعة ثلاثية الأبعاد مثل السماعات وسدادات الأوردة، لمناطق النزاع والمناطق الفقيرة.

عمل لوباني وزملاؤه في المؤسسة على تصميم درع للوجه يمكن طباعته بالملئات، وهي مصنوعة من البلاستيك، وتتميز بالمرونة، وتغطي الوجه بالكامل، وتحمي الأنف والعينين من القطرات التي قد تحتوي على فيروس كورونا المسبب لمرض COVID-19. ويمكن

استخدام الدروع التي أنتجتها مؤسسة جليا بالإضافة إلى، أو كبديل، لأقنعة الوجه N95 التي عادة ما يرتديها العاملون في مجال الرعاية الصحية.

يقول لوباني "بالنظر إلى المشهد الحالي، فإن هذا يعد حقا فوزا لنا [يقصد طباعة القناع] حيث لم يصبح على أي من زملائي القلق بشأنه، لقد كان هذا وعدا قطعه على نفسي لصالح زملائي، وسرعان ما سيصبح هذا وعدي الذي أقطعه لجميع العاملين في مجال الرعاية الصحية في كندا".

يقول لوباني إنه يأمل في التواصل مع أشخاص آخرين في جميع أنحاء كندا ممن لديهم إمكانية الوصول إلى الطابعات ثلاثية الأبعاد، قائلا "إذا كان أي شخص يعاني من عدم توافر أقنعة الوجه هذه، كما تتوقع، أو إذا كانوا يتوقعون عدم توافرها، فنحن منفتحون لمساعدة أي شخص في أي مكان في كندا على تصنيع أقنعة خاصة بهم"، و"نعتقد أنه يمكننا تجنيد الكثير من الأشخاص الأذكياء والمجتهدين باستخدام الطابعات ثلاثية الأبعاد والتأكد من أنهم يشغلون الأجهزة (الطابعات ثلاثية الأبعاد) على مستوى قياسي".

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي يظهر فيها اسم طارق لوباني، فقد اعتاد أن يتردد على قطاع غزة لتقديم العون الطبي (كونه متخصص في طب الطوارئ)، ومع تعرض القطاع لأكثر من عدوان إسرائيلي أسس لوباني مؤسسته "مشروع جليا" أثناء تقديمه للدعم الطبي في غزة أثناء عدوان 2012.

وفي عام 2015 بدأ لوباني من خلال مؤسسته طباعة المستلزمات الطبية التي يحتاجها قطاع غزة المحاصر منذ عام 2007، مثل السماعات التي لا تتجاوز تكلفة الواحدة منها 2.5 دولار وممسكات الإبر needle drivers، ومقياس تأكسج النبض pulse oximeters، وغيرها من التجهيزات.

يقول لوباني فيما نقله عنه تقرير موقع "ثري دي برنت" بتاريخ 10 سبتمبر 2015: تتمثل إحدى مزايا تقنية الطباعة ثلاثية الأبعاد، كما نراها بشكل متكرر، في قدرتها على تصنيع العناصر الضرورية عند الطلب وفي الموقع للمناطق الأكثر احتياجا لها".

وبالنسبة للطباعة ثلاثية الأبعاد في غزة فقد تم تجميعها محليا هناك، وتمكن د. لوباني من ربط المكونات المطبوعة ثلاثية الأبعاد معا لصناعة السماعات، حيث كان يشرف بنفسه في غزة على صناعة أول تلك السماعات مفتوحة المصدر، والتي تفوق بشهادة واحد من أساتذة طب الطوارئ في المستشفى التي يعمل بها لوباني في كندا: أنها تضارع أحدث أشهر ماركات السماعات في العالم (ليتمان كارديولوجي 3).

وكما قال الدكتور لوباني للموقع ذاته "أنا سعيد للغاية لأن المرضى في غزة والمرضى في جميع أنحاء العالم يمكنهم الآن، باستخدام هذه السماعات الطبية، الحصول على أفضل رعاية ممكنة".

ولا تكتمل القصة إلا بذكر أنه في عام 2018 كان الدكتور طارق لوباني قد أصيب برصاصتين في قدميه بينما كان يقدم الإسعافات الطارئة للمتظاهرين بالقرب من الحدود بين قطاع غزة وفلسطين المحتلة (إسرائيل)، وذلك بعدما استهدفه قناص إسرائيلي، وذلك على الرغم من أنه وباقي أطعم الإسعاف الطبي كانوا يرتدون سترات مميزة وبادية للعيان.

كل يوم تقدم لنا أزمة انتشار وباء كورونا المستجد أبطالا للإنسانية، ولا شك أن الدكتور طارق لوباني هو أحد هؤلاء الأبطال.

لمصدر المعلومات والمزيد منها طالع تقرير راديو سي بي سي:

<https://www.cbc.ca/radio/asithappens/as-it-happens-thursday-edition-1.5502954/canadian-doctor-who-works-in-gaza-3d-prints-face-shields-for-covid-19-pandemic->

[1.5502964?\\_\\_vfz=medium%3Dsharebar&fbclid=IwAR3yFbXzBJANQ3jzDiyJv6I91MKCKOh6IPISKYPTtP-PWg491FFfAvN\\_O18](https://www.facebook.com/1.5502964?__vfz=medium%3Dsharebar&fbclid=IwAR3yFbXzBJANQ3jzDiyJv6I91MKCKOh6IPISKYPTtP-PWg491FFfAvN_O18)

وطالع تقرير موقع ثري دي برنت:

<https://3dprint.com/95097/project-glia-gaza-strip/>

وطالع الويكيبيديا:

[https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B7%D8%A7%D8%B1%D9%82\\_%D9%84%D9%88%D8%A8%D8%A7%D9%86%D9%8A](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B7%D8%A7%D8%B1%D9%82_%D9%84%D9%88%D8%A8%D8%A7%D9%86%D9%8A)

[https://en.wikipedia.org/wiki/Tarek\\_Loubani](https://en.wikipedia.org/wiki/Tarek_Loubani)

وطالع صفحة حملة مؤسسة مشروع جليا لدعم غزة:

[https://www.launchgood.com/campaign/rebuild\\_gaza\\_help\\_repair\\_and\\_rebuild\\_the\\_lives\\_and\\_work\\_of\\_our\\_glia\\_team/!#](https://www.launchgood.com/campaign/rebuild_gaza_help_repair_and_rebuild_the_lives_and_work_of_our_glia_team/!#)

وطالع موقع مشروع جليا:

<https://glia.org/>



# علي رشيد شعث

وحكايات فلسطينية تقاوم النسيان

" أيتها الغاليةُ سميحة "

.. صليتُ فجرَ الإثنينِ حاضراً وقرأتُ ما تيسَّرُ من كتابِ اللهِ الكريمِ، ثم انحدرتُ إلى المطارِ في الطائرة التي سارتُ باسمِ اللهِ في الثامنةِ ميممةً شَطْرَ بيتِ المقدسِ.. قلبِ الوطنِ الغاليِ.. وأنا أُردِّدُ قوله تعالى: "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ".. أُردِّدها وأنا أركبُ الهواءَ وأشقُّ الأَجْواءَ قَدَمًا نَحْوَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى في يومِ إسرائِ الرسولِ الكريمِ.. فما أَسْعَدَنِي مُسْلِمًا عَرَبِيًّا يُوجِّهُهُ اللهُ وَجْهَةَ الْوَطَنِ الْعَزِيزِ وَمَسْجِدِهِ الْأَقْصَى كَمَا وَجَّهَهُ مِنْ قَبْلِ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ.. وما أعظمَ حَظِّي غَائِبًا يَعودُ لوطنِهِ الْحَبِيبِ في يَوْمِ سَعِيدٍ مَبَارِكٍ.

نعم.. ها أَنَذَا أَعُودُ يا سَمِيحَةً إلى وَطَنِي الْحَبِيبِ بَعْدَ أَنْ غَبْتُ عَنْهُ حِقْبَةً طَوِيلَةً تَكَادُ تَبْلُغُ التَّسْعَ سِنُواتٍ عَصَفَتْ خِلالَهَا بِه الْعِوَاصِفُ الْعَاتِيَةُ.. نعم ها أَنَذَا أَعُودُ إلى وَطَنِي الْمَجْزَأِ الْمُحَطَّمِ، الذَّلِيلِ الْمُتَخَنِّ بِالْجِراحِ لِأَراهِ حَزينًا، مُنْكَسَّ الرَأْسِ بَعْدَ أَنْ جَرَدَهُ عَدُونًا مِنْ يَافَا وَاللِّدِّ وَالرَّمْلَةِ وَصَفَدَ وَحيفا وَالناصرة - مَرابِجِ الطُفُولَةِ وَمَسارِحِ الشَّبابِ.. فما أَشَدَّ مَرارةَ عَودَتِكَ يا عَلِيٌّ! وما أَقساها على نَفْسِكَ التي كَثِيراً ما مَنَيْتَها بِيَوْمِ النِّصْرِ وَساعةِ الْخِلاصِ وَالتَّحَرُّرِ"..

هذا مقتطف من رسالة من عشرات الرسائل التي كتبها "علي رشيد شعث" أحد رجالات التعليم ثم العمل المصرفي الفلسطيني إلى زوجته "سميحة" في 27 مارس من عام 1955 متحدثاً فيها عن أول زيارة له لوطنه بعد ثماني سنوات من الغربة القسرية عنه واصفاً فيها مشاعره ومشاهداته ولقاءاته وانطباعاته عن تلك الزيارة.. فمن هو علي رشيد شعث، وما هي قصته وقصة رسائله العائلية؟

ولد علي رشيد شعث عام 1908 لأسرة فلسطينية من عموم أهل غزة، لكنها ما لبثت أن انتقلت إلى القدس بسبب المعرك التي نشبت في غزة بين القوات البريطانية وقوات الدولة العثمانية عام 1915 في إطار الحرب العالمية الأولى، وفي القدس أنهى "علي" الدراسة

الثانوية عام 1925 في مدرسة الكاردينال فراري (أكاديمية ترانسنطة فيما بعد)، ولتفوقه في الكيمياء تأهل للحصول على منحة للدراسة في الجامعة الأمريكية في بيروت، والتي كانت تشترط أن يقوم أحد بضمان أن الطالب سيعود للعمل في فلسطين، وهو ما قام به معلمه في المدرسة، ومن ثم أنهى "علي" دراسة العلوم في الجامعة عام 1929، حيث عمل بالتعليم على مدى 18 عاماً، ترقى فيها من العمل كمعلم، إلى مدير لمدرسة عكا، ثم مدير لمدرسة صفد، ثم مدير لمدرسة الخليل، ثم مدير لمدرسة العامرية، والتي استقال من إدارتها عام 1947 احتجاجاً على فصل سلطات الاحتلال البريطاني حينئذ لبعض طلابه ومعاينة عدد من المعلمين نتيجة مشاركتهم في التظاهر ضد الاحتلال، وهو القرار الذي حاول "علي" أن يمنعه، ولما فشل، قدم استقالته احتجاجاً عليه، وذلك على الرغم من أن العمل التربوي والتعليمي كان واستمر، العمل الأقرب إلى قلبه.

وفي نفس عام استقالته، عرض عليه رجل الأعمال الفلسطيني عبد الحميد شومان أن يقوم بتأسيس أول فرع للبنك العربي في الإسكندرية، وهو الذي أسسه شومان في فلسطين عام 1930، ومن ثم سافر "علي" وأسرته إلى الإسكندرية حيث قام بتأسيس وإدارة أول فرع للبنك العربي خارج فلسطين، ومن هناك بدأ الفصل الثاني من حياته في العمل المصرفي والذي استمر حتى وفاته في سبتمبر من عام 1967 حزناً على الهزيمة العربية في حرب يونيو 1967.

قضى "علي" شطراً من حياته المصرفية في الأردن في الخمسينيات من القرن العشرين، وقد استمر في العمل بالبنك العربي إلى أن انتقل في أوائل الستينيات للعمل في بنك الرياض بالسعودية، ثم عاد إلى الإسكندرية في مصر حيث توفي.

أنجب علي 5 من الأبناء، أكبرهم نبيل (الدكتور نبيل شعث وزير خارجية السلطة الفلسطينية في فترة الرئيس الراحل ياسر عرفات)، وميسون وهي خريجة آداب الإسكندرية قسم اللغة الإنجليزية، وقد شاركت في النضال الاجتماعي للمرأة الفلسطينية

من خلال الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية، ونهى ونديم، وزينب وهي أصغر أبنائه التي قامت بالغناء والتلحين والعزف على الجيتار في شبابه دعماً للقضية الفلسطينية.

كان "علي رشيد شعث" قارئاً نهما منذ صغره، لكنه لم يترك أعمالاً مكتوبة ومنشورة - فيما نعلم - سوى كتاب صغير في الثقافة العلمية صادر عن المكتبة العصرية في يافا، في إطار سلسلة "الثقافة العامة" عام 1947 وعنوانه "من البنسلين إلى القنبلة الذرية"، لكنه ترك تراثاً ضخماً من الرسائل العائلية التي أرسلها إلى والدته، ثم إلى زوجته، وأبنائه في كل مرحلة من مراحل اعتراجه عنهم، وهي الرسائل التي تميزت بالأسلوب الأدبي الرشيق، والوصف الإثنوجرافي العميق والدقيق، والحس الفكاهي والتذوق الأدبي والفني حيث كان من محبي الموسيقى، ومن متابعي السينما، وكما تصف حفيدته "سمر دويدار" فإن رسائله كنز معرفي ليس فقط عن وطنه الحبيب فلسطين، ولكن عن البلدان التي زارها وعاش فيها وهي الأردن والسعودية فضلاً عن إيطاليا والولايات المتحدة والتي زار كلا منها في إطار عمله المصرفي. كما تميزت رسائله بأسلوبها السردي القصصي الممتع الذي استخدم فيها أساليب الذاكرة الرجعية التي كثيراً ما تستخدم في الأدب والسينما. وكما تؤكد "سمر" فإن شيئان بقيا دائماً حاضراً في رسائل جدها، الأول ذكرياته عن فلسطين وحينه إليها، والثاني حينه إلى العمل التربوي والتعليمي.

هذه الرسائل - أو جزء منها على الأقل، وهو الموجه لزوجته وابنته ميسون - كان الكنز الذي اكتشفته الأستاذة سمر دويدار عام 2019، التي عملت فترة في مجال الإعلام وإدارة المشروعات التنموية. وتعود قصة اكتشاف تلك الرسائل إلى عام 2018، حينما كانت سمر تحضر تدريباً على الكتابة الإبداعية، وأرادت أن تكتب عملاً أدبياً عن حضور فلسطين في وجدان الجيل الثالث من الزيجات المختلطة، ومن ثم بدأت في التواصل مع سيدات فلسطينيات تزوجن من غير الفلسطينيين - مثل والدتها ميسون - التي تزوجت من مصري وعاشت في القاهرة، ومن أجل روايتها تلك أجرت سمر العديد من المقابلات

في عدة بلدان عربية وأجنبية، إلى أن دفعت لها أمها برسالة من رسائل جدها، ثم بصندوق كامل يحوي عددا من الأوراق يصل عددها إلى 400 رسالة ومستند وبرقية، ومنذ حصولها على هذا الكنز في سبتمبر من عام 2019 انقلبت حياتها، وتحورت حول تلك الرسائل، فقرأتها رسالة رسالة، ووثيقة وثيقة، وعملت مع صديقة لها على تصنيفهم وتوثيقهم وتصويرهم، وأرشفتهم. ومن ثم تحركت ببعض منهم في معارض في كل من بريطانيا والولايات المتحدة ومصر.

تحلم "سمر" بأن تستطيع إصدار كتاب عن تلك الرسائل، كما تحلم بأن تستطيع إنتاج أفلام وثائقية عما بها من كنوز معرفية وحكايات وطنية، لكنها ارتأت أن تخرج أولا من انغماسها في تلك الرسائل العائلية والتي تؤرخ لفلسطين وللبلاد التي زارها جدها إلى أفق أرحب يتيح للأجيال المتعاقبة من العائلات الفلسطينية أينما كانت أن تجد أرشيفاتها متاحة، تؤرخ للوطن، وتورث القضية للأجيال الجديدة منه، وتكون أداة في النضال من خلال حفظ الذاكرة، ومن خلال أنشطة "الدبلوماسية الشعبية" دافعا عن الحق الفلسطيني، ومن ثم أسست بمساعدة عدد من شباب المتطوعين موقع "حكايات فلسطينية"، الذي تم تدشينه رسميا يوم 18 يونيو 2023، والذي يقدم متحفا وطنيا لأرشيفات الرسائل والصور والوثائق في "ذاكرة تقاوم النسيان"، والذي يقول في تعريفه لنفسه " كل حكايات الأجداد التي وصلتنا فقدت جزءا منها في كل مرة تُلئت فيها. لكننا هنا والآن وبأدوات عصرنا بإمكاننا التغلب على هذه العقبة وإنقاذ ذاكرتنا، بأن نتشارك لنجمع قطع البازل من حكايات كل الأجداد لنرسم صورة كبيرة لذاكرة تقاوم النسيان".

"حكايات فلسطينية" إذا مشروع عصري يقدم سردية وطنية موثقة لوطن سيعود إلى أهله مهما طال الزمن، طالما بقي حيا في وجدان أهله، بل وفي وجدان الأمة جمعاء.

طالعوا المقال على موقع حكايات فلسطينية:

[https://www.palestinianstories.com/article/aaly-rshyd-shaath-ohkayat-flstyny-tkaom-alnsyan?fbclid=IwAR04\\_CXwM4EbAe2VwSvrFSqtk-nGeURU-YYJDbsn5Xq3Mr1lwB9oBULnmX8](https://www.palestinianstories.com/article/aaly-rshyd-shaath-ohkayat-flstyny-tkaom-alnsyan?fbclid=IwAR04_CXwM4EbAe2VwSvrFSqtk-nGeURU-YYJDbsn5Xq3Mr1lwB9oBULnmX8)

وتصفحوا الموقع لتتعرفوا على المزيد:

<https://www.palestinianstories.com/?fbclid=IwAR2PZkgvCHFk94Nc7s7MzIr7lQ5rthS47iI9XWfGgEvFSHDCXCR1KpZQVt0>

وتابعوا صفحته على الفيسبوك:

<https://www.facebook.com/palestinianstoriesofficial>



على مدى تاريخنا المعاصر، تكررت اعتداءات الكيان على شعب فلسطين مرارا وتكرارا، ولم يبدأ تاريخ هذه الاعتداءات في 7 أكتوبر 2023، وإنما سبقتها جولات من العدوان. وقد ساهم عصر السماوات المفتوحة من فضائيات وإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي رغم سياسات الحجب والتقييد الحالية في وصول تلك الاعتداءات إلى الناس، وهو ما أثمر عن تزايد تضامن من وصفتهم بيانات المقاومة في العدوان الحالي بـ"أحرار وشرفاء العالم"، وفي الجولة السابقة من العدوان، سجلت الأديبة الأيرلندية الشابة سالي روني مواقف مشرفة لها، أولا عندما ساهمت في التوقيع على بيان يصف الكيان بالفصل العنصري، وثانيا عندما رفضت أن يقوم ناشر من الكيان الصهيوني بترجمة إحدى رواياتها إلى العبرية.

وسالي روني Sally Rooney هي أديبة وكاتبة أيرلندية ولدت في فبراير من عام 1991، تنوعت أعمالها بين القصة القصيرة والرواية وكتابة السيناريو والشعر والمقال. درست سالي الإنجليزية في جامعة "ترينيتي كوليدج دبلن"، ثم حصلت على درجة الماجستير في الأدب الأمريكي من نيويورك.

بدأت محاولاتها في الكتابة وهي في سن الخامسة عشرة، وبدأت نشر أعمالها في المرحلة الثانوية في مجلة "ذا ستينجج فلاي"، ونشرت أولى رواياتها بعنوان "محادثات مع الأصدقاء" عام 2017، ثم نشرت روايتها الثانية "أناس عاديون" عام 2018، وهي الرواية التي ترجمت لـ46 لغة، وأخيرا جاءت روايتها الثالثة "أيها العالم الجميل، أين أنت" عام 2019.

وقد نشر لها غير الروايات مجموعات قصصية ومقالات، وتم تحويل بعض أعمالها الروائية إلى مسلسلات عرضت على شاشات الي بي سي وغيرها. وحصلت على عدة جوائز عن أعمالها من عدة جهات.

في 12 أكتوبر من عام 2021، وبعد 5 أشهر من العدوان الإسرائيلي على غزة، أعلنت سالي رفضها عرضاً تقدمت به دار نشر إسرائيلية لترجمة روايتها الثالثة إلى العبرية.

في بيانها، وبحسب ما أشار إليه تقرير نشر يومها في صحيفة الجارديان، أوضحت روني قرارها، وكتبت أنه على الرغم من أنها "نفورة جداً" بترجمة رواياتها السابقة إلى العبرية، إلا أنها في الوقت الحالي "اختارت عدم بيع حقوق الترجمة هذه إلى دار نشر مقرها إسرائيل".

وأعرب البيان عن رغبتها في دعم حركة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات (BDS)، وهي حملة تعمل على "إنهاء الدعم الدولي لقمع إسرائيل للفلسطينيين والضغط على إسرائيل للامتثال للقانون الدولي".

وأضاف البيان أنه "في وقت سابق من هذا العام، نشرت منظمة هيومن رايتس ووتش الدولية تقريراً بعنوان "تجاوز العتبة: السلطات الإسرائيلية وجرائم الفصل العنصري والاضطهاد". وجاء هذا التقرير في أعقاب تقرير أصدرته أبرز منظمة لحقوق الإنسان في إسرائيل "بتسيلم"، وأكد ما ظلت جماعات حقوق الإنسان الفلسطينية تقوله منذ فترة طويلة: إن نظام الهيمنة العنصرية والفصل العنصري الذي تمارسه إسرائيل ضد الفلسطينيين يفي بتعريف الفصل العنصري بموجب القانون الدولي.

وتضيف روني "بالطبع، هناك دول كثيرة غير إسرائيل مذنبه بارتكاب انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان. وكان هذا صحيحاً أيضاً بالنسبة لجنوب أفريقيا خلال الحملة ضد الفصل العنصري هناك. وفي هذه الحالة بالذات، فإنني أستجيب لدعوة المجتمع المدني الفلسطيني، بما في ذلك جميع النقابات العمالية الفلسطينية الكبرى ونقابات الكتاب.

ومضت في الاعتراف بأن الجميع لن يتفقوا معها، لكنها لا تشعر أنه سيكون من الصواب التعاون مع شركة إسرائيلية "لا تتأى بنفسها علناً عن الفصل العنصري وتدعم الحقوق التي نصت عليها الأمم المتحدة للشعب الفلسطيني".

"لا تزال حقوق الترجمة إلى اللغة العبرية لروايتي الجديدة متاحة، وإذا تمكنت من إيجاد طريقة لبيع هذه الحقوق تتوافق مع الإرشادات المؤسسية لحركة المقاطعة، سأكون سعيدة ونخورة جداً للقيام بذلك. وفي غضون ذلك، أود أن أعرب مرة أخرى عن تضامني مع الشعب الفلسطيني في نضاله من أجل الحرية والعدالة والمساواة.

قبل ذلك، وأثناء العدوان على الفلسطينيين في المسجد الأقصى وحي الشيخ جراح وأخيرا على غزة في أبريل ومايو من عام 2021، وقعت الأدبية على رسالة جماعية ضد الفصل العنصري، دعت إلى "الوقف الفوري وغير المشروط للعنف الإسرائيلي ضد الفلسطينيين"، وطلب من الحكومات "قطع العلاقات التجارية والاقتصادية والثقافية".

ومع استمرار وتكرار اعتداءات الكيان الصهيوني على أهلنا في فلسطين، من المتوقع أن تزداد حالة تضامن "أحرار وشرفاء العالم" بالرغم من محاولات إسكات الأصوات رغبا ورهبا.

طالع تقرير الجارديان:

<https://www.theguardian.com/books/2021/oct/12/sally-rooney-beautiful-world-where-are-you-israeli-publisher-hebrew>

والتعريف بسالي روني على ويكيبيديا:

[https://en.wikipedia.org/wiki/Sally\\_Rooney](https://en.wikipedia.org/wiki/Sally_Rooney)

# ديرفلا ميرفي

الرحالة الأيرلندية المعمرة  
المتضامنة مع فلسطين

في يوم 23 مايو من عام 2022، وفي اليوم التالي لوفاتها مباشرة عن عمر ناهز التسعين عاماً، نعتهما صفحة "حملة التضامن الأيرلندية مع فلسطين (IPSC) على الفيسبوك قائلة: امرأة رائعة، مسافرة جريئة وراكبة دراجات، كاتبة قوية وحليف قوي للشعب الفلسطيني وداعية لحملة المقاطعة. عاشت ديرفلا ميرفي Dervla Murphy في مخيم بلاطة للاجئين بالضفة الغربية المحتلة وقضت بعض الوقت في غزة، وألفت كتابين عن الفترة التي قضتها في فلسطين: الأول بعنوان "شهر على البحر: لقاءات في غزة"، والثاني بعنوان "بين النهر والبحر: لقاءات في إسرائيل وفلسطين".

تقول ديرفلا عن تجربتها في فلسطين المحتلة "من بين جميع البلدان التي زرتها، كان هذا هو البلد الوحيد الذي شعرت أنه من واجبي الفعلي ككاتبة ألا أكون محايدة. ألا أعب لعبة "نحن هذا، نحن ذلك؛ يجب أن ننظر إلى هذا، يجب أن ننظر إلى ذلك". يجب ألا نفعل ذلك. يجب أن ننظر فقط إلى حقيقة أن الفلسطينيين يعاملون معاملة شائنة".

ولدت ديرفلا في مدينة ليسمور إحدى مدن مقاطعة ووترفورد في جمهورية أيرلندا عام 1931، وعشقت السفر والترحال وركوب الدراجات منذ صغرها، ويبدو أن شغفها ذلك جذب أنظار أسرته فأهدوها في عيد ميلادها العاشر دراجة مستعملة وأطلس، وحينها حلت بأن تسافر بدراجتها من أيرلندا إلى الهند.

لكن أسفار ديرفلا الخارجية لم تبدأ إلا في سن العشرين عندما سافرت عامي 1951 و1952 إلى كل من بلجيكا وألمانيا وفرنسا، ثم إلى إسبانيا عامي 1954 و1956، وبدأت نشر مقالات عن رحلاتها في صحيفتي "هايبيرنيا" Hibernia، و"أيريش إنديبندانت" Irish Independent.

ولم تبدأ رحلاتها الطويلة إلا بعد رحيل والديها عامي 1961 و1962، ففي عام 1963 انطلقت ميرفي في أولى رحلاتها الطويلة بالدراجة من أيرلندا إلى الهند لتحقيق بها حلمها، وعن رحلتها تلك كتبت أول وأشهر كتبها، والذي يحمل عنوان "بأقصى سرعة: من أيرلندا إلى الهند بالدراجة" Full Tilt: Ireland to India with a Bicycle.

ومنذ أول رحلاتها تلك لم تكتف ديرفلا بممارسة شغفها في السفر والترحال على الدراجة فقط، بل كانت تمارس أدوارا اجتماعية خلال أسفارها، فبعد وصولها إلى دلهي، تطوعت لمساعدة اللاجئين التبتيين تحت رعاية منظمة إنقاذ الطفولة. وأمضت خمسة أشهر في مخيم للاجئين في دارامسالا تديره شقيقة الدالاي لاما الرابع عشر. ولدى عودتها إلى أوروبا شاركت في حملة لدعم منظمة إنقاذ الطفولة.

طوال حياتها نشرت ديرفلا 26 كتابا في أدب الرحلات، لكن كتاباتها أخذت منذ عام 1982 تحمل طابعا سياسيا ممزوجا بذكرياتها عن رحلاتها، وذلك بعد زيارتها لأيرلندا الشمالية ولقائها بأناس من الطرفين المتنازعين حينها البروتستانت والكاثوليك، وزيارتها لمدينتي إنجليزيتين وعيشها فيهما لفترة ولقائها مع سكان من عرقيات آسيوية والأفرو-كاريبية ومن البيض، وكتابتها عن الأوضاع وأعمال الشغب في هاتين المدينتين في ذلك الوقت، كما سافرت ديرفلا على دراجتها من كينيا إلى زيمبابوي، ووصفت تأثير الإيدز؛ وانتقدت دور المنظمات غير الحكومية في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى. وتناولت كتاباتها الأخرى تداعيات الفصل العنصري في جنوب أفريقيا، والإبادة الجماعية في رواندا، وتشريد الشعوب القبلية في لاوس، وإعادة إعمار البلقان بعد الحرب، والحرب الإثيوبية الإريترية، والأوضاع في كوبا، وغير ذلك.

وخلال صيف عام 2011، أمضت ميرفي شهرا في قطاع غزة، حيث التقت بالليبراليين، والإسلاميين، وأنصار حماس، وأنصار فتح. ووصفت إقامتها في كتابها الذي نُشر عام

2013: شهر على البحر. كما كتبت عن لقاءات أخرى مع الإسرائيليين والفلسطينيين في كتابها لعام 2015، بين النهر والبحر. وكان الكتابان هما آخر ما نشر لها.

وقد عرف عن ديرفلا ميرفي مواقفها المناهضة للعولمة والناقدة لحلف شمال الأطلسي والبنك الدولي وصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية، وضد الطاقة النووية وتغير المناخ. وقد ذكرت ميرفي أن بعض القراء انتقدوا "الأمر السياسي" التي تناولها، لكن مجموعة أخرى أخبرتها أنهم لم يفكروا في هذه الأشياء بهذه الطريقة من قبل، وأنهم يسعدون أنني كتبت وفكرت أكثر في الجانب السياسي. وقد عبرت ديرفلا عن وجهة نظرها في ذلك قائلة "لدي هذه الأشياء التي أريد أن أقولها ولا يهمني حقا إذا كان ذلك يفسد كتابا مخصصا للرحلات".

تقدم لنا حياة ديرفلا ومواقفها درسا بأن الإنسان يستطيع تحقيق شغفه وأحلامه وممارسة ما يهواه، لكن على الإنسان وهو يستمتع أن يتحلى بالمسئولية الاجتماعية، ويقدم من المواقف والآراء ما يعبر عن كونه كائن اجتماعي وليس كائنا فرديا أنانيا يعيش وحده، ويحلم وحده، ولا يحمل هم شيء سوى نفسه، ف"ما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط".

لمصدر المعلومات والمزيد منها طالع:

نعي حملة التضامن الأيرلندية:

[https://www.facebook.com/groups/20826333992?multi\\_permlinks=10160235471098993&hoisted\\_section\\_header\\_type=recently\\_seen](https://www.facebook.com/groups/20826333992?multi_permlinks=10160235471098993&hoisted_section_header_type=recently_seen)

تعريف الويكيبيديا بها وفيه روابط لمصادر أخرى:

[https://en.wikipedia.org/wiki/Dervla\\_Murphy](https://en.wikipedia.org/wiki/Dervla_Murphy)

صفحتها على موقع دار نشر إيلاند ELand الناشرة لكتبها:

<https://www.travelbooks.co.uk/dervla-murphy>

فيلم عن حياتها بعنوان "من هي ديرفلا ميرفي":

<https://www.imdb.com/title/tt5562660/>

# تيتسو تاكامورا

الطبيب والناشط الإنساني الياباني  
الذي عشق أفغانستان

في الرابع من ديسمبر عام 2019 فجع العالم بتعرض الطبيب والناشط الإنساني الياباني تيتسو ناكامورا Tetsu Nakamura للاعتداء المسلح من قبل أفراد مجهولين، ما أسفر عن مصرعه وعدد من مرافقيه.

كان سبب الفجعة هو أن هذا الرجل أفنى 28 عاما من عمره في خدمة الشعب الأفغاني وإغاثنه، سواء من خلال علاج المرضى أو من خلال مشاريع إعادة بناء أفغانستان مثل شق قنوات الماء التي تسقي الأرض وتنبت الزرع ويشرب منها البشر والحيوانات.

وحتى الآن لم تعرف الجهة التي وقفت وراء هذا الاغتيال، وإن كانت حكومة الرئيس الأفغاني السابق أشرف غني والناشطين في منظمات المجتمع المدني قد اتهموا حينها حركة طالبان بالضلوع في الأمر، إلا أن الحركة أنكرت ذلك قائلة إن لديها علاقات جيدة مع المنظمات التي تعمل في إعادة بناء أفغانستان.

واليوم وفي ظل ما شهدته أفغانستان منذ منتصف أغسطس 2021 الجاري من تغيرات درامية، لعل سلطة طالبان تنتبه لإحياء ذكرى الرجل، والكشف عن حقيقة اغتياله.

ومن ثم رأيت أن من الواجب التعريف بالرجل، والذي تحل ذكرى ميلاده في الخامس عشر من سبتمبر الجاري، حيث ولد في ذلك اليوم من عام 1946 بمدينة فوكوكا اليابانية، في المحافظة التي تحمل نفس الاسم، وتقع على الشاطئ الشمالي لجزيرة كيوشو.

انتقل تيتسو وهو في سن السادسة إلى مدينة كوجا سيتي في نفس المحافظة، وفي مرحلة مبكرة من دراسته بالمدرسة العليا تحول إلى المسيحية، وفي عام 1973 أنهى دراسة الطب في جامعة كيوشو.

وفي عام 1978 كانت أول تجربة لناكامورا في المنطقة الحدودية بين أفغانستان وباكستان، عندما عمل كطبيب لفريق تسلق الجبال التابع لجمعية تسلق الجبال في فوكوكا

خلال رحلة استكشافية لتسلق تيريش مير Tirich Mir في غرب باكستان. وهناك، انجذب إلى المنطقة لمتابعة حبه لتسلق الجبال وهوايته في جمع الحشرات.

وبناءً على طلب وزارة السياحة الباكستانية، قدم ناكامورا الرعاية الطبية للسكان بالقرب من قاعدة تسلق الجبال البعيدة، والتي كانت تقع بالقرب من بيشاور، باكستان. حيث عالج ناكامورا العديد من المرضى الذين يعانون من مرضي السل والجذام.

وفي عام 1984 عاد إلى بيشاور كمتطوع في الخدمة الطبية التعاونية المسيحية عبر البحار اليابانية في مستشفى الإرسالية في بيشاور. وهناك عالج مرة أخرى مرضى الجذام وكذلك اللاجئين الأفغان الذين فروا من الحرب السوفيتية الأفغانية.

وعلى الرغم من أن العيادة كانت تركز على الجذام، إلا أن ناكامورا رأى أن المناطق المعرضة للجذام بها نسبة عالية من الأمراض المعدية الأخرى مثل الملاريا وحمى التيفود وحمى الضنك والسل. ومن أجل توفير العلاج للمرضى الذين يعانون من أمراض أخرى، بدأ في تقديم خدماته الطبية المستقلة عن مستشفى الإرسالية.

وفي منتصف التسعينيات، بدأت منظمة الصحة العالمية في توفير العلاج بالعقاقير المتعددة (MDT) مجاناً لمرضى الجذام في برنامج تموله في الأصل مؤسسة نيبون Nippon Foundation اليابانية. وبينما ازداد الاهتمام الدولي والمساعدات لمكافحة الجذام، لاحظ ناكامورا أن عدد المرضى الأفغان المصابين بأمراض معدية أخرى مستمر في الزيادة دون مساعدة مماثلة، مما دفعه إلى إنشاء مستشفى جديد وتوسيع جهوده.

وبداية من عام 1991، افتتح ناكامورا 3 عيادات لتقديم الخدمة الطبية في مقاطعة نجرهار بأفغانستان، حيث حدد سوء التغذية كسبب جذري للمشكلات الصحية في المنطقة، ووصل عدد العيادات التي أسسها وأشرف عليها 10 عيادات قدمت الرعاية

الصحية لعشرات الآلاف من المرضى، كما قدمت التدريب والتثقيف الطبي للأطقم الطبية.

ومنذ ذلك الحين فصاعداً، وسع نطاق عمله ليشمل الزراعة والري، وركز على بناء مشاريع القنوات في شرق أفغانستان. ففي عام 2000، ضرب الجفاف المنطقة، ونتيجة لهذا الجفاف تكاثرت الأمراض بسبب سوء التغذية ونقص المياه، وصرح ناكمورا عن هذا الموقف قائلاً إن "قناة ري واحدة ستفيد أكثر مما يفيد 100 طبيب"، وقال أيضاً: "يعالج المستشفى المرضى واحداً تلو الآخر، لكن هذا (يقصد مشروع شق القناة) يساعد قرية بأكملها. أحب رؤية قرية وقد عادت للحياة".

وقد قام الدكتور ناكمورا فضلاً عن ذلك ومن خلال "الصندوق الأفغاني للحياة Afghan Fund for Life" الذي أسسه عام 2001 بعشرات المشاريع في هذا الاتجاه شملت حفر عشرات الآبار وإحياء عشرات المساقى المائية، فضلاً عن إطعام اللاجئين الأفغان الذين تدفقوا على العاصمة كابول هرباً من الحرب والجفاف.

ومنذ ذلك الحين اتجه ناكمورا لشق قنوات المياه بادئاً بشق قناة من نهر كونار Kunar River، يبلغ طولها 25.5 كيلومتراً. وقد استوحى الإلهام بشقها من قنوات الري التي تم بناؤها في موطنه الأصلي فوكوكا منذ أكثر من 200 عام، دون الحاجة إلى استخدام المعدات الحديثة.

وفضلاً عن ذلك قام ناكمورا ببناء أو ترميم 8 قنوات إضافية، لري 16000 هكتار من الأرض، ودعم معيشة 600 ألف شخص في صحراء جامبيري Gamberi desert في ضواحي جلال آباد في مقاطعة نجرهار، كما قام ببناء أحد عشر سداً على نهر كونار، وصرح قائلاً إن "الأسلحة والدبابات لا تحل المشاكل، وإن إحياء الزراعة هو حجر الزاوية في انتعاش أفغانستان".

وقد خاطر ناكامورا بحياته في أفغانستان عدة مرات، حيث نجا مرة بأعجوبة من نيران مدفع رشاش من مروحية عسكرية أمريكية، وفي مناسبة أخرى، سارع إلى حماية السدود من نهر يفيض بشكل خطير، قائلاً "سأكون سعيداً أن أموت هنا".

ونتيجة لأعماله الإنسانية حصل ناكامورا على عدد من الجوائز والأوسمة سواء قبل موته أو بعده، ففي عام 2003، حصل على جائزة رامون ماجسايساي Ramon Magsaysay Award الفلبينية - التي يطلق عليها غالباً جائزة نوبل الآسيوية - للسلام والتفاهم الدولي.

ومن بلده اليابان، حصل على جائزة فوكوكا Fukouka Prize (الجائزة الكبرى) عام 2013. كما حصل في نفس العام على جائزة كيكوتشي Kan Kikuchi Prize من جمعية الترويج للأدب الياباني. وفي عام 2016، تم تكريمه في قاعة مشاهير الأرض في كيوتو، وفي نفس العام حصل على وسام الشمس المشرقة Order of Rising Sun (أشعة الذهب والفضة).

كما نشرت شبكة إن إتش كيه NHK اليابانية وثائقاً عنه وعن جهوده في إعمار أفغانستان في الرابع من فبراير عام 2017 حمل عنوان "الماء وليس الأسلحة: تخضير أفغانستان Water, Not Weapons: The Greening of Afghanistan"، وهو الوثائقي الذي قالت عنه إحدى القنوات على اليوتيوب: بين الحين والآخر يشهد المرء حدثاً رائعاً في التاريخ يلامس قلب الإنسان وروحه بشكل يفوق التوقعات ويترك انطباعاً طويلاً الأمد، وقصة الدكتور تيتسو ناكامورا هي مثل هذا الحدث لجهود لا هوادة فيها لرجل واحد، ومثابرته وصبره رغم كل الصعاب (..). ليس الحجم المادي للشخص الذي يجعل المستحيل ممكناً، لكنه بالأحرى حجم قلب الرجل وروحه وعقله ممزوجان بشخصية لا تتزعزع هي التي تصنع الفارق.

وفي أفغانستان حصل الدكتور ناكامورا على الميدالية الوطنية الأفغانية عام 2018. كما منح في 7 أكتوبر 2019 الجنسية الفخرية لأفغانستان لخدماته الطويلة في البلاد. أما في الهند

فقد حصل على جائزة بادما شري Padma Shri، رابع أعلى جائزة مدنية في الهند، مُنحت له بعد وفاته في 26 يناير 2020.

أُظن أن من أولويات إعادة بناء وترميم أفغانستان مما سبق وعاشته على مدى 20 عاما من الاحتلال الأمريكي، وقبلها سنوات من الاحتلال السوفيتي والاحتلال الداخلي، كل ذلك يقتضي ترميما للعلاقات مع من أفنوا حياتهم في العمل الإنساني في أفغانستان، خاصة أولئك الذين فقدوا حياتهم وهم يفعلون ذلك أيا كانت الأسباب والدوافع والجهات التي وقفت وراء ذلك.

لمصدر المعلومات والمزيد منها طالع:

موسوعة الويكيبيديا:

[https://en.wikipedia.org/wiki/Tetsu\\_Nakamura](https://en.wikipedia.org/wiki/Tetsu_Nakamura)

قناة إن إتش كيه:

[https://www3.nhk.or.jp/nhkworld/en/ondemand/video/5001150/?cid=wohk-fb-org\\_vod\\_WaterNotWeapons\\_dps-202012-001&fbclid=IwAR2-v9Hr0KPo73eyqhgiBILnbesP-IPuc0\\_nYFPGaoT4RO9shrlDgruUfq8](https://www3.nhk.or.jp/nhkworld/en/ondemand/video/5001150/?cid=wohk-fb-org_vod_WaterNotWeapons_dps-202012-001&fbclid=IwAR2-v9Hr0KPo73eyqhgiBILnbesP-IPuc0_nYFPGaoT4RO9shrlDgruUfq8)

وموقع منظمة خدمة السلام الطبية في يشاور:

<http://www.peshawar-pms.com/eg/index2.html>

وشاهد الفيلم على اليوتيوب:

[https://www.youtube.com/watch?v=fUIZUVwq93U&t=891s&ab\\_channel=PrisonersofTraditio](https://www.youtube.com/watch?v=fUIZUVwq93U&t=891s&ab_channel=PrisonersofTraditio)

n



عن عمر يناهز الرابعة والسبعين رحلت يوم الجمعة 14 رمضان 1443 هـ الموافق 15 أبريل 2022 م السيدة بلقيس بانو إدهي Bilquis Bano Edhi أحد أكثر فاعلي الخير في باكستان نشاطاً، والرئيس المشارك لمؤسسة إدهي، وهي من أكبر المؤسسات الخيرية التي تخصصت بشكل أساسي في الخدمات الطبية الإسعافية فضلاً عن الخدمات الاجتماعية.

ولدت بلقيس في جوجارات (بالهند حالياً) عام 1947، ومع التقسيم انتقلت مع الأسرة إلى كراتشي بباكستان، وعندما كانت فتاة صغيرة انضمت إلى دورة تدريبية للممرضات في مركز إدهي، وفي وقت لاحق تقدم لها عبد الستار إدهي وتزوجا في أبريل 1966.

ومنذ ذلك الحين، عملت مع زوجها في مؤسسة إدهي Edhi Foundation - وهي المؤسسة التي بدأها عبد الستار إدهي بهدف تقديم المساعدة للفقراء في باكستان، وأصبحت منظمة الإغاثة الرئيسية في البلاد، والتي تشرف على أكبر شبكة أهلية لخدمات الإسعاف في باكستان والعالم، فضلاً عن المستشفيات وملاجئ المشردين ودور الأيتام ومراكز إعادة التأهيل بالإضافة إلى خدمات دفن الجثث التي لا يطالب بها أحد، وملاجئ الحيوانات وبنوك الدم.

وبعد وفاة زوجها عام 2016 تولى بلقيس إدارة المؤسسة مع أبنائها، واليوم، وإضافة إلى الخدمات المقدمة في باكستان، تعد مؤسسة إدهي مورداً رئيسياً لمساعدة ضحايا الكوارث على المستوى الدولي بفروعها في عدد من بلدان العالم.

في البداية، كانت ممتلكات عبد الستار إدهي وقت زواجه لا تزيد عن سيارة قديمة محطة ومستوصف صغير، كان به منزل للأومومة في الطابق الأول به 6-7 أسرة، وغرفة صغيرة في الطابق الأرضي كانت بمثابة مكتب وغرفة ماثلة في الطابق الأول. ولم يكن هناك

الكثير غير ذلك، ولكن حتى في تلك الأيام التي كان لدى الزوجين موارد محدودة للغاية، اعتاد الناس ترك أطفالهم معهم وكانت بلقيس إدهي هي من تعني بهم.

وفي ظل حياة زوجها قادت بلقيس قسم رعاية السيدات، والأطفال في جميع أنحاء باكستان، وفي إطار هذه القيادة تولت تأسيس منازل إدهي Edhi Homes وهي مراكز لإيواء الرضع والأطفال المشردين كما نشرت في أنحاء باكستان خارج تلك الدور الأسرة الحديدية ليقوم من يرغب في التخلص من أطفاله فيها وهو ما أطلق عليه مشروع المهد أو الجهولا (باللغة الأردية) (jhoola' (cradle) project وذلك منعا لعادة وأد الأطفال، حيث كتبت على تلك الأسرة لافتات تقول للآباء: "لا تقتل"، "ترك الطفل حياً في المهد، لا تقتل الطفل.. اسبح للطفل بالعيش".

وقد أثار هذا المشروع الكثير من الاعتراضات التي وصلت إلى حد التهديد بالقتل، وذلك على الرغم من أنها كانت تقوم بعمل إنساني يستهدف إنقاذ الأطفال الأبرياء الذين لا ذنب لهم في جرائم أوليائهم، والتي قالت عنهم عام 2009 لمراسلة شبكة إن بي آر الإخبارية: "معظم الأطفال الذين تركوا في المهد عند عتبات منازلنا هم من الفتيات، وأحيانا كان يتم إلقاء الأطفال في أكوام القمامة وتكريم أفواههم أو يوضعون ملفوفين في أكياس بلاستيكية".

وللإشراف على تلك الأنشطة كان زوجها عبد الستار إدهي قد أسس مؤسسة شقيقة حملت اسم زوجته "مؤسسة بلقيس إدهي Bilquis Edhi Foundation"، وفي إطار قيادتها لتلك المؤسسة كانت تزور بانتظام منازل إدهي (دور الإيواء) - التي قدمت خدماتها لعشرات الآلاف من الأطفال - في جميع أنحاء باكستان لمراقبة أنشطتها وتقديم الاقتراحات والتوصيات حول ما ينبغي القيام به، كما أنها لعبت دوراً أساسياً في جعل منازل إدهي "مراكز تميز" - بالمعنى الحقيقي للكلمة.

ونظرا لهذا التميز تلقت المؤسسات آلاف الطلبات من راغبي تبني الأطفال، ومن ثم وضعت بلقيس معايير صارمة للتبني، أولها أن يجتاز الأزواج الذين يرغبون في تبني طفل المقابلة التي كانت تجريها بلقيس معهم، وثانيها أن يكون الأزواج لم يرزقوا بأطفال حتى بعد 10-12 عاما من الزواج، كما يجب أن يكون راتب الأب المرشح معقولا، وألا يعاني الأب المرشح من مشاكل متعلقة بتعاطي الكحول أو المخدرات، كما يجب أن يكون عمر الأم المرشحة أقل من 50 عاما، وأن يمتلك الزوجان منزلا، حيث لا تمنح مؤسستها الأطفال للأزواج الذين يواصلون تغيير منزلهم والتنقل من مكان إلى آخر. وفي النهاية فإن لدى المؤسسة ميثاق يطلب من الوالدين التوقيع عليه ينص صراحة أنه في حالة انفصال الوالدين، يقوم المركز باستعادة الطفل أو السماح للطفل بالبقاء مع الأم.

وفي المقابل اختارت مؤسسة إدهي المداومة على رعاية الأطفال المعاقين جسديا أو عقليا، ف لديهم قسم منفصل لهم في المؤسسة، حيث يقومون بتنظيفهم وإطعامهم واللعب معهم وسائر ما تتطلبه رعايتهم، ويبقى هؤلاء الأطفال معهم لبقية حياتهم. وبصرف النظر عن الأطفال المعاقين، فإن الأطفال الآخرين الذين لا يتم تبنيهم لا يمثلون أي مشكلة على الإطلاق.

ونتيجة لدورها الرائد وعملها الخيري والإنساني على مدار عدة عقود، لقبّت بلقيس إدهي باسم أم باكستان Mother of Pakistan، كما حصلت على جائزة "هلال الامتياز" المرموقة وهي ثالث أعلى وسام مدني يمنح في باكستان، كما حصلت مع زوجها على جائزة رامون ماجساياساي للخدمة العامة عام 1986، وهي الجائزة التي تلقب بجائزة نوبل الآسيوية، وهي أيضا حاصلة على "جائزة لينين للسلام".

لم تحصل بلقيس على لقبها "أم باكستان" لكونها زوجة رئيس أو ملك، ولكنها حصلت عليها كشريكة أساسية في عمل خيري اجتماعي وإغااثي رائد انتقل من المحلية إلى العالمية،

وإنسانة حافظت هي وزوجها وأسرتها على تواضع معيشتهم رغم انفتاح الدنيا على مؤسستهم العالمية التي صار لها فروع في عدد من أهم بلدان العالم المتقدم.

لمصادر المعلومات والمزيد منها طالع:

<https://www.npr.org/2022/04/15/1093130206/bilquis-edhi-pakistan-karachi-obituary>

<https://edhi.org/bilquis-bano-edhi/>

<https://theprint.in/world/bilquis-edhi-pakistans-mother-of-orphans-who-saved-thousands-of-babies-from-infanticide/919650/>

[https://en.wikipedia.org/wiki/Bilquis\\_Edhi](https://en.wikipedia.org/wiki/Bilquis_Edhi)



البعض يخرج من مأساته الشخصية أو الاجتماعية ناقما ساخطا على الظروف والأحوال وربما ساخطا على المجتمع والناس، والبعض تدفعه ربما نفس المأساة لأن يكون سببا في حماية الآخرين من أن يقعوا في نفس ما وقع فيه.

من هذا الصنف الثاني، عامل مزارع الشاي الهندي كريم الحق البالغ من العمر 53 عاما، والذي قضى 19 عاما يقدم خدمة الإسعاف على دراجة نارية لأهالي قريته وعشرين قرية مجاورة تقع في إحدى المناطق التي تفتقر إلى الخدمات من طرق وكهرباء وشبكات محمول بولاية البنغال الغربية الهندية، واستفاد من خدماته وفق أحدث تقرير فيديو نشره موقع "جريت بيج ستوري Great Big Story" 5 آلاف شخص.

تبدأ قصة كريم الحق عام 1995، عندما كانت أمه في حالة مرضية احتاج معها أن يطوف بالقرية من باب إلى باب بحثا عن وسيلة إسعاف تنقلها إلى المستشفى للعلاج، لكنه لم يعثر على بغيته، وكان نتيجة ذلك وفاة أمه، وبعدها أقسم في نفسه ألا يدع أحدا آخر يموت لانعدام خدمة الإسعاف.

لكن فكرة توفير الإسعاف على دراجته النارية لم تأتته إلا عندما سقط أحد زملائه في العمل مغشيا عليه، فكان أن أجلسه خلفه على الدراجة، ونقله لتلقي العلاج في أقرب مستشفى لمكان عمله، فكان أن تعافى زميله، وهنا جاءت فكرة تكرار الأمر مع أهل قريته و20 قرية مجاورة، ورغم أنه لا يحصل من عمله إلا على 4 آلاف روبية، إلا أنه لم يقصر يوما في تقديم الخدمة، رغم بعد أقرب مستشفى عن منطقة قريته والقرى المحيطة بمسافة 45 كيلومتر، يساعده ربما في ذلك كبر عمر ابنيه، وعملهم، وتكافلهم سويا كأسرة.

ولم يكتف كريم الحق بذلك، بل إنه تعلم الإسعافات الأولية من الأطباء المحليين، وصار يقدمها نكدة إضافية، فضلا عن إقامته لمخيمات صحية لأهل القرى بشكل دوري.

لم يمر عمله الخيري المجاني هذا دون تكريم، ففي إطار جوائز الدولة الهندية التي تقدم سنويا للأبطال المجهولين، حصل في عام 2017 على جائزة بادما شري Padma Shri المرموقة، وقد ساعدته الجائزة على تطوير أداة خدمته بإضافة مكان مغطى على جانب من الدراجة البخارية، لتصبح مركبة تشبه "التوكتوك" عليها بيانات مقدم الخدمة ووسائل الاتصال، كما أصبحت الأسرة جميعا تشارك في تقديم الخدمة "المجانية" لأهل القرى.

لمصدر المعلومات شاهد الفيديو:

[https://www.greatbigstory.com/stories/this-free-ambulance-is-saving-lives-in-india?xrs=Social\\_FB&fbclid=IwAR2CHOgtJnPTZ9ulUckumaiKYIz9UW6CI84K3\\_ZS3gwSkZP9jeouEOyfdM](https://www.greatbigstory.com/stories/this-free-ambulance-is-saving-lives-in-india?xrs=Social_FB&fbclid=IwAR2CHOgtJnPTZ9ulUckumaiKYIz9UW6CI84K3_ZS3gwSkZP9jeouEOyfdM)

<https://www.youtube.com/watch?v=0cx005gR33s>

وطالع الويكيبيديا:

[https://en.wikipedia.org/wiki/Karimul\\_Haque](https://en.wikipedia.org/wiki/Karimul_Haque)



يعرف الكثيرون ممن جربوا الحياة في الغرب أمرين: أولاً صعوبة تربية الأولاد والحفاظ على هويتهم وأخلاقهم ودينهم هناك، وثانياً أن المساجد والمراكز والمدارس الإسلامية ربما لا تؤدي دورها المنوط بها في هذا الصدد كما ينبغي، إلا ربما بالشكل المباشر الذي قد لا يصلح في اجتذاب شرائح كبيرة من الأجيال الجديدة من النشء.

وقد أهدى الله أحد الباحثين المصريين في المجال الهندسي والذي يعمل ويعيش في الولايات المتحدة بمبادرة تسهم في حل هاتين المشكلتين معاً، وهو الدكتور مهندس محمد عبدة، وهو عالم أبحاث في معامل سانديا الوطنية (الأمريكية).

كان محمد قد تخرج من قسم الهندسة البحرية، بكلية الهندسة جامعة الإسكندرية عام 2000، وحصل على الماجستير في نفس التخصص من نفس القسم والجامعة عام 2004، ثم حصل على درجة ماجستير أخرى في الرياضيات التطبيقية من جامعة كاليفورنيا في ديفيز عام 2009، وعلى الدكتوراه في هندسة الطيران من نفس الجامعة عام 2008.

عمل عبدة مساعد باحث في قسم الهندسة البحرية بجامعة الإسكندرية، ثم في قسمي هندسة الطيران والرياضيات بجامعة كاليفورنيا في ديفيز، ثم باحث ما بعد الدكتوراه في جامعة كارنيجي ميلون بين عامي 2008 و2010، ثم باحثاً في معامل سانديا منذ عام 2010، ووصل منذ عام 2021 إلى منصب عضو رئيسي في الطاقم الفني للمعامل.

وقد حصل الدكتور محمد عبدة على عدد من التكريمات والجوائز، وله عدد من براءات الاختراع والبرمجيات المسجلة باسمه فضلاً عن عدد من الأوراق البحثية المنشورة في مجالات العمل والتخصص التي مر بها.

في عام 2016 قام الدكتور محمد عبيدة بتأسيس مبادرته "معهد إتقان للتكنولوجيا Itkan Institute of Technology" كمؤسسة غير هادفة للربح في الولايات المتحدة، وبدأت المبادرة في ولاية نيومكسيكو، بتأسيس فريق "مارفيلز" المسلم للروبوت والذي حصل على 25 تكريم وجائزة، ثم انتقل عام 2021 إلى ولاية تكساس الأمريكية، وبالتحديد مدينة دالاس، ليؤسس أول فرق الروبوتات المجتمعية الإسلامية في دالاس الموطن الجديد لمارفيلز Marvels.

ومنذ ذلك الحين، تقدم فريق مارفيلز بشكل كبير في معرفتهم بالبرمجة والبناء والنمذجة ثلاثية الأبعاد وتسويق الروبوتات ووسعوا نطاق وصولهم ليشمل فرقا دولية تحت اسم مارفيلز (9 فرق في الولايات المتحدة، و5 فرق في أوروبا وأفريقيا وآسيا حتى الآن بحسب الخريطة المنشورة على موقع إتقان). لتصبح مهمة معهد إتقان تتجاوز مجرد تدريس الروبوتات، وإنما تمرير شعلة المعرفة لإلهام جيل للمساهمة في مجالات العلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات (STEM) من خلال جلب برامجهم إلى المراكز الإسلامية. وكما تشير صفحة الدكتور مهندس محمد عبيدة على الفيسبوك، فإن المبادرة وبرامجها تستهدف أيضا إحياء الدور النهضوي للمساجد.

وفي حلقة من حلقات "عيش أمريكا" التي يقدمها اليوتيوبر مصطفى الحسيني تحدث الدكتور محمد عبيدة عن مشروعه بشكل أوضح قائلا:

ما نحاول فعله الآن هو أننا نحاول أن نستعيد الدور النهضوي للمساجد في أمريكا وخارج أمريكا، فأحد ما كنا نلاحظه عند قراءة سيرة الصحابة رضوان الله عليهم أن المسجد كان المكان الذي يتعلم فيه أولادهم كل شئون الدنيا، فكانوا يتعلمون الدين ويطبّقونه مباشرة على أمورهم الحياتية، وللأسف الشديد فقد فقدنا هذا الآن، حيث أصبح المسجد دوره قاصرا على الصلوات والعبادات عموما، وأصبح هناك انفصال بين ما يتعلمه أولادنا من الدين، وما يحتاجونه للنجاح في حياتهم العملية.

ولكي نواجه هذه المشكلات ونحافظ على هوية الأولاد وارتباطهم بالدين الإسلامي أنشأنا الحمد لله برنامج الروبوت هذا وكانت البداية من نيومكسيكو، كانت الفكرة أن نجتمع الأولاد داخل المساجد ونقنع أهلهم من ذوي الخبرات أن ينضموا للبرنامج، ويتبادلوا خبراتهم مع الأبناء في السن الصغير، والحمد لله انتقلنا مؤخرا إلى دالاس، واستطعنا تجميع مجموعة من المخلصين من ذوي الخبرات ممن آمنوا بالفكرة وبدأوا يدربون الأولاد يومين في الأسبوع، السبت والأحد، ليتعلموا شتى المواضيع التكنولوجية التي يحتاجونها من برمجة ونمذجة رقمية وذكاء اصطناعي ومعالجة الصور، والحمد لله بدأ الأولاد يحرزون تقدما في هذه المواضيع لمستوى كبير جدا في سن صغير، ومن ثم بدأ يتضح للناس في المجتمع أهمية أن نعلم أولادنا التكنولوجيا داخل المساجد.

ويواصل عبيدة الحديث "وضعنا الآن نموذج نحاول أن نضع بها نظاما لنشر الفكرة. الفكرة الأساسية لدينا أننا بنينا شبكة ما بين شباب المسلمين، كل مجتمع مسلم هو نقطة في هذه الشبكة، والخط الواصل بين كل نقطة والأخرى هو نقل المعرفة، أو نقل التكنولوجيا التي تكونت عند نقطة من نقاط هذه الشبكة، إلى باقي النقاط، وهذا الأمر نقوم به عن طريق الشباب أنفسهم، فليس لدينا طاقة أن نعلم مليار ونصف من المسلمين، لكنني أتخيل أننا نحتاج إلى مثل هذا البرنامج في كل مسجد، فكيف سنفعل هذا؟ النموذج الخاص بنا بكل بساطة مبني على اختيار العناصر الأولى التي نبدأ بها البرنامج في مكان ما، بحيث يكونون من أفضل العناصر، ليكونوا قادة البرنامج في هذا المجتمع، وبعد الاختيار نقوم بتعليمهم، والاتفاق معهم أننا كما علمناكم، عليكم أن تعلموا ما يأتي بعد ذلك من مجموعات، وهذا ما فعلناه في دالاس. حيث أخذنا 25 ولد وبنت وبدأنا بهم البرنامج هنا. وقد أصبحت هذه المجموعة أفضل فريق في تكساس ومن أفضل فرق العالم الحمد لله، والآن أصبحوا هم مدربي الفرق الجديدة التي تتكون".

ويضيف عبيدة "من أكثر الأشياء التي أسعدتني في الفترة الحالية أن تأثير هؤلاء الأولاد تخطى المسلمين، لأننا في هذا النشاط لا نعلم فقط المسلمين وننتخلى عن غيرهم، بل إن فريق الأولاد عندنا اكتسب السمعة التالية التي صار الأولاد يرددونها: نحن الفريق الذي يمكنك أن تأتي إليه وقت المنافسة ليساعدك على حل أي مشكلة تواجهها، سوف نترك ما بأيدينا لمساعدتك على الرغم من أننا في منافسة شديدة، سوف نفعل ذلك ثم نعود لاستكمال عملنا لإنهائه. هذه السمعة اكتسبناها في مسابقة مليئة بفريق غير مسلمة.

الأمر الآخر هو أن المسلمين مثل الريج الطيب عندما يكونوا موجودين في أي مجتمع يملؤونه فرحة وبهجة فعندما جئنا إلى هنا (في دالاس) تواصلنا مع المسؤولين عن المسابقة العالمية في شمال تكساس وهي واحدة من أقوى المناطق في مجال الروبوت على مستوى العالم، لم نطلب منهم أي مساعدة، لم نقل لهم نحن بعيدين عن التكنولوجيا منذ فترة فإذا تستطيعون فعله؟ لم نقل لهم ذلك، بل قلنا لهم من منطلق عزة: ماذا لديكم من مشكلات نستطيع أن نساعدكم إن شاء الله في حلها؟ فقال لنا مسئول المسابقة، إن مواردنا محدودة ولا نستطيع أن نقيم المسابقة في صورة الدوري، لذلك نقوم بتجميع الأولاد في يوم واحد للتسابق فقط، وهذا يؤثر على مستوى الفرق لدينا، إذ لدينا فرق في أماكن أخرى أقوى من فرق شمال تكساس لهذا السبب. فإذا فعلنا كمسلمين؟ نظمنا لهم أول دوري للفرق من داخل مساجدنا، فوجهنا الدعوة لـ 21 فريق من شمال تكساس، 19 فريق منهم من غير المسلمين. قلنا لهم تعالوا إلى مساجدنا نظموا المسابقة، وتعرفوا على المسلمين ومقدار اهتمامهم بأبنائهم.

وفي هذا اليوم أتاني ناس من كل الخلفيات، مسيحيون، بيض، هندوس وغيرهم، وقال لي أحدهم أشعر أنني سخييف جدا، لأنهم عندما قالوا لي إن المسابقة ستنظم في أحد المساجد كنت متردد قبل أن أشارك فيها، ولكن عندما أتيت إلى هنا وجدتم مضيافين، أكرمونا، واهتمتم بأولادنا، وحلتم كل مشاكلهم، أنتم قوم تحبون أهلكم، قلت له أنتم

تحتاجون إلى القدوم إلى المساجد للتعرف على مجتمع المسلمين من داخلهم، وكما حفزنا أولادنا لتعلم التكنولوجيا، يمكننا أن نرسل لكم أولادنا ليعلموا أولادكم في أماكنهم، سواء أكان مدرسة عامة، أو مركز مجتمعي أو غيرها. نحن نعتبرها دعوة، هذا هو الدور الذي يجب أن يقوم به المسلمون، أنهم عندما يتواجدون في أي مكان، يرون ما هي مشاكلكم ويصلحونها.

أنا عمري الآن 45 سنة (عام 2022، وقت تسجيل الفيديو)، عشت أغلب حياتي أسمع شكاوى المسلمين، المسلمين يتظاهرون، المسلمون يعبرون عن مشاكلهم، يا أخي نحن في أيدينا، في القرآن الذي أعطاه الله لنا فيه حلول لكل مشاكلنا، حينما نطبقه ونفهمه على الوجه الصحيح.

لكي نغير حال الأمة لا بد أن تفهم المؤسسة الإسلامية أن دورها ونجاحها ليس أن تجمع الأموال. بعض المؤسسات الإسلامية تتباهى أنها جمعت في حملة تبرعات واحدة مليون دولار، أو أكثر. لكن هيه هي مجرد بداية، الحمد لله أن لديكم هذه الموارد، فماذا فعلتم بها؟ موضوع الروبوت، والمسابقات والجوائز ليس هدفا في حد ذاته، وإنما هو الشيء المادي الذي نجعله واضحا للمشاركين في البرنامج، فانت تريد مثلا أن تقنع أبا جديدا أن يضم ابنه للبرنامج. يمكنك أن تكلمه عن الأمة الإسلامية ونهضتها ورفع الراية وما إليه. لن يسمعك إلا شريحة قليلة من المسلمين. وإنما قل له إن هؤلاء الأولاد الـ 25 لم يكونوا يعرفون شيئا قبل 10 أشهر عن الروبوت، والآن بسبب انضمامهم للبرنامج صاروا من أفضل الفرق في شمال تكساس وعلى مستوى العالم، وأصبح كل واحد منهم لديه صفحتين في سيرته الذاتية تساعده في الدخول لأفضل الجامعات في الدنيا. وفي هذه الحالة سيعطيك ولي الأمر عينيه كي تضم ابنه للبرنامج. الآن وبعد اشتهار البرنامج صار أولياء الأمور يأتوننا يريدون ضم أولادهم للبرنامج، فنقول لهم نحن لا نفعل ذلك من أجل المال، ولكن من أجل أمتنا، ولكي نستطيع توصيل هذه الخدمة نحتاج إلى مشاركة الآباء.

تعرف أن برنامجنا مجاني تماما، لكن عندما يأتي ولي الأمر ليضم ابنه للبرنامج نقول له أننا سنجري مقابلة للطالب ولك معه، أولا لنقيس مدى ارتباطهم بدينهم، ومدى رغبتهم في الانضمام لفكرتنا، ونفهمهم أننا كي نستطيع أن نقدم مثل هذا المستوى من الخدمة التعليمية لا بد من مشاركتهم، لأننا نضع لكل مجموعة مكونة من 5 أولاد موجه، بعضهم يحمل لدرجة الدكتوراه، أو خبيرا في مجال من المجالات، ولو قدما هذه الخدمة بالمال لما استطاعوا أن يدفعوا أجور هؤلاء الموجهين، الذين يفعلون ذلك خدمة لدينهم وأمتهم، فأحد أسس ديننا هو مساعدة بعضنا البعض. ونحن نريهم هذا بشكل عملي، وقيمة ما يقدمه هؤلاء الخبراء للأولاد لا تقدر بمال. ولو حاولت تقديم هذه الخدمة بالمال ستكون التكلفة باهظة. ولكن عندما تقنع الناس أن هذه الخدمة فيها حماية لأولادها وخدمة لدينها سوف يعطيك الناس أعينهم.

انتهى كلام محمد عبيدة في الفيديو الصادر من عقل نير وقلب نابض، والذي قدم فيه نموذج جدير بالتكرار في كل مسجد من مساجد المسلمين من شرق العالم إلى غربه، وهو نموذج حري بأن ينقل أولادنا وينقل مساجدنا وأمتنا نقلة حضارية لا تقدر بثمن.

لمصدر المعلومات والمزيد منها طالع موقع معهد إتيكان للتكنولوجيا:

<https://www.itkan.one/>

وموقع محمد عبيدة العلمي / الشخصي:

<https://msebeida.net/>

وشاهد حلقة "عيش أمريكا" معه وعن مبادرته:

[https://www.youtube.com/watch?v=LZcVe7n-KHs&ab\\_channel=MoustafaElhusseiny-%D9%85%D8%B5%D8%B7%D9%81%D9%89%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B3%D9%8A%D9%86%D9%8A](https://www.youtube.com/watch?v=LZcVe7n-KHs&ab_channel=MoustafaElhusseiny-%D9%85%D8%B5%D8%B7%D9%81%D9%89%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B3%D9%8A%D9%86%D9%8A)

# حسن عثماوي

الطبيب والداعية  
ومسيرة ٣٠ عاما في زيمبابوي

عندما تهيأت لي فرصة الدراسة في دبلومة الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) في معهد الدراسات الأفريقية (كلية الدراسات الأفريقية العليا حاليا) بجامعة القاهرة، وتحديدًا عندما بدأت في العام الأول دراسة تاريخ الفكر الأنثروبولوجي، تفتحت عيني على دور الآلاف من الأفراد الذين جاءوا من بلدان الغرب، على مدار قرون، إلى بلاد الجنوب والشرق وتحديدًا قارتي آسيا وأفريقيا، إما أنهم جاءوا في صورة سائحين، أو موظفين، أو مبشرين، أو مستكشفين.

وكثير منهم جاؤوا بلادنا إما يلاحظون ويدرسون أحوالنا أو يجمعون مدوناتنا ومخطوطاتنا. كانت وراء الكثير منهم مؤسسات، أكاديمية، أو سياسية، أو دينية، إما أن تستفيد من كتاباتهم ومما جمعه بعد العودة، أو تقوم من الأساس على تدريبهم وتأهيلهم قبل السفر.

وفي النهاية فإن هؤلاء الأفراد، وتلك المؤسسات كان وراءهم مشاريع تصب في مصالح الأمم والبلدان التي جاءوا منها.

وفي مصر، أسس يوما ما الدكتور بطرس بطرس غالي الصندوق المصري للتعاون الفني مع أفريقيا، والذي مارس عمله من خلال إرسال مبتعثين من ذوي المهن المختلفة، ومن بينهم الأطباء. بالطبع لا أستطيع الحكم على تجربة الصندوق، فليس في يدي دراسة تقييم المحصلة النهائية لعمله. لكنني ربما أستطيع أن أزعم من خلال احتكاكي بمجتمع الأطباء، أن النموذج الذي يمثله الدكتور حسن ع شماوي، الطبيب المصري الذي ابتعثه الصندوق عام 1992 إلى زيمبابوي، والتي يعيش فيها منذ ذلك الحين، أي ما يزيد عن 30 عاما هو نموذج نادر.

ولد الدكتور حسن ع شماوي لأسرة مستورة من سكان القاهرة، وتخرج من كلية طب القصر العيني عام 1981، وتخصص في جراحة المسالك البولية، وكغيره من الشباب كان

يحلّم بالحصول على البورد الأمريكي والسفر لامتحان والعمل الطبي في الولايات المتحدة، لكن الله كان يدخر له خيرا كثيرا في مكان آخر.

تمثل حياة الدكتور حسن عشناوي وما أنجزه طوال 30 عاما نموذجا للتناغم السهل البسيط وغير المتكلف لدوائر الانتماء الأربع، دائرة الإنسانية، ودائرة الإسلام، ودائرة العروبة، ودائرة الوطنية، كل ذلك دون تشنج ولا شعارات، وإنما أعمال وإنجازات، دون عنها كتابه "مذكرات طبيب في أفريقيا" والصادر عام 2020.

يبدو مما دونه الدكتور حسن عشناوي في كتابه أن دور والديه في تكوينه النفسي والسلوكي كان له أثر كبير، وأعني هنا تحديدا نزعة الخير المتأصلة في نفسه، والتي ربها فيه والدها بالقدوة قبل الكلام، فضلا عن الانتماء الديني الفطري دون تزيّد، والذكاء الاجتماعي الذي يؤهله للعلاقات المنفتحة والسوية مع جميع الدوائر المحيطة به، والحكمة في إدارة الأمور.

ففي مدينة بولاوايو العاصمة الاقتصادية لزيمبابوي، كانت حياته المهنية هناك، حيث استكمل تأهيله المهني بالحصول على زمالة كلية الجراحين بإدنبرة في تخصصه. وبعد انتهاء مدة بعثته رسميا (بعد 4 سنوات) اختار المكث، حيث أحب البلد والناس، وأحبوه، ثم كان أن شرع عام 2006 في تأسيس الجمعية الطبية الإسلامية في زيمبابوي Islamic Medical Association of Zimbabwe التي فضل لها هذا الاسم ليقدّم من خلالها نموذجا عمليا لدينه، وتجلى هذا النموذج منذ البداية في أن جعل أهل البلاد شركاء في التأسيس، كما توجه إليهم جميعا دون تفرقة بالخدمة.

وهكذا من خلال عيادات الشفا وتحت شعار رحمة للعالمين، كان افتتاح أول مقر في يناير 2007، ومن خلاله قام بتنظيم قوافل طبية قدمت خدماتها لـ 65 ألف إنسان، وقدمت كارت الشفا لتوفير الخدمات الطبية للمحتاجين، وقوافل العيون التي قامت بفحص عيون 25 ألف إنسان، وأجرت 3 آلاف من جراحات المياه البيضاء، وقوافل ختان الذكور،

وذلك فضلا عن حملات التبرع بالدم، وحملات التوعية الصحية، وأعمال الإغاثة الطبية في حالات الكوارث.

فضلا عن ذلك فقد بدأت فروع لعيادات الشفا في الانتشار في مدن زيمبابوي، مثل هراري (العاصمة)، وكويكوي، فضلا عن 3 فروع أخرى قيد الإنشاء في 3 مدن أخرى، فضلا عن تأسيس مستشفى الشفا في هراري، والشروع في تأسيس مركز لزراعة الكلى كنواة لمركز متخصص في زراعة الأعضاء. لكن الجميل في هذه التجربة أن تداول السلطة في إدارتها، وتسليمها وتمليكها لأهل البلاد الأصليين جرى بسلاسة كبيرة.

ومن الدور الطبي إلى الدور الدعوي، الذي يقول الدكتور حسن عشاوي أنه لم يكن يفكر فيه باعتباره ليس مؤهلا له، لكن حبه للقراءة، وحبه لمشاركة ما لديه من خير، وحبه لرسول الله دفعه لبدء محاضرات عن السيرة النبوية، كان الإقبال عليها في البداية بسيطا، ثم ما لبث أن زاد بفضل أسلوب التشويق الذي استخدمه فيها، وهو ما جعل مساجد المدينة، وغيرها من مساجد زيمبابوي تدعوه لتكرار محاضراته فيها. ثم ما لبث أن أضاف إليها قصص الصحابة بادئا بالعشرة المبشرين بالجنة، و70 من الصحابة والصحابيات، ثم ما لبث أن طاف بها أيضا في مساجد زيمبابوي، ومن إلقاء تلك المحاضرات شفاهة، إلى تسجيلها كشرائط سي دي وجمعها في موقع، وفي كتب بالعربية ثم إلى ترجمتها للإنجليزية.

الدكتور حسن عشاوي في دوره الطبي والدعوي، لم ينقطع عن الانفتاح على المجتمع والحكومة الزيمبابوية، ولا عن السفارة والجالية المصرية والعربية، حتى لقب بيته بـ"بيت الأمة"، ولم ينس الدكتور حسن انتماءه للغة العربية، فقد حرص على تربية أبنائه وأبناء الجالية المصرية والعربية على تعلم اللغة العربية حتى لا ينسوها في غمرة دراستهم وتحديثهم بالإنجليزية في تعليمهم وفي المجتمع.

وعلى الرغم من أنني كنت أتوقع من الدكتور حسن ع شماوي أن يتوسع ويتعمق أكثر مما فعل في مذكراته في سرد جوانب الحياة في زيمبابوي، وجوانب تجربته وخبرته، لتكون نواة وأساسا لمن يريد البناء عليها، إلا أن ذلك لا ينفي تقديري لما كتب، كون غيره ممن بقوا في غيرها من البلدان الأفريقية، وممن يملكون من الخبرات والتجارب مثل ما له لم يتحلوا بفضيلة "توثيق الخبرات والتجارب"، فإنه على الأقل فعل ذلك، وعذره وعذرنا جميعا أننا ليس لدينا نماذج إرشادية لهذا التوثيق، يستطيع عموم أصحاب المهن ممن يتعرضون لتجارب مماثلة في أي من بلدان العالم أن يسترشدوا بها، وعذرنا وعذر الدكتور حسن، أنه ليس لدينا مشروع للأمة ولا للدولة في هذه المجالات يمكن أن يرجع إليه الناس فيدلهم، في إطار من بناء الجسور الثقافية، وبناء القوة الناعمة للأمة والبلاد.

يمكنكم مطالعة موقع دكتور حسن ع شماوي وعليه محاضراته وكتبه:

[https://www.hassanashmawy.com /](https://www.hassanashmawy.com/)

كما يمكنكم مطالعة موقع الجمعية الطبية الإسلامية في زيمبابوي على الفيسبوك:

[https://www.facebook.com/IMAZimbabwe/?ref=page\\_internal](https://www.facebook.com/IMAZimbabwe/?ref=page_internal)



# توان جورو

السجين السياسي الذي صار معلما وإماما  
للمسلمين في جنوب أفريقيا

قد يبدل الله حالك كرها من النقيض إلى النقيض، من رغد إلى فقر، من حرية إلى سجن أو استعباد، من دفء الأهل في بلدك، إلى وحشة الغربة في بلد بعيد عنهم. فإذا لم يكن لك حيلة في منع أيا من ذلك فاعلم أنما يريد الله أن يضعك أمام اختبار من نوع جديد، فإذا بقيت معلقا بذلك الامتحان القديم، امتحان النعمة والرخاء - الذي كان في الصفحة السابقة من حياتك، متحسرا.. متألما.. بائسا، ربما أعاقك ذلك عن الإجابة الصحيحة على امتحان الصفحة الجديدة من حياتك.

هذا ما يخطر ببالك وأنت تقرأ بعض التفاصيل عن الحياة العجيبة لهذا الرجل الذي اشتهر في جنوب أفريقيا باسم توان جورو Tuan Guru وتعني المعلم الأكبر. وهو رجل ينطبق عليه كل ما قلت من تبدل الأحوال.

أما اسمه حقيقة فهو الإمام/ عبد الله بن القاضي عبد السلام، وهو من أحفاد عائلة من العلماء تعود أصولها إلى حضرموت من حواضر اليمن السعيد، وقد وصلت العائلة إلى الشرق الأقصى في القرن الرابع عشر. جده هو سونان جونونج جاتي، وهو مؤسس الإسلام الإندونيسي، الذي أصبح سلطان باتن وسيريون في جاوة في أواخر القرن الخامس عشر.

ومن سيريون سافر جد توان جورو، حبيب عمر رحمة الفاروق، إلى مولوكان عام 1646 لنشر الإسلام. واستقر في جزيرة تيدور، وأصبح أحد أفراد أسرة السلطان المالكة.

وقد ولد توان جورو في تيدور عام 1712. وباعتباره عضوا في العائلة المالكة، سرعان ما أصبح توان جورو محط اهتمام شركة الهند الشرقية الهولندية، التي خوفاً من الترد، احتجزته في باتافيا (جاكرتا)، وأخيراً نفتته إلى كيب تاون بأقصى جنوب أفريقيا عام 1780، أي وهو في سن الثامنة والستين.

وعند الوصول، تم إرسال توان جورو ورفاقه في السفر، القاضي عبد الرؤوف، ونور الإيمان، وبدر الدين، مباشرة إلى سجن مفتوح في جزيرة روبن، وظلوا هناك لمدة عام حتى أرسلهم الهولنديون، خوفاً من الغزو الإنجليزي، مع الأسطول الهولندي للاختباء في خليج سالदानا.

وعندما غزا الإنجليز هرب القاضي عبد الرؤوف ونور الإيمان إلى سفينة بريطانية، بينما اضطر توان جورو وبدر الدين إلى العودة سيرا على الأقدام إلى كيب تاون. ومن ثم تم إرسال توان جورو مرة أخرى إلى جزيرة روبن في عام 1786 عندما كان الهولنديون يخشون من حدوث انتفاضة، ولم يتم إطلاق سراحه إلا في عام 1791.

قصة توان جورو هذا وثقها الكاتب والمصور الصحفي والمحرر ومقدم البرامج الإذاعية والتلفزيونية شفيق مورتون Shafiq Morton في كتاب نشرته مؤسسة الأوقاف في جنوب أفريقيا عام 2019 وحمل عنوان "من جزر التوابل إلى كيب تاون: حياة وأوقات توان جورو From the Spice Islands to Cape Town: the Life and Times of Tuan Guru"،

وفي مراجعة للكتاب كتب هاين ويليمسي Hein Willemse من جامعة بريتوريا إنه على الرغم من أن الإسلام في الكيب قد تم قعه ودفعه إلى العمل تحت الأرض خلال ولاية شركة الهند الشرقية المتحدة الهولندية، فقد رسخ نفسه بقوة بين السود الأحرار والسكان المزدهرين من الطبقة الدنيا من العبيد. ومن المنطقي أن ينقل العمال والعبيد والمدانون والسجناء السياسيون في جنوب شرق آسيا تقاليدهم الدينية إلى عالمهم الجديد.

ويضيف أن الشيخ يوسف من ماكاسار، الذي قاوم فرض حكم شركة الهند الشرقية الهولندية في باتن وتم نفيه بعد ذلك إلى كيب مع حاشية مكونة من 49 شخصا في عام 1693، أي في أواخر القرن السابع عشر هو من وضع أسس الإسلام في الكيب.

وفي أغلب فترات حكم شركة الهند الشرقية الهولندية، كان المسلمون، عندما أتيحت لهم الفرصة، يتجمعون سرا في منازل السود الأحرار، أو في الغابات المحيطة والأماكن المنعزلة على جبل هويركواجو، في البحر. ويقال إنهم كانوا يميزون أنفسهم علناً من خلال التمسك الشديد بتقاليدهم وطريقة لباسهم وسلوكهم الاجتماعي وصناعتهم.

وينقل هاين عن كتاب شفيق أن توان جورو كان طوال معظم حياته (قبل الاختطاف والنفي) مستشاراً للسلطان جمال الدين، حاكم تيدور، وهي سلطنة كانت تقع على جزر مالوكو الاستوائية في أرخبيل جنوب شرق آسيا، وكان مصدر دخلها الرئيسي من التوابل، وفي وقت الصراع على تجارة التوابل بين الهولنديين وغيرهم من القوى الاستعمارية، تردد زعم بأن السلطان والعديد من حاشيته يتعاونون مع الانجليز، ومن ثم تم نفي السلطان إلى سيلان، وتم نفي توان جورو ورفاقه إلى باتافيا (جاكرتا عاصمة إندونيسيا حالياً)، ثم إلى الكيب.

ويشير هاين إلى أنه بين عامي 1667 و1793، تم احتجاز المئات من العبيد والمدانين من جنوب شرق آسيا في الكيب كمكان للاستعباد وكمستعمرة جزائية، إضافة إلى 182 من الأمراء والمستشارين والأئمة، وبحلول عام 1790، كان المجتمع المسلم يضم 2460 شخصاً، وارتفع إلى 6000 بحلول عام 1842، أي ثلث سكان مستعمرة الكيب. وكان هؤلاء الأشخاص في كثير من الأحيان متعلمين وتعرفوا في الكيب على التقاليد الأدبية الهولندية أو الأوروبية الأخرى السائدة.

وصل توان جورو إلى الكيب في وقت يعتبره شفيق مورتون وقت "التحضر والتوسع"، وفي مكان تم فيه قمع العقيدة الإسلامية، حتى لو كان قد تم التسامح معها لاحقاً. لكن في ذلك الوقت، كانت قيادة الطائفة الإسلامية تعمل سراً، وتم إهمال التعليم، وكانت مراعاة الممارسات الدينية والثقافية ضعيفة.

وباعتباره منفيًا من أصل ملكي، يبدو أنه لم يُحكم عليه بالأشغال الشاقة وقد استغل وقته في تأليف كتابه الأشهر "معرفة الإسلام والإيمان Ma'rifat al-Islam wa'l-Iman (The Knowledge of Islam and Faith)"، وهي مخطوطة تتكون من 613 صفحة مكتوبة بخط اليد تناول الشريعة الإسلامية والممارسات الدينية، مكتوبة بالحبر الأسود والأحمر باللغة العربية مع ترجمات باللغة الماليزية والبنغالية (وهي إحدى اللغات الإندونيسية يتحدث بها الآن ما يقرب من 4 ملايين إنسان)، وهو الكتاب الذي يقول عنه أحد المؤرخين أنه "لا يوجد كتاب آخر كان له تأثير أكثر أهمية في الكيب من هذه المخطوطة المكتوبة بخط اليد".

علاوة على ذلك، وبصفته حافظًا للقرآن، قام تون جورو بتدوين نص القرآن بالكامل من الذاكرة، وبالتالي إضفاء الطابع الرسمي على تقليد حفظ القرآن المحلي، ويُعرض اليوم أحد مصاحف تون جورو المكتوبة بخط اليد في "مسجد الأول" الذي أسسه تون جورو في كيب تاون.

وعند إطلاق سراحه من فترة سجنه الثانية عام 1791، بقي تون جورو في الكيب، وحول وحدته في المنفى والحنين إلى الوطن والغربة إلى قوة من أجل الخير، حيث اتخذ لنفسه زوجة وهو يبلغ من العمر 79 عاما حينها، وهي كيجدا (خديجة) فان دي كاب زوجة له، والتي أنجبت له ولدين، ولعب دورا رائدا في تنظيم وثقيف المؤمنين، مما جعله "أول ناشط حضري مسجل في بلادنا".

وبحلول عام 1794، كان يعيش في مكان يقع في شارع دورب في بو-كاب، وهو أحد العقارين المتجاورين اللذين اشتراهما كوريدون سيلان الأسود الحر. وهناك أنشأ أول مدرسة دينية إسلامية، في جنوب أفريقيا عام 1793. والتي بحلول عام 1825، بلغ عدد طلابها 491 طالبا. وكانت المدرسة الأولى والمسجد مركزاً لنشاط المجتمع الإسلامي المتنوع

الذي جاء أتباعه من جنوب شرق آسيا، وأجزاء من أفريقيا، ومن جزر المحيط الهندي وأماكن أخرى.

حيث كانت المدرسة والمسجد "مساحة داخل الفضاء الاجتماعي الاستعماري الحالي الذي يمكن أن يتواجد فيه العبيد والسود الأحرار، والطبقة الدنيا في الكيب"، و"مؤسسة شاملة في مجتمع استعماري حصري" وتحت توجيهاته تطورت "هوية كيب تاون الفريدة"، والتي دجت مجتمع السود والعبيد الأحرار المتنوع في "مجموعة يمكن التعرف عليها".

ومن خلال قواعد الإملاء العربية، لعبت المدرسة الأولى دوراً محورياً في تطوير تقليد مجتمعي بديل لمحو الأمية والذي تغير تدريجياً من الملايو إلى كيب الهولندية وأدى إلى ظهور ما نعرفه اليوم، من تقليد الكتابة العربية الأفريكانية.

وبدءاً من تاون جورو، الذي توفي عام 1807، أسس الأئمة والقادة المسلمون المتعاقبون تقاليد التعليم الإسلامي المحلي وشبكة من منظمات دعم المجتمع التي استمرت بعد الإدارات الهولندية والبريطانية وأوائل جنوب إفريقيا وما زالت تزدهر حتى القرن الحادي والعشرين.

يقول شفيق مورتون عن تاون جورو: هو رائد التعليم في جنوب أفريقيا، (ومن ثم جاء هذا اللقب: تاون جورو المعلم الأكبر)، وهو بطل عظيم قام بتعليم جميع العبيد في كيب تاون ليس فقط عن الكرامة، بل عن الإسلام.

وتقول قصة تاون جورو لنا: علينا أن ننظر دائماً إلى الصفحة التي نحن فيها "هنا والآن"، ونحولها إلى ساحة للعمل البناء الذي نتجاوز به أحاسيس الغربة، والحنين إلى الماضي، والأسى على ما فات.

لمصدر المعلومات والمزيد منها:

مقال لشفيق مورتون:

<https://boorhaanol.org.za/our-bo-kaap/legends/tuan-guru-by-shafiq-morton/>

مراجعة لكتابه عن تـوان جورو:

[https://www.scielo.org.za/scielo.php?script=sci\\_arttext&pid=S0041-476X2020000100019](https://www.scielo.org.za/scielo.php?script=sci_arttext&pid=S0041-476X2020000100019)

صفحة الكتاب على موقع مؤسسة الأوقاف بجنوب أفريقيا:

<https://awqafsa.org.za/from-the-spice-islands-to-cape-town-the-life-and-times-of-tuan-guru/>

محاضرة لشفيق مورتون حول تـوان جورو:

[https://www.youtube.com/watch?app=desktop&v=dRAJylFukDw&ab\\_channel=IslamicForum](https://www.youtube.com/watch?app=desktop&v=dRAJylFukDw&ab_channel=IslamicForum)



# أبو بكر أفندي

مبعوث الدولة العثمانية لمسلمي  
جنوب أفريقيا في القرن التاسع عشر

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كان قد مضى على وفاة توان جورو - مؤسس أول مسجد ومدرسة في جنوب أفريقيا - نصف قرن، تضخم خلالها عدد سكان الكيب المسلمين في الحجم والذين كانت أغليتهم من أصول إندونيسية جلبتهم سلطات الاحتلال الهولندي (ممثلة في شركة الهند الشرقية الهولندية) من بلادهم كعبيد بداية عام 1653، لتستخدمهم كعمال بالسخرة في مستعمرتها في جنوب أفريقيا، لكن هذا المجتمع مع غياب قيادات دينية متعلمة كان ينزلق إلى الانحدار، حيث كان الكثير من الأئمة، يفتقرون إلى التعليم، يتصارعون فيما بينهم على المكاسب التي يحصلونها من مكانتهم الدينية في أوساط ذلك المجتمع، كان الصراع لا ينتهي، حتى وصلت وقائعه المتعددة إلى محكمة كيب العليا.

كان الإنجليز قد استولوا من الهولنديين على مستعمرتهم في جنوب أفريقيا، حين وجه مجموعة من شيوخ المجتمع المعنيين دعوة لإرسال مدرس يقودهم ويعلمهم دينهم من اسطنبول. لا أحد يعرف من هم هؤلاء الأشخاص، لكن تدخلهم هو الذي أدى إلى إرسال الملكة فيكتوريا طلبا إلى السلطان العثماني عبد العزيز لاختيار إمام مبعث إلى جنوب أفريقيا، وقد وقع اختياره على الشيخ "أبو بكر أفندي"، العالم العثماني، الذي وصل إلى جنوب أفريقيا في أوائل عام 1863، بعد رحلة طويلة من إسطنبول إلى باريس، إلى لندن، ثم إلى ليفربول، حيث أخذ الباخرة في رحلة استمرت 44 يوما إلى رأس الرجاء الصالح، التي وصل إليها في 17 يناير من عام 1863. وكما يقول شفيق مورتون أحد كتاب سيرته "فقد رحب به أولئك الذين يتوقون إلى التعلم، وواجه سوء المعاملة من زمرة من الأئمة الذين شعروا بالتهديد منه. ومن المحزن أن سخطهم هو الذي أفسد قصته لأكثر من 140 عاما".

ولد أبو بكر أفندي في عام 1814 في ولاية شهرزور إيالة العثمانية (على الرغم أنه شاع أن سنة ميلاده هي عام 1835)، وهو من عائلة تنتسب إلى آل البيت من ناحية زيد بن علي بن الإمام زين العابدين، رض الله عنهم، هاجرت الأسرة في القديم من مكة أيام الدولة العباسية، ثم إلى منطقة الأكراد أيام حكم السلاجقة.

درس أبو بكر أفندي في المدرسة التي أنشأها في الأصل جده أبو نصر الأمير سليمان القرشي الأجددي لمن أراد التعلم، ودرس أيضا في مكة، والتحق بأسرته في أرضروم حيث أجرى المزيد من الدراسات، ثم ذهب إلى إسطنبول عام 1862 لطلب المساعدة لأهل أرضروم الذين كانوا يعانون من آثار المجاعة، إلى أن طلبت منه الحكومة السفر إلى مستعمرة الكيب. حيث صدر عام 1862 مرسوم إمبراطوري عثماني بإرسال أبو بكر أفندي الأجددي، وعمر لطفي أفندي إلى الكيب.

كان أبو بكر أفندي ضليعا في الفقه الإسلامي، حيث كان لديه إلمام شامل ومعرفة عملية بالمذاهب الفقهية السنية الأربعة. بينما كان الأئمة الآخرون في الكيب يقومون بتدريس المذهب الشافعي، لكنهم كانوا قد تأثروا بالممارسات الثقافية من أماكنهم الأصلية، كما أن استبعادهم وإبعادهم عن أماكنهم الأصلية لفترة طويلة ومنعهم من ممارسة شعائر دينهم لفترة طويلة من قبل السلطات الهولندية أدى إلى انحرافهم عن معتقداتهم الأصلية.

كان الأئمة في الكيب يتنافسون على منصب الإمام، لما يحققه لهم من مكاسب مادية، حتى صاروا يتداولون المناصب فيما بينهم، وقد أكد أبو بكر أفندي أن هذه التصرفات تخالف الشريعة تماما ولا تستند إلى أي آية من القرآن. ومن الواضح أن تدخل أبو بكر أفندي في بعض عادات المسلمين المحلية أثر على المصالح الشخصية لبعض الأئمة الذين سبق لهم أن رحبوا به عند وصوله إلى الكيب.

في عام 1877 نشر الشيخ أبو بكر أفندي كتابه الأشهر "بيان الدين" باللغة الأفريكانية بالحروف العربية، وهو الكتاب الذي طبعته وزارة التعليم التركية في إسطنبول، ويتمتع

الكتاب بأهمية خاصة باعتباره واحدا من أكثر المنشورات انتشارا عندما كانت اللغة الأفريكانية لا تزال في مهدها. تناول "بيان الدين" موضوعات الفقه الإسلامي، بما في ذلك الوضوء والصلاة والحج وأحكام الطعام.

وقد أفتى أبو بكر أفندي في كتابه بأن المحار وخاصة جراد البحر حرام أكله. وأدى ذلك إلى صراع داخل طائفة الكيب ذات الأغلبية الشافعية، وقد رأى بعض أئمة ومشايخ الكيب أنه لا يوجد دليل واضح وقطعي على حرمة جراد البحر. ومن ثم كتبوا عريضة يطالبون فيها بإخراج أبو بكر أفندي من الكيب. ورغم أن علماء الحنفية والشافعية قد اتفقوا على أن جراد البحر حرام أكله، ومن ثم، يبدو أن أبو بكر أفندي كان على حق في بيانه للشريعة الإسلامية في هذه المسألة. رغم ذلك فقد أدت فتاواه، سواء في قضية جراد البحر أو معارضته لتداول منصب الإمامة والإفتاء إلى اهتزاز مكانته في المجتمع.

وإضافة إلى مساهماته القانونية كان لأبي بكر أفندي تأثير هائل على الحياة الثقافية لمسلمي رأس الرجاء الصالح. حيث كان الزي الذي يرتديه مسلمو كيب متأثرا بالمستعمرين الأوروبيين، إلا أنه بعد وصول أبو بكر أفندي مباشرة، أصبح الطربوش التركي غطاء الرأس التقليدي لمسلمي الرأس بسبب نفوذه.

وقد كانت لأبي بكر أفندي مساهماته التربوية والفكرية بعد خمسة عشر يوما فقط من وصوله، حيث افتتح مدرسة دينية للبنين؛ وفي غضون عشرين يوما تم تسجيل أكثر من 300 تلميذ. وبحلول الوقت الذي افتتح فيه مدرسة أخرى للبنات، كانت زوجته هي مديرة تلك المدرسة.

وكان يخطب في أيام الآحاد الجموع، كما كان يعطي دروسا في التفسير، وفي الوقت نفسه، قام بتثقيف نفسه أيضا لكي يفهمه السكان المحليون، حيث تعلم وأتقن اللغتين الأفريكانية والإنجليزية، وفي إطار أنشطته التعليمية زار عدداً من المدن والبلدات ووعظ فيها، كما ذهب إلى موزمبيق المجاورة وجزر موريشيوس.

وإذا كان أبو بكر أفندي قد جاء إلى الكيب كأجنبي، إلا أنه من خلال الزواج، وتكوين عائلة أصبح مرتبطاً بالدم بأهل البلاد، حيث تزوج أبو بكر أفندي مرتين خلال إقامته في رأس الرجاء الصالح. تزوج أولاً من رقية ميكرو يوم الأربعاء 8 أبريل 1863 في كيب تاون، لكن صعوبات التواصل أدت إلى العديد من المشاجرات المنزلية وفي النهاية اضطر إلى طلاقها. وفي 30 ديسمبر 1864، تزوج من طاهرة سابان كوك، وهو الزواج الذي أثبت أنه كان سعيداً، وأثمر عن خمسة من الأبناء وبناتاً واحدة، وقد ساهموا جميعاً بأدوار مهمة، سواء في المجتمع المسلم بجنوب أفريقيا، أو في الدولة العثمانية، وقد توفي أبو بكر أفندي في 29 يونيو 1880 في كيب تاون، وتم دفنه في أقدم مقبرة إسلامية موجودة في جنوب أفريقيا.

وقد ظهرت كتابات عدة لإحياء سيرة الشيخ أبو بكر أفندي، منها ما كتبه سليم عرجون عنه في عام 2000 بعنوان "حياة ومساهمة العلامة العثماني أبو بكر أفندي في الفكر والثقافة الإسلامية في جنوب أفريقيا"، ومنها الدراسة التي قدمها سرهات أوراكتشي لنيل درجة الماجستير من جامعة جوهانسبرج عام 2007 بعنوان "تحليل تاريخي للروابط البازغة بين الإمبراطورية العثمانية وجنوب أفريقيا بين 1861 و1923"، وآخرها كتاب شفيق مورتون "الهلل في الكيب: الشيخ أبو بكر أفندي 1814 - 1880" والصادر عام 2022.

لمصدر المعلومات والمزيد منها طالع دراسة سليم عرجون التي تقدم بها لجامعة جوهانسبرج:

<https://awqafsa.org.za/wp-content/uploads/2012/07/ARTICLE-OOTOMAN-ABUBAKR-EFFENDI-S-ARGUN-THESES1.pdf>

وطالع الويكيبيديا:

[https://en.wikipedia.org/wiki/Abu\\_Bakr\\_Effendi](https://en.wikipedia.org/wiki/Abu_Bakr_Effendi)

واطلع على إعلان كتاب المؤرخ الجنوب أفريقي المسلم شفيق مورتون "الهلال في الكيب:  
الشيخ أبو بكر أفندي 1814 - 1880"

<https://hikmah.co.za/product/the-crescent-at-the-cape-the-true-story-of-shayykh-abu-bakr-efendi-1814-1880-by-shafiq-morton/>

وطالع إعلان الكتاب الذي نشره سرهات أوراكتشي عام 2011 بعنوان الإرث العثماني  
في جنوب أفريقيا، والمبني على دراسته المذكورة:

<https://www.amazon.co.uk/Ottoman-Legacy-South-Africa-Historical/dp/3845429038>



# أحمد عطاء الله أفندي

قصة اغتيال أول وآخر قنصل عثماني  
مقيم في سنغافورة

ما بين جنوب أفريقيا وسنغافورة، عاش أحمد عطاء الله أفندي Ahmet Atullah Effendi حياة قصيرة لكنها كانت ذخرة بالأحداث والتنقلات والأدوار الاجتماعية والثقافية والسياسية، لتنتهي حياته نهاية مأساوية عن عمر يناهز الـ 38 عاما فقط، حيث ووري جثمانه في مقبرة المسلمين في سنغافورة بعد أن شيعه الآلاف منهم.

أحمد عطاء الله هو الابن الأكبر للشيخ أبو بكر أفندي، وهو أول عالم وفقهه وإمام ترسله الدولة العثمانية إلى كيب تاون عام 1862، أما أمه فهي راقية (رقية) ميكرو، وهي ابنة لأسرة انجليزية من سكان كيب تاون، أسلم أبواها. ولد أحمد في مارس من عام 1865، وتلقى تعليمه الأول في المدرسة الدينية العثمانية التي أسسها أبوه، والتي كانت فرصة له للانغماس في بيئة متعددة الثقافات واللغات، بعد ذلك التحق بأكاديمية ماكليان حيث تلقى تعليما عاديا لبضع سنوات.

وفي سن الثانية عشرة اصطحبه أبوه في رحلة إلى الآستانة، مرورا بمكة، حيث تلقى بعض التعليم هناك، وفي اسطنبول ترك أبو بكر أفندي ولديه أحمد عطاء الله وهشام نعمة الله لتلقي مزيد من التعلم هناك، حيث حصل أحمد على أول درجاته التعليمية، ثم انتقل الأخوان للدراسة بالجامع الأزهر في القاهرة.

وكما تشير دراسة لـ "حليم جينكوغلو" فإنه بعد وفاة والدهما عام 1880، عاد الفتيان إلى كيب تاون، حيث تولى أحمد عطاء الله إدارة المدرسة التي تركها أبوه والتدريس فيها، وفي هذه المرحلة قام بتأليف كتاب "تحفة الإسلام".

وفي عام 1883 تزوج أحمد عطاء الله من أسرة تعود أصولها إلى الملايو من الذين كان الاحتلال الهولندي قد استعبدتهم وجلبهم إلى كيب تاون، وقد أثمر هذا الزواج ولدين وبنتين كان لهما شأن في الحياة العامة في جنوب أفريقيا وبريطانيا بعد ذلك.

وفي عام 1886، تم إغلاق مقبرة تانا بارو، أقدم مقبرة إسلامية في جنوب أفريقيا، من قبل الحكومة الاستعمارية بسبب تفشي الوباء في المدينة، وتسبب إغلاق المقبرة في حالة من الاستياء الكبير بين مسلمي الكيب الذين أرادوا حماية المكان الذي دفن فيه آبائهم وأمهاتهم، جنبا إلى جنب مع رفات رموز المجتمع المسلم، ومنهم الشيخ أبو بكر أفندي، والد أحمد عطاء الله، ومن ثم طلب منه أعضاء المجتمع المشاركة في حملة لإنقاذ المقبرة من الإغلاق.

وبالفعل شارك عطاء الله في قيادة الحملة بإلقاء المحاضرات، كما كان ضمن الوفود الكبرى التي توجهت لرئيس الوزراء والحاكم وأمين المستعمرات لإثباتهم عن القرار. ووفقا لسجل أرشيف الكيب، وفي إطار الحملة، تواصل عطاء الله مع الجالية الهندية المسلمة لحثهم على المشاركة في الحملة. وإذا كانت حملة منع الإغلاق لم تفلح في منع القرار، إلا أنها أثرت عن منح الحكومة الاستعمارية قطعة أرض بديلة للمسلمين لاتخاذها مقبرة جديدة لهم.

وقد كان لمشاركة أحمد عطاء الله في هذه الحملة دور في تعزيز مكانته في المجتمع المسلم في جنوب أفريقيا، ومن ثم فقد دفعته رغبته في الدفاع عن حقوق مجتمع المسلمين في مستعمرة كيب تاون إلى الترشح لعضوية البرلمان عام 1894، إلا أن ذلك البرلمان والذي كان يسيطر عليه المستعمرون بصفة أساسية قام بتعديل قانون الانتخابات من أجل عرقلة ترشحه وانتخابه، وشنت الصحف الموالية حملة عليه، مرة بحجة أنه من أصول أجنبية، ومرة بحجة أنه رجل دين بسيط ولا يفهم في السياسة، وبالتالي فقد حرم من عضوية البرلمان.

قبل ذلك كان عطاء الله قد انتقل إلى كيمبرلي عاصمة مقاطعة الكيب الشمالي، حيث افتتح المدرسة العثمانية الحميدية هناك بدعم من الدولة العثمانية، وعمل مدرسا بها بعدما ترك إدارة مدرسة كيب تاون لأخيه هشام نعمة الله، وبعد إخفاقه في عضوية البرلمان واصل عمله في المدرسة، فضلا عن عمله محررا لمجلة "مسلم جورنال"، إلى أن انتقل بأسرته

إلى اسطنبول عام 1898 حيث أقام مع أسرته إلى أن تم تعيينه قنصلا عاما مقيما في سنغافورة عام 1901.

وكما يشير "جينكوغلو" فيلإى جوار عمله بالتدريس وتحرير المجلة، وخلال أعوام التسعينات كان عطاء الله يقوم بعمل أقرب لعمل الدبلوماسي في إطار سياسة "الجامعة الإسلامية" التي انتهجها السلطان عبد الحميد، حيث قام بزيارة موزمبيق وزيمبابوي، وكينيا وأوغندا وبريطانيا، وكان يكتب تقارير منتظمة عن زيارته تلك للدولة العثمانية، وهنا لابد من الانتقال للحديث عن جانب آخر من الصورة، حول العثمانيين وسنغافورة.

كانت سنغافورة في البداية جزيرة للصيادين، وكانت في الأصل تابعة لسلطنة جوهر وهي إحدى السلطنات التي تكونت في مجموعة الجزر التي تشكلت منها إندونيسيا وماليزيا وسنغافورة لاحقا.

وقد وقعت الجزيرة تحت سيطرة البرتغال في القرن السادس عشر، ثم هولندا في القرن السابع عشر، ثم تم افتتاح مكتب تجاري لشركة الهند الشرقية البريطانية في الجزيرة عام 1819م بترخيص من السلطنة. وبعد ذلك، أصبحت تحت الحكم المباشر لبريطانيا في عام 1824، وأصبحت المركز الإداري لمستوطنات المضائق البريطانية في عام 1826.

ووفقا لكتيب صادر عن السفارة التركية في سنغافورة عام 2015، فإن العلاقات العثمانية الرسمية بدول المنطقة تعود إلى منتصف القرن التاسع عشر، وقبل ذلك كانت علاقات المسلمين من شعوب المنطقة مع الشرق الأوسط تتخذ طابعا تجاريا، إضافة للطابع الديني ممثلا في رحلات الحج.

في المقابل كان المسلمون ينظرون الدولة العثمانية كقوة يتم اللجوء إليها للمساعدة في دفع قوى الاستعمار البرتغالي ثم الهولندي والبريطاني بداية من القرن السادس عشر. وبالفعل

كانت الدولة العثمانية تبعث في البداية بسفن للمساعدة، إلا أنها مع ضعفها وانشغالها بمشكلاتها الداخلية صارت عاجزة عن القيام بهذا الدور.

ومع استمرار التواصل من قبل مسلمي المنطقة بالدولة العثمانية رأت الأخيرة أن يكون لها ممثلين في المنطقة، وهو ما بدأ بالفعل منذ عام 1865، حيث سعى العثمانيون لتعيين وجهاء الحضارمة المقيمين في المنطقة كقناصل لها، حيث تم تعيين السيد عبد الله بن عمر الجنيد قنصلاً لها في سنغافورة بداية من ذلك العام، وهو ما اقتضى سلسلة من الإجراءات الطويلة طلباً لموافقة سلطات الاحتلال البريطاني، وبعد وفاة القنصل المعين، قام بعض أفراد من الحضارمة سواء من عائلة الجنيد أو عائلة السقاف برعاية المصالح العثمانية في المنطقة دون تعيين رسمي، بسبب حيولة البريطانيين أو الهولنديين دون ذلك، إلى أن عاد البريطانيون وسمحوا بتعيين قنصل جديد.

ومن ثم، وفي عام 1901 تم تعيين أحمد عطاء الله بك كقنصل عام مقيم للدولة العثمانية في سنغافورة لأول مرة، وهو الأمر الذي استغرق الاستعداد له، والموافقة عليه وقتاً طويلاً أيضاً، وفي الأخير تسلم عطاء الله منصبه وتم افتتاح القنصلية في 16 نوفمبر من عام 1901، وقد تميزت فترة عمله القصيرة (3 سنوات)، بنشاط وافر في أوساط المجتمع المسلم في سنغافورة، وكما يشير جينكوغلو فإن نشاطه الوافر هذا حظي بتغطية إعلامية مكثفة، وربما أزعج الأوساط السياسية هناك، وقد تناول في خطابه صراحة مخاوفه بشأن البيئة السياسية المحيطة به.

وفي مساء 9 نوفمبر من عام 1903، حضر عطاء الله مناسبة في دار الحكومة، وفي طريق عودته في وقت متأخر قبيل الثانية من صباح يوم 10 نوفمبر تعرض لحادث سير تسبب اضطرابه للقفز من العربة بعدما أصاب الحصان الذعر وبدأ بالركض بشكل غير طبيعي، الأمر الذي تسبب في إصابته بجروح خطيرة أدت لوفاة.

وبعد وفاته، كُتبت العديد من المقالات عن حياته في وسائل الإعلام في سنغافورة وجنوب إفريقيا وتركيا. وقد بدأ وكأن الحادث اغتيال مخطط له، فكما نقل جينكوغلو وبحسب مصدر تركي، فقد قُتل عطاء الله على يد عميل سري إنجليزي بسبب نشاطاته السياسية باسم الخلافة العثمانية، كما نقل كتيب السفارة التركية في سنغافورة عن مؤرخ معاصر لتلك الفترة قوله: كان أحمد عطاء الله بك دبلوماسياً مخلصاً وصریحاً للغاية مما كلفه حياته.

وفي الختام فإن جنازة أحمد عطاء الله التي أقيمت يوم 11 نوفمبر قد حظيت بحضور الآلاف من المشيعين بمن فيهم سلطان جوهر ورئيس وزرائه، وحاكم سنغافورة بالإناابة، والقناصل العامین في سنغافورة، فضلاً عن مسئولین عسكريين، وتم دفن الجثمان في المقبرة الملكية لأسرة سلطان جوهر وهي جزء من مقبرة تيلوك بلانجا الإسلامية.

وبعد مصرع أحمد عطاء الله، لم يتم تعيين قنصل عام مقيم آخر، وعهدت سلطات الاحتلال البريطانية إلى القنصل الألماني برعاية المصالح العثمانية، وفي الأخير، ومع دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا ضد بريطانيا وفرنسا، أنهى ذلك أي احتمال لتعيين قنصل عام مقيم جديد، أو حتى لرعاية مصالح الدولة العثمانية هناك.

لمصدر المعلومات وللمزيد منها طالع دراسة حلیم جینکوغلو:

[https://www.academia.edu/9091612/THE\\_FIRST\\_MUSLIM\\_POLITICIAN\\_OF\\_SOUTH\\_AFRICA\\_AHMET\\_ATAULLAH\\_BEY\\_1865\\_1903\\_by\\_Halim\\_GENCOGLU](https://www.academia.edu/9091612/THE_FIRST_MUSLIM_POLITICIAN_OF_SOUTH_AFRICA_AHMET_ATAULLAH_BEY_1865_1903_by_Halim_GENCOGLU)

وطالع كتيب السفارة التركية في سنغافورة:

[https://www.mfa.gov.tr/site\\_media/html/singapur\\_v1\\_en.pdf](https://www.mfa.gov.tr/site_media/html/singapur_v1_en.pdf)



يقول الإمام علي رضي الله عنه "منهومان لا يشبعان، طالب علم وطالب مال"،  
 وبالسعادة تك عندما تكون طالب علم، فيقودك التنقيب عن المعارف في موضوع ما، إلى  
 اكتشاف بعد آخر، وتبلغ السعادة منك مداها عندما تقودك هذه الرحلة إلى اكتشاف  
 كنز معرفي ثري ومجهول بالنسبة لك، كالذي توصلت إليه وأنا أبحث في تاريخ المسلمين في  
 جنوب أفريقيا حينما وجدت أوراقا بحثية ومنشورات على مواقع الإنترنت تتحدث عن  
 القائد والناشط والمؤرخ الثقافي والاجتماعي صاحب القبعات العديدة والإسهامات  
 شديدة القيمة والثراء في التاريخ للثقافة والمجتمع المسلم في جنوب أفريقيا، وتحديدًا من  
 منطقة الكيب، وهو الدكتور أحمد ديفيدز Achmat Davids (1939 - 1998).

الدكتور أحمد ديفيدز هو أحد أبناء مجتمع المسلمين في منطقة الكيب، وتحديدًا في منطقة  
 بو كاب Bo-Kaap والتي تعني أعلى منطقة الكيب بلغة الأفريكاز، والتي كانت تُعرف  
 سابقًا باسم حي الملايو. وكانت منطقة معزولة عنصريًا في السابق، وتقع على سفوح تل  
 سيجنال فوق وسط مدينة كيب تاون وهي مركز تاريخي لثقافة الملايو في المدينة، ويقع فيها  
 مسجد نور الإسلام، الذي أنشئ عام 1844.

أول ما يقابلك وأنت تبحث عن الرجل عدة مقالات لمراجعة درة أعماله وهو كتاب  
 "الأفريكانيون من مسلمي الكيب من 1815 إلى 1915 The Afrikaans of the  
 Cape Muslims from 1815 to 1915" وهو الكتاب الذي كان في أصله رسالة  
 ماجستير تمت مراجعتها وتحريرها ونشرها في كتاب بعد وفاته، والذي قام فيه بعمل رائد  
 في دراسة التراث اللغوي الذي كتبه المسلمون باللغة الأفريكانية وبالأحرف العربية في  
 هذه الحقبة الزمنية سواء المنشور منه أو المخطوط.

والأفريكانية لمن لا يعرف هي خليط من العامية الهولندية التي استخدمت من قبل المحتلين  
 الهولنديين والغربيين مختلطة بلغات ولهجات المستعبدين من شعوب الملايو (الذين جلبتهم  
 هولندا من مستعمرتها في إندونيسيا) والأفارقة، وتطورت لتكون لغة مستقلة بذاتها. وقد

ساهم كتاب أحمد ديفيدز في تجلية دور المسلمين في تطوير الأفريكانية خاصة عندما قاموا بكتابة نصوصهم بها مستخدمين الأحرف العربية، وكيف أثر ذلك من الناحية اللغوية والثقافية.

وعندما تشرع في مطالعة مراجعات هذا الإسهام العلمي تكتشف أنه ليس الإسهام الوحيد القيم للرجل، فالرجل كعالم وكاتب له العشرات من المقالات العلمية المنشورة في الدوريات والمقالات العامة المنشورة في الصحف والمجلات، كما أن له العديد من الكتب، والتي يذكر منها الباحثون ثلاثة كتب أخرى على الأقل، أولها كتابه "مساجد بو كاب Mosques of Bo-Kaap" (1980) والذي نال استحسانا كبيرا باعتباره كتابا يقدم تاريخا اجتماعيا وثقافيا حيا للمسلمين في سياق سياسي واجتماعي متغير، وليس مجرد تاريخ مباني.

أما كتابه الثاني فكان عنوانه تاريخ تانا بارو The History of Tana Baru (1985)، وتانا بارو - وتعني الأرض الجديدة بلغة الملايو - هي أول مقبرة للمسلمين تأسست بعد السماح بالحرية الدينية عام 1804، وتضم رفات المسلمين الأوائل في الكيب، كما تضم رفات ثلاثة من كبار أئمة المسلمين، وقد تم إغلاق المقبرة فيما بعد، والكتاب أيضا يقدم تأريخا اجتماعيا وثقافيا سياسيا حول قضية مهمة تواجه العديد من مجتمعات الأقلية المسلمة. أما الكتاب الثالث لأحمد ديفيدز فيضم عددا من الأوراق البحثية حول تاريخ المسلمين، والتي شارك في تأليفها وتحريرها، وجاء بعنوان "صفحات من تاريخ مسلمي الكيب Pages from Cape Muslim History" (1994)، وللرجل كما يذكر أحد المواقع 40 ورقة بحثية تاريخية، فضلا عن أوراقه البحثية اللغوية.

لكنك عندما تتعمق في البحث حول حياة أحمد ديفيدز تجد العديد من الأدوار التي قام بها، والعديد من القبعات التي ارتداها، وكما يشير مقال تعريفي قصير عنه فإن إرثه العام

والجامع يكمن في التزامه ببناء مجتمع أفضل، ومن ثم فإن كفاحه طوال حياته، وإسهاماته كانت لتحقيق هذا الحلم.

بعد الانتهاء من تدريبه كأخصائي اجتماعي (1964)، انضم إلى العمل مع كوباجاني (1965-1967) وهي مؤسسة معنية بمكافحة سوء التغذية، حيث عمل في إطعام وتعليم الفقراء، واكتسب خبرة عملية عن آفة الفقر وأوجهه المتعددة، مما عزز أسلوبه في العمل من خلال "الإدارة بالرحمة".

وبصفته مديراً للخدمات الاجتماعية في المجمع الإسلامي (1967 - 1980) وجد قاعدة للتفاعل مع أسر المحرومين اجتماعياً، وصياغة وبدأ في إطلاق أديباته لبناء المجتمع، أولها "مشاعر المجتمع والبلدات الملونة الجديدة" (1969)، والتي تلتها أوراق بحثية تم تقديمها في المؤتمرات، ومنشورات في المجالات الأكاديمية ألهمت ووفرت التوجيه للناشطين الواعين بالمجتمع.

ومن هنا جاء دوره كقائد مجتمعي ساهم في تأسيس وإدارة العشرات من مؤسسات المجتمع في مجالات التعليم ورعاية الأطفال والمسجونين، وفي مراكز بحوث ودراسات متعددة في أكثر من جامعة فضلاً عن عضوية لجان تراث وآثار كيب تاون. وقد كان أبرز أدواره المجتمعية تأسيسه لحركة ومؤسسة برهان الإسلام في مجتمع بو كاب، والتي تقول في تعريفها لنفسها: كانت حركة برهان الإسلام هي المنظمة المجتمعية البارزة في بو كاب على مدار الخمسين عاماً الماضية، جمعت بين المبادرات التعليمية الدينية وبرامج الارتقاء الاجتماعي والاقتصادي الرائدة تحت قيادة اثنين من أشهر أبناء المنطقة، وهما الراحل الإمام عبد الرحمن بصير وصديقه المقرب الأخصائي الاجتماعي الراحل والمؤرخ والباحث الدكتور أحمد ديفيدز.

وزيادة في الانخراط المجتمعي، ساهم أحمد ديفيدز بخبراته المتعددة في تأسيس واستمرار إذاعة "صوت الكيب Voice of the Cape" كأفضل محطة إذاعة مجتمعية في جنوب

أفريقيا، عمل فيها كمدّيع وباحث، ومقدم إلى أن أصبح مديرا للمحطة، حيث ساهم في صياغة سياسة لغوية وتحريرية وتوجه مجتمعي مميز ومنفتح للإذاعة، مما دفع المحطات التي نشأت بعد ذلك إلى محاكاتها.

وأخيرا وعلى الرغم من عمره القصير نسبيا (59 عام)، إلا أن الناظر لحياته لا يخطئ أنه كان إنسانا منتبيا أولا لمجتمعه المسلم، ثم لمجتمعه متعدد الأطياف ثانيا، حيث خبر هذا المجتمع من أزقته وبيوت فقرائه، وثانيا أنه كان إنسانا دؤوبا لا يكف عن العمل ولا عن تطوير ذاته، نحلة لا تكف عن إنتاج العسل، حيث ارتقى من مراتب الأخصائي الاجتماعي إلى الأنثروبولوجي الاجتماعي، إلى التربوي، إلى المؤرخ الثقافي، إلى اللغوي... وكما يشير موقع "برهان الإسلام" فقد رفض أن تحتويه المدارس أو الهياكل أو النماذج الخاصة بهذه التخصصات... وحرص على أن يقدم في كل مجال منها مساهمة ذات مغزى وليس إنجازا شخصيا، وقد أثبت ذلك من خلال ساعات طويلة من البحث المضني حتى على حساب حالته الصحية الشخصية، ورفض الانجرار إلى الخطاب الفارغ وفي كل حديث وكل ورقة سلها كان يحمل رسالة إيجابية للإنسانية - حتى لو بدا مثيرا للجدل من خلال صراحته الصادقة.

وأخيرا يُعتبر أحمد ديفيدز مرجعا رائدا في الثقافة والمجتمع والتاريخ الإسلامي في جنوب إفريقيا، وهذا ما دفع مؤسسة الرئاسة في جنوب إفريقيا إلى تكريمه عام 2019 بوسام إينخامانجا الفضي (بعد الوفاة): لمساهمته الممتازة في مجال الأدب والحفاظ على التاريخ من خلال رواية القصص، حيث أثرت أعماله فهمنا لمساهمة مسلمي كيب في تطوير اللغة الأفريكانية. كما جاء في مقدمة نص بيان التكريم.

لمصدر المعلومات والمزيد منها طالع موقع برهان الإسلام:

<https://boorhaanol.org.za/about/dr-achmat-davids-tribute/>

<https://boorhaanol.org.za/our-bo-kaap/legends/achmat-davids-rashard-jedaar/>

وموقع رئاسة جنوب أفريقيا:

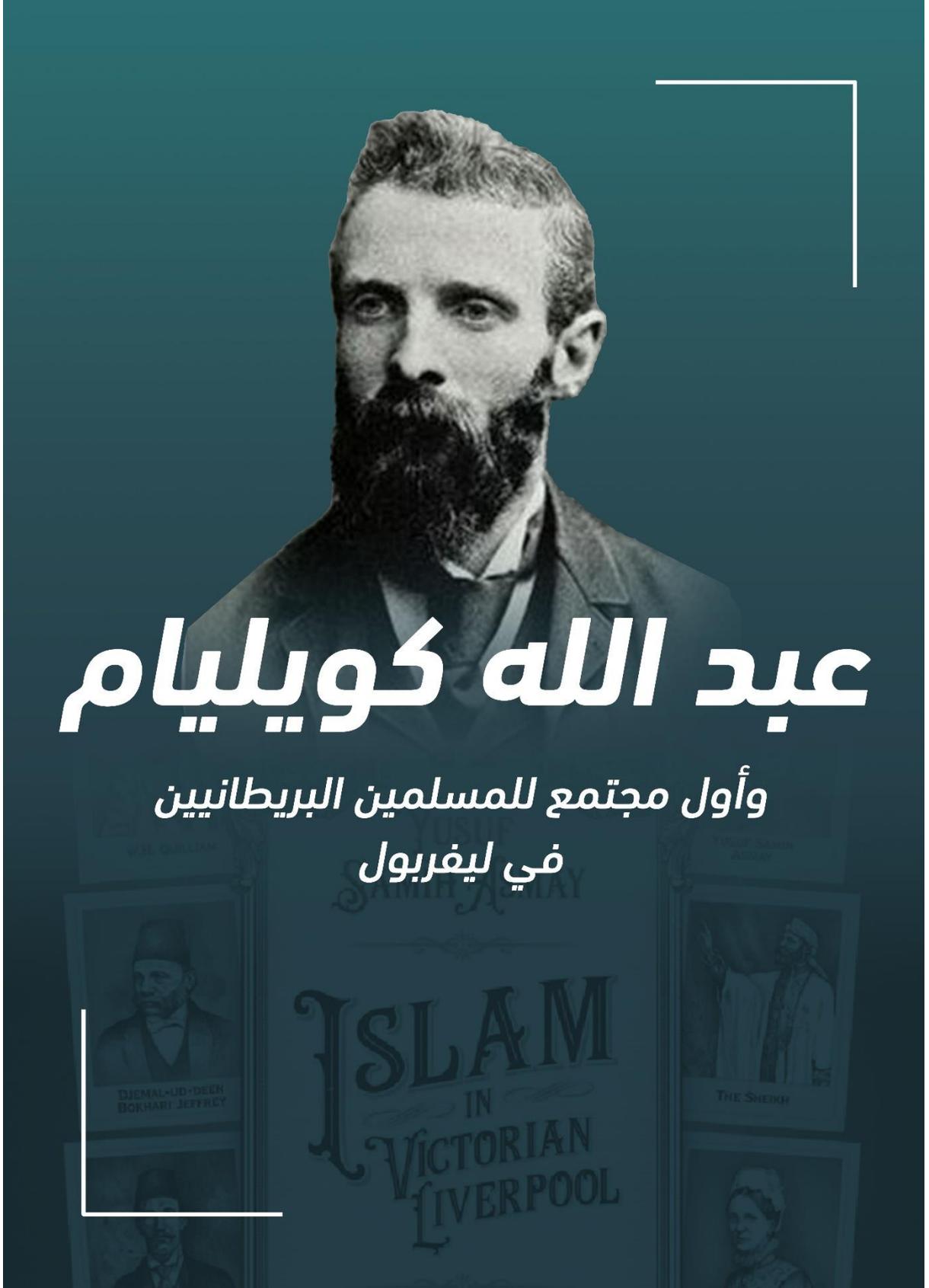
<https://www.thepresidency.gov.za/mr-achmat-davids-posthumous>

وطالع مراجعة لكتابه الأفريكانيون ومسلمو الكيب:

[https://www.academia.edu/7888869/Review\\_of\\_Achmat\\_Davids\\_The\\_Afrikaans\\_of\\_the\\_Cape\\_Muslims\\_from\\_1815\\_to\\_1915](https://www.academia.edu/7888869/Review_of_Achmat_Davids_The_Afrikaans_of_the_Cape_Muslims_from_1815_to_1915)

# عبد الله كويليام

وأول مجتمع للمسلمين البريطانيين  
في ليفربول



كثيرون منا نحن المصريون والعرب صار يعرف ليفربول بوجود اللاعب المصري محمد صلاح في فريقها لكرة القدم، لكن الذي لا يعرفه الكثيرون منا، هو أن ليفربول كانت موطننا لقصة تأسيس أول مجتمع للمسلمين البريطانيين، وأعني هنا المسلمين الذين اختاروا الإسلام طواعية وليس ميراثا من والديهم، وهي قصة بدأت فصولها من عيد الكريسماس لعام 1889، أي منذ أكثر من 133 عام، عندما اختار عبد الله كويليام Abdullah Quilliam (أحد أوائل البريطانيين الذين تحولوا للإسلام في العصر الحديث) البناية المعروفة باسم "بروجام تراس" وتحديدًا تلك التي تحمل رقم 8، ليؤسس فيها أول مسجد معروف في تاريخ بريطانيا.

لكن هذا التاريخ له ما قبله وما بعده، في حياة ويليام هنري كويليام (10 أبريل 1856 - 23 أبريل 1932)، والذي صار يعرف باسم "عبد الله كويليام" منذ إسلامه عام 1887، فمن هو عبد الله كويليام؟ وما هي قصته وقصة مجتمع المسلمين الذي كان له الفضل - بعد الله - في تأسيسه؟

عبد الله كويليام، هو ابن لأسرة ميسورة تنتمي لأحد تفرعات الكنيسة الميثودية في مدينة ليفربول، عمل منذ عام 1878 محاميا جنائيا كما عمل صحفيا في المدينة، كما كان جيولوجيا مرموقا، وكان من مؤيدي ما يسمى بحركة الاعتدال the temperance movement، وهي حركة اجتماعية بريطانية قامت بحملة ضد بيع الكحوليات وحضت على الامتناع التام عن تعاطيه، باعتباره خطرا على رفاة المجتمع، مما يؤدي إلى قضايا اجتماعية مثل الفقر وإهمال الأطفال والفساد والتدهور الاقتصادي، وهي أمور عاينها كويليام بنفسه وهو يعمل محاميا جنائيا في ليفربول، وقد كانت من أكثر المدن البريطانية الموبوءة بكل تلك الأمراض الاجتماعية/الاقتصادية بسبب التبائن الشديد لدى سكانها

بين الثراء الشديد والفقير المدقع، وقد صار كويليام بعد ذلك واحدا من خطباء الحركة المفوهين الداعين والمدافعين عن مبادئها.

وفي عام 1882، ونتيجة الإرهاق من ضغط العمل، سافر كويليام إلى فرنسا للاستجمام، ومنها سافر إلى الجزائر والمغرب، وفي المغرب اعتنق الإسلام في سن الواحد والثلاثين، وعاد مسلما إلى ليفربول عام 1887. وهناك، في ليفربول، بدأ كويليام سلسلة من الأعمال الرائدة في تاريخ الإسلام والمسلمين في بريطانيا:

- تأسيس أول مسجد معروف في بريطانيا: حيث بنى كويليام مصلى للمسلمين الذين وصل عددهم بعد خمس سنوات لما يقارب 250 مسلم بريطاني، وهو المصلى الذي عرف باسم "مسجد ليفربول"، وفيه تكونت نواة أول مجتمع للمسلمين في البلاد. ومن شرفات بناية ذلك المسجد كان يصدح المؤذن بالآذان لأول مرة في بريطانيا باللغتين العربية والإنجليزية (حتى يفهم السكان ماهية ما يقال).
- تأسيس أول معهد لتعليم الإسلام في بريطانيا: والذي حمل اسم معهد مسلمي ليفربول Liverpool Muslim Institute وبه قاعة محاضرات، ومكتبة وقاعة للمطالعة، ومتحف، ومعمل للعلوم، وهناك تم تنظيم دروس للمسلمين وغير المسلمين. كما أسس الكلية الإسلامية Muslim College، وهي جمعية للمناظرات الأسبوعية.

- تأسيس أول صحيفة إسلامية في بريطانيا: وهي صحيفة "ذا كريستنت The Crescent" والتي صدرت أسبوعية بانتظام من يناير 1893 حتى مايو 1908، الصحيفة التي كانت تطبع في مطبعة بنفس المباني التي استأجرها كويليام للمسجد والمعهد كانت سجلا أسبوعيا للإسلام في إنجلترا والجزر البريطانية، وهي بذلك أول وأقدم إصدار منتظم يعكس ويخدم أوائل من اعتنقوا الإسلام في بريطانيا. وإضافة لآلاف النسخ التي وزعت من الصحيفة في الجزر البريطانية، فقد حظيت

بألاف المشتركين في العديد من بلدان العالم المسلم ومنه وغير المسلم في معظم قارات العالم. صحيفة "ذا كريست" هذه كانت تطورا لمجلة شهرية سبقتها حملت اسم "ذا إسلاميك وورلد The Islamic World"، والتي أصدرها كويليام منذ عام 1889. وقد جرت محاولتين لإعادة إصدار الصحيفة بنفس الاسم، أولاهما كانت عام 2003، لكنها فشلت بسبب عبء نفقات طباعة وتوزيع الصحيفة. كما تمت محاولة لإحيائها كموقع إلكتروني من عام 2021.

- أول مدرسة: حيث افتتح مدرسة داخلية للبنين، وأخرى نهارية للبنات من الأطفال غير الشرعيين، الذي لم يستطع آباؤهم رعايتهم، وقد عرفت تلك المدرسة باسم "دار المدينة Medina House".

- أول كتاب للتعريف بالإسلام يكتبه بريطاني مسلم: والذي حمل اسم "الإيمان الإسلامي The Faith of Islam" وطبعت منه 2000 نسخة عام 1889، و3000 نسخة عام 1890، وقد ترجم الكتاب لاحقا إلى 13 لغة، كما ألف كتابا للأنشيد الإسلامية باللغة الإنجليزية.

- اعتناق عدد من الأعيان للإسلام: بفضل الجهود الدعوية لعبد الله كويليام، تأسس كما قلنا مجتمع يزيد عن 250 من المسلمين البريطانيين ويصل البعض بالرقم إلى 500، وقد تمثل في هذا المجتمع جميع الطبقات، شمل عددا من الأعيان في زمانهم، كان من بينهم البروفيسور نصر الله وارين، والبروفيسور هاشم وايلد، إضافة إلى روبرت رشيد ستانلي، أحد قضاء الصلح المعينين من قبل التاج البريطاني، والذي عمل كعمدة سابق لبلدة ستالبريدج، إحدى بلدات مانشستر. كما ضم هذا المجتمع واحدة من أوائل النساء البريطانيات اللاتي اعتنقن الإسلام وهي فاطمة إليزابيث كيتس، والتي عملت كأمين صندوق في مشاريع كويليام، وكانت أيضا من مناصري حركة الاعتدال قبل إسلامها. كما شمل ذلك المجتمع مايكل هول،

وهو واعظ ميثودي سابق، اعتنق الإسلام عام 1891، والذي توفي لاحقاً وأقيمت له أول مراسم دفن إسلامي في ليفربول.

لم يسلم هذا المجتمع البريطاني المسلم الصغير من الأذى، تماماً كما تعرض مجتمع المسلمين الوليد في مكة للأذى. وشمل هذا الأذى، الأذى اللفظي، والبدني متمثلاً في قذف الحجارة والطين والروث، والخضروات الفاسدة، وتكسير نوافذ المسجد والمعهد وتلطيخهم، والتهديد بحرق كويليام حياً. وهو الأذى الذي تعرض له معظم أفراد ذلك المجتمع. وكان من بين الأذى المعنوي الذي تعرض له المسلمون في ذلك المجتمع هو عرض مسرحية مسيئة للرسول باسم ماهوميت Mahomet، وهو الاسم المسيء الذي اعتاد الغربيون إطلاقه على الرسول، وقد استدعت المسرحية أن ينظم كويليام احتجاجات ضد عرضها عام 1890.

سافر كويليام كثيراً، ونال العديد من التكريات من قادة العالم الإسلامي. حيث منح السلطان عبد الحميد الثاني، الخليفة العثماني السادس والعشرون، كويليام لقب شيخ الإسلام للجزر البريطانية. كما اعترف به أمير أفغانستان باعتباره شيخ المسلمين في بريطانيا كما منحه ولي العهد الأفغاني نصر الله خان تبرعاً كبيراً بمعايير ذلك الزمان ساعده في تأسيس مشروعاته، وفضلاً عن ذلك فقد عينه الشاه نائباً للقنصل الفارسي في ليفربول. وكان كويليام كذلك على اتصال بمسلمي غرب إفريقيا الناطقين باللغة الإنجليزية وقام بجولة في المدن الساحلية في المنطقة في طريقه إلى لاغوس لحضور تأسيس مسجد شيتا باي في عام 1894.

كانت لعبد الله كويليام مواقف ضد السياسات الخارجية للإمبراطورية البريطانية، ومنها موقفه ضد حملتها الموجهة ضد المسلمين ممثلين في السلطة العثمانية، حيث استغل فرصة وجود رئيس الوزراء البريطانية ويليام جلادستون في ليفربول وإلقائه خطاباً يقول فيه إن بريطانيا سوف تتخذ إجراءات ضد الدولة العثمانية بسبب موقفها من الأرمن، ليلقي خطاباً

مضادا متهما الحكومة بازدواجية المعايير، فعندما يلقي أرمني قنبلة في شوارع إسطنبول ويقتل النساء والأطفال يعتبر بطلا قوميا، أنا إذا قاتل الأفغاني في ممر خيبر من أجل وطنه فيعتبر خائنا ومرتدا. كما هاجم مشاركة المسلمين من أهل المستعمرات البريطانية في الحرب في السودان ضد إخوانهم من المسلمين. وقد توترت علاقة كويليام بالصحافة البريطانية بسبب مشاركاته النقدية بالرسائل في المواقف المختلفة، معبرا عن آراء لم تكن ترق للمزاج البريطاني العام حينها.

كغيرها من التجارب البشرية، لم تكن تجربة المجتمع البريطاني المسلم في ليفربول مثالية، فقد شابها بعض العيوب، وتعرضت للانتقادات خاصة من بعض من زاروا ليفربول في سنوات التجربة، وإذا كان كويليام قد استطاع قيادة المجتمع الأول لتحقيق الإنجازات السابق ذكرها، فقد كان لنمط قيادته دورا في تلاشي المجتمع، وذلك عندما سافر كويليام لعدة سنوات من عام 1908 حتى عام 1914، فكان أن أغلق المسجد، وتفرق المجتمع، فعندما غادر كويليام بريطانيا بشخصيته الكاريزمية، أخذ معه الطاقة التي حافظت على مهمته الفردية بنجاح كبير. وبغيابه عن إدارة ما بناه من مؤسسات ومن عمل، تراجعت المؤسسات التي أقامها، وانتهى الأمر بالمسجد في النهاية في أيدي مجلس مدينة ليفربول.

ولا تشير المصادر إلى سبب سفر كويليام، ولا لماذا عاد إلى المملكة المتحدة قبل ديسمبر 1914 تحت اسم آخر هو إتش إم ليون أو هنري مصطفى ليون، ولا لماذا لم يعد إلى موطنه في ليفربول، ولا لماذا أمضى الكثير من وقته في جزيرة مان، وهي الجزيرة التي كان قد قضى فيها قسما من طفولته والتي تنتمي إليها جذور عائلته.

لكن أحد المصادر يشير إلى مشاركته في عضوية "جمعية مسلمي بريطانيا British Muslim Society" عام 1914، ولكن ماذا فعل فيما بقي له من حياة إلى أن توفي في لندن عام 1932؟ لكن الشاهد أنه ظل وفيا لإسلامه حتى وفاته، كما أشار كتاب سيرته. والمعلوم المؤكد أنه دُفن في قبر غير مميز في مقبرة بروكوود الشهيرة بالقرب من ووكينج،

حيث دفن بالقرب منه في وقت لاحق المسلمون البريطانيون البارزون عبد الله يوسف علي، ومحمد مرمدوك بيكغال (الذي ترجم كل منهما القرآن)، واللورد هيدلي. وقد حظي تراث عبد الله كويليام بعناية المؤرخين ومجتمع المسلمين في بريطانيا، والذي وصل وفق إحدى الإحصائيات إلى 3.5 مليون نسمة تقريبا، على الرغم من تشكيك البعض في دقة تلك الإحصائيات.

فقد تأسست عام 1997 جمعية عبد الله كويليام Abdullah Quilliam Society، والتي قامت بشراء المباني رقم 8 و10 من "بروجام تراس" من البلدية في عام 2000، وأعدت افتتاحه كمسجد عام 2014 بعد مرور حوالي 105 عام على افتتاح كويليام للمسجد الأول واعتنت بأرشفيف كويليام.

كما نشر عالم الأديان المقارنة البريطاني رون جيفز Ron Geaves أول كتاب يحمل سيرة حياة عبد الله كويليام عام 2010، وهو الحدث الذي حظي بتغطية كبيرة من الإعلام، وأحدث موجة من الوعي بتاريخ الإسلام في بريطانيا. ثم قام أحد الكتاب والأكاديميين من المسلمين البريطانيين بالاهتمام بتراث كويليام، وهو الكاتب والباحث المسلم يحيى بيرت Yahia Birt، حيث شارك في عدد من الأعمال لتوثيق تاريخ هذا المجتمع المسلم الذي أسسه كويليام منها:

- الكتاب الذي شارك في ترجمته والذي يحمل عنوان "الإسلام في ليفربول في العصر الفيكتوري وعنوانه: تقرير عثماني حول مجتمع المسجد الأول في بريطانيا Islam in Victorian Liverpool: An Ottoman Account of Britain's First Mosque Community" والصادر في عام 2021، وهو كتاب أعده الصحفي العثماني/ المصري يوسف سميح أصمعي Yusuf Samih Asmay كتقرير شاهد عيان على مجتمع ليفربول المسلم.

- الكتاب الذي شارك في إعداده حول فاطمة كيتس، والذي يحمل عنوان "فاطمة ليفربول: قصة فاطمة كيتس، المرأة الفيكتورية التي ساعدت في تأسيس الإسلام البريطاني Our Fatima of Liverpool: The Story of Fatima Cates, the Victorian woman who helped found British Islam والذي صدر في يناير 2023.

- الكتاب الذي شارك فيه مع رون جيفز وضم قصائد عبد الله كويليام The Collected Poems of Abdullah Quilliam والصادر عام 2021.

وإذا كان كويليام هو أبرز شخصيات المسلمين البريطانيين في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، فقد كانت هناك شخصيات أخرى في غير ليفربول اختارت الإسلام طواعية، وقد حظوا بعناية المؤرخين حديثاً، وهو ربما ما يتاح لنا تناوله في مقالات أخرى إن شاء الله.

لمصادر المعلومات والمزيد منها:

[https://en.wikipedia.org/wiki/Abdullah\\_Quilliam](https://en.wikipedia.org/wiki/Abdullah_Quilliam)

[https://web.archive.org/web/20070923014058/http://news.independent.co.uk/uk/this\\_britain/article2826203.ece](https://web.archive.org/web/20070923014058/http://news.independent.co.uk/uk/this_britain/article2826203.ece)

[https://www.bbc.co.uk/legacies/heritage/england/liverpool/article\\_2.shtml](https://www.bbc.co.uk/legacies/heritage/england/liverpool/article_2.shtml)

وشاهد زيارة لمسجد ليفربول الأول بعد أن استعادته جمعية عبد الله كويليام:

<https://www.facebook.com/watch/?v=551205227126599>

وحول كتب يحيى بيرت شاهد على موقع أمازون:

إسلام ليفربول في العصر الفيكتوري:

[https://www.amazon.co.uk/Islam-Victorian-Liverpool-Britains-Community/dp/1800119828/ref=d\\_pd\\_sbs\\_sccl\\_1\\_4/262-3781034-2897358?pd\\_rd\\_w=nig9t&content-id=amzn1.sym.c633ef94-5925-4800-8916-1372f3be4382&pf\\_rd\\_p=c633ef94-5925-4800-8916-1372f3be4382&pf\\_rd\\_r=Q908Q096R4R6FTPFKEYN&pd\\_rd\\_wg=NluwE&pd\\_rd\\_r=afdf356f-2b1e-41c2-b1f6-f851ab01810b&pd\\_rd\\_i=1800119828&psc=1](https://www.amazon.co.uk/Islam-Victorian-Liverpool-Britains-Community/dp/1800119828/ref=d_pd_sbs_sccl_1_4/262-3781034-2897358?pd_rd_w=nig9t&content-id=amzn1.sym.c633ef94-5925-4800-8916-1372f3be4382&pf_rd_p=c633ef94-5925-4800-8916-1372f3be4382&pf_rd_r=Q908Q096R4R6FTPFKEYN&pd_rd_wg=NluwE&pd_rd_r=afdf356f-2b1e-41c2-b1f6-f851ab01810b&pd_rd_i=1800119828&psc=1)

فاطمة ليفربول:

<https://www.amazon.co.uk/Our-Fatima-Liverpool-Victorian-British/dp/1915025745#:~:text=Our%20Fatima%20of%20Liverpool%20consists,a%20focus%20on%20Victorian%20Islam>

القصائد المجموعة لعبد الله كويليام:

[https://www.amazon.co.uk/Collected-Poems-Abdullah-Quilliam/dp/1912356899/ref=asc\\_df\\_1912356899/?tag=googshopuk-21&linkCode=df0&hvadid=570340370289&hvpos=&hvnetw=g&hvrnd=6553742798698317013&hvpon=&hvptwo=&hvqmt=&hvdev=c&hvdvcmdl=&hvlocint=&hvlocphy=1006668&hvtargid=pla-1635882279546&psc=1&th=1&psc=1](https://www.amazon.co.uk/Collected-Poems-Abdullah-Quilliam/dp/1912356899/ref=asc_df_1912356899/?tag=googshopuk-21&linkCode=df0&hvadid=570340370289&hvpos=&hvnetw=g&hvrnd=6553742798698317013&hvpon=&hvptwo=&hvqmt=&hvdev=c&hvdvcmdl=&hvlocint=&hvlocphy=1006668&hvtargid=pla-1635882279546&psc=1&th=1&psc=1)

كتاب آخر عن عبد الله كويليام والإسلام في بريطانيا في العصر الفيكتوري:

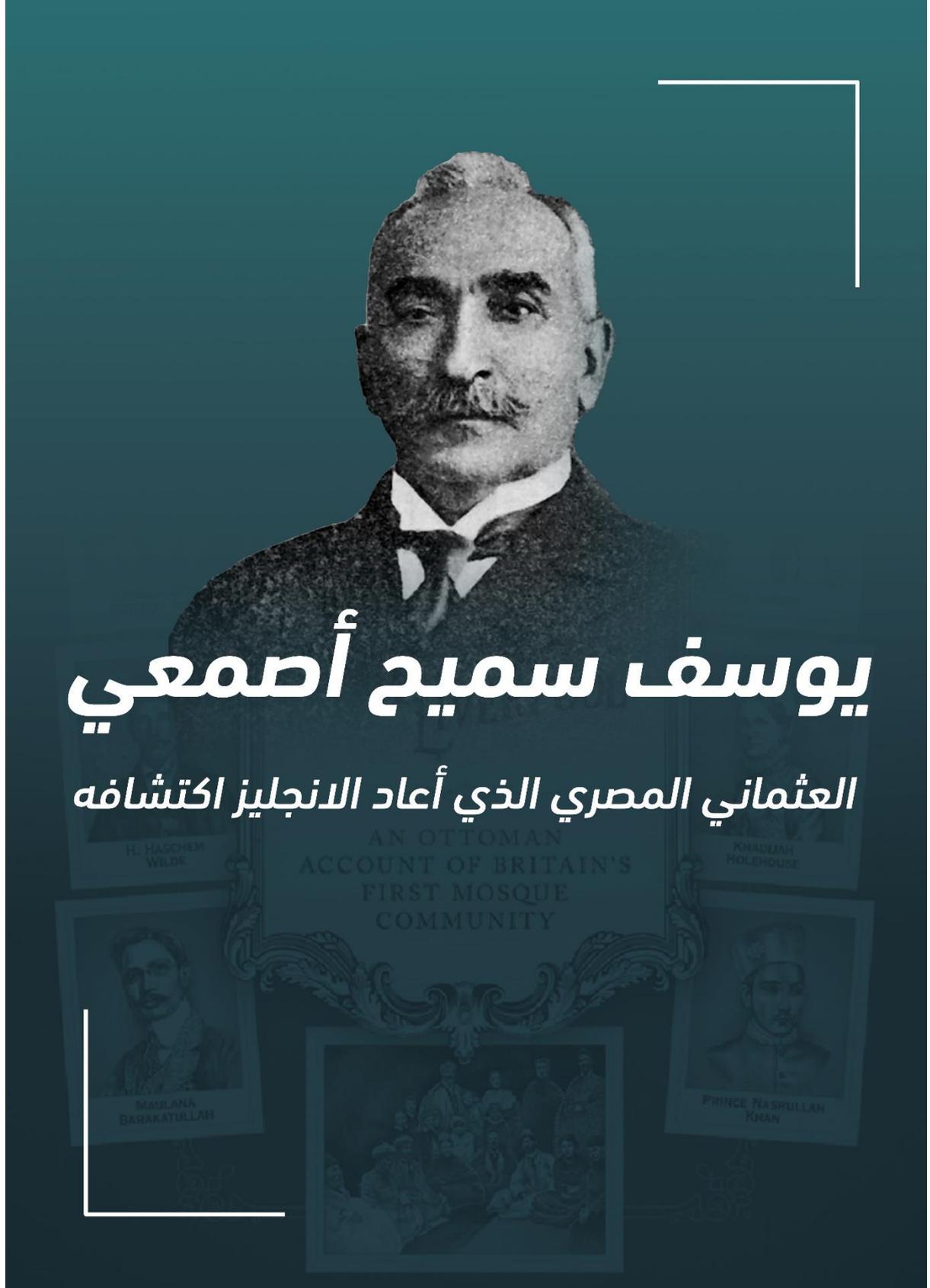
<https://www.amazon.co.uk/Islam-Victorian-Britain-Abdullah-Quilliam/dp/1847740103>

فيديو عن استعادة مسجد ليفربول:

<https://www.amazon.co.uk/Islam-Victorian-Britain-Abdullah-Quilliam/dp/1847740103>

كتاب عبد الله كويليام: الإيمان الإسلامي

<https://www.abebooks.co.uk/9781985330313/Faith-Islam-Explanatory-Sketch-Principal-1985330318/plp>



اكتشفت هذا الرجل بمحض الصدفة وأنا أبحث في تاريخ المسلمين البريطانيين، مبتدئاً بتاريخ المجتمع الأول للمسلمين في ليفربول، والذي بدأ بشخص واحد، صار قائداً ومؤسساً لها المجتمع ومؤسسته، منذ أعلن إسلامه عام 1887، إلى نهاية نشاطه عام 1908، ومن ثم عثرت على كتاب حديث صادر عام 2021 بعنوان الإسلام في العصر الفيكتوري Islam in Victorian Liverpool والكتاب هو في الأصل ترجمة ودراسة لكتاب قديم من كتب الرحلات التي دونها يوسف سميح أصمعي (ت: 1942).

الطريف أنني اكتشفت أن هذا الكاتب عثماني مصري، صحيح أنه ولد في أضنة في زمن الدولة العثمانية - وإن كان تاريخ ميلاده غير محدد - لكنه حينما أنهى تعليمه في إحدى مدارسها تم تعيينه لتدريس اللغة العثمانية في إحدى مدارس مدينة طنطا المصرية، ومنذ ذلك الحين استقر في مصر، فعاش وعلم وألف وسافر وعاد إلى مصر والتي مات ودفن فيها، ولكنني للأسف لم أطلع اسمه في أي مصدر تاريخي مصري مما طالعت، وبالتالي فقد كان اكتشافاً بالنسبة لي، ولكن في بلاد الانجليز.

إضافة إلى عمل يوسف سميح أصمعي كعالم للغة العثمانية، فقد قام بتأليف كتابين حول قواعد اللغة العثمانية وتيسيرها على قراء العربية، أولهما صدر عام 1885. إضافة إلى ذلك فقد عمل بالترجمة، ثم قام بإصدار صحيفة "مصر" باللغة العثمانية عام 1889، ومن ثم أضاف إلى أعماله عملاً صحفياً. لكن يوسف أصمعي، كان إلى جانب ذلك رحالة، وله ثلاثة كتب في أدب الرحلات، كتابين منهما عن رحلتين إلى إنجلترا.

كان يوسف أصمعي إضافة إلى ذلك ناشراً، حيث نشر عدة كتب تركية في الدين والسياسة كان قد ترجمها إلى العربية، كما قام بنشر كتاب الزعيم الوطني مصطفى كامل المعنون باسم "المسألة الشرقية"، كما ترجم كتاب شيخ الإسلام في الدولة العثمانية عبد الله جمال الدين بن حسن شمس الدين والذي يدافع فيه عن الحجاب الإسلامي، كما نشر كتاباً يدافع فيه عن

استخدام الحروف العربية في كتابة اللغة التركية. وكان آخر كتبه - التي ألفها - في الرحلات هو كتابه عن رحلته إلى صقلية والذي نشره عام 1920.

زار أصمعي إنجلترا مرتين في الفترة من 1891 إلى 1895، وقد دون رحلته الأولى في شكل تقارير نشرت مجزأة، ثم قام عام 1892 بجمعها في كتاب تحت عنوان "سياحت أصمعي" حيث سافر من القاهرة إلى الإسماعيلية، ثم عبر قناة السويس إلى البحر المتوسط، ثم عبر البحر المتوسط إلى جبل طارق ثم إلى بليموث إحدى مدن الشاطئ الإنجليزي، ثم عبر القنال الإنجليزي وبحر الشمال وصولاً إلى لندن عبر نهر التايمز، وتناول في كتابه من منظوره العثماني المصري، الذي عين الاحتلال البريطاني لمصر، الثقافة والعادات البريطانية، ووجه انتقادات حادة إلى البريطانيين، حيث رأى في كتابه أن البريطانيين منافقين ومغرورين، ولديهم نفور عميق الجذور من الإسلام، وانتقد أصمعي كذلك في هذا الكتاب التصوير الخاطئ لتركيا في بريطانيا، منتقداً التصوف الفلكلوري "الأنتيكة"، مؤكداً أن سبب تخلف المسلمين هو إهمالهم وتهميشهم للإسلام السني الصحيح في بلدانهم.

كان الكتاب الذي صدر مترجماً بالإنجليزية، وهو مصدر المعلومات المتاح لدي عن الكاتب الاكتشاف، هو الكتاب الثاني من كتب رحلات يوسف أصمعي، وقد كانت رحلته التي دونها في كتابه الثاني، مختلفة عن رحلته الأولى - التي يبدو أنها كانت استكشافية بشكل عام - حيث أن تلك الرحلة الثانية التي تمت في عام 1895 كانت تستهدف بالأساس زيارة معهد مسلمي ليفربول Liverpool Muslim Institute الذي كان يقوده عبد الله كويليام، وقد نشرت تقارير رحلته أولاً على حلقات في الصحيفة المصرية قصيرة العمر والتي عرفت باسم "بصير الشرق"، والتي كان قد أسسها رشيد بك. ثم صدرت الرحلة كاملة في كتاب عام 1313 هـ / 1895-1896 م، والذي صدرت منه على الأقل طبعتين، وبقيت منه نسخة في جامعة أنقرة.

من تلك المواقف المتجذرة في الانتماء الديني، والانتماء لقضايا الأمة، سواء ضد الاحتلال البريطاني لمصر، أو مناصرة الحجاب وكتابة اللغة التركية بالأحرف العربية، وبنفس الروح النقدية الحادة التي كتب بها رحلته الأولى لإنجلترا وصل يوسف أصمعي إلى ليفربول في يوليو من عام 1895، وأمضى فيها 33 يوما.

عندما وصل أصمعي إلى ليفربول، كان معهد مسلمي ليفربول قد ودع لتوه نصر الله خان ولي العهد الأفغاني، الذي دعتة الملكة فيكتوريا لزيارة بريطانيا، وزار في آخر إقامته في بريطانيا المعهد، وتبرع له بمبلغ 2500 جنيه إسترليني، وألقى حينها كويليام كلمة قال فيها إن "شمس العقل تندفع بأشعتها على الغرب، بينما يحيط الشرق بظلال التقاليد والخيال"، و"ينبغي اتخاذ خطوات متتابعة بريطانيا العظمى في مسائل العلوم والفنون الجديدة". وقد رأى أصمعي في هذا أن كويليام يتخذ موقفا سياسيا لصالح الاستثمار الإمبريالي البريطاني في أفغانستان.

واستنتج أصمعي من ثم أن معهد مسلمي ليفربول كان "شيئا وهميا" غير تقليدي، ورأى أن هدف كويليام الاستراتيجي إنما كان تعزيز موقعه كسلطة دينية وسيطة ("شيخ الإسلام للجزر البريطانية") بين الإمبراطورية البريطانية، ومحياتها المسلمة ورعاياها، والدول الإسلامية المستقلة، وأهمها التي كانت المقاطعات العثمانية.

وبالروح التي جاء بها أصمعي، وباستنتاجه الذي وصل إليه انطلاقا من هذه الروح بأن مشروعات ومجتمع مسلمي ليفربول هو شيء وهمي، ويكان يستعمل كأداة بريطانية ضد الدولة العثمانية، حفل تقرير أصمعي عن رحلته والذي حمل عنوان "مسلمو ليفربول" بانتقادات دينية وسياسية حادة لهذا المجتمع ولعبد الله كويليام قائده، كما تبني كثيرا من الاتهامات الموجهة إليهم وإليه في الصحف البريطانية وفي المجتمع المحلي المعادي آنذاك. وهي الانتقادات والاتهامات التي ناقشها الباحثون الذين قاموا بترجمة الكتاب إلى الإنجليزية وكتابة دراسته التقديمية الضافية التي وصلت إلى 66 صفحة، والتي يمكن أن تستنتج منها

أن الكثير من تلك الانتقادات والانتقادات إما نابعة من الروح العدائية التي أتى بها يوسف أصمعي من مصر حيث الاحتلال البريطاني، ومن سياق تاريخي عدائي بين الإمبراطورية البريطانية والدولة العثمانية من جانب، ومن عدم تقديره لظروف المجتمع المسلم الوليد والتي تختلف بالكلية عن ظروف أي مجتمع مسلم في بلاد الأغلبية المسلمة، أو البلاد التي تتمتع بتقاليد إسلامية راسخة.

والغريب في شأن هذا الكتاب، أن عبد الله كويليام ظل يحظى بتأييد السلطان عبد الحميد الثاني حتى بعد طباعته، وأن السلطة العثمانية حينها ما لبثت أن قامت بحظر الكتاب.

في العموم، أظن أن حياة يوسف سميح أصمعي وتراثه الفكري يستحق دراسة علمية من أحد طلاب أقسام الدراسات العثمانية في مصر، حيث عاش معظم حياته ومات، مع أخذ الدراسة التقديمية التي وضعها الباحثون في مقدمة ترجمة كتاب أصمعي عن ليفربول في الاعتبار.

لمصادر المعلومات والمزيد منها:

طالع كتاب "الإسلام في ليفربول في العصر الفيكتوري.. تقرير عثماني حول مجتمع أول مسجد بريطاني Islam in Victorian Liverpool.. An Ottoman Account of Britain's First Mosque Community"، والذي يمكن الحصول عليه من هذا الموقع:

<https://www.amazon.co.uk/Islam-Victorian-Liverpool-Britains-Community/dp/1800119828>

كما يمكنك مطالعة تقرير مختصر حول الكتاب "ذا ميدان The Maydan" في هذا الرابط:

<https://themaydan.com/2021/06/an-argument-within-pan-islamism-yusuf-samih-asmay-and-abdullah-quilliam-in-late-victorian-liverpool/>



كانت فاطمة كيتس Fatima Cates (أو فرانسيس إليزابيث موراي) واحدة من ذلك المجتمع البريطاني المسلم الذي تجتمع حول مسجد ليفربول، وحول باقي المشروعات التي أسسها عبد الله كويليام في نهايات القرن التاسع عشر، لكنها لم تكن كأبي امرأة، إذ تمتعت بعقلية وشخصية استقلالية وحركية ناشطة في خير المجتمع حتى من قبل إسلامها.

وكما يقول تقرير لموقع "بي بي سي ريليجن" نشر في 20 نوفمبر 2022 فإنه "عندما ولدت فرانسيس إليزابيث موراي في عام 1865 في أسرة مسيحية صارمة في ليفربول، لم يكن ليتخيل الكثيرون أن حياتها ستقودها للمساهمة في تأسيس أول مسجد مسجل في المملكة المتحدة وتصبح فاطمة كيتس، أول امرأة معروفة اعتنقت الإسلام على الأراضي البريطانية.

وكما يضيف تقرير البي بي سي ف"رغم كل أهمية حياتها، فإنها كادت أن تُنسى بعد وفاتها. وظل قبرها في منطقة الأنفيلد بالمدينة بدون علامات حتى شرع حامد محمود، الذي أسس مدرسة دينية سميت باسمها في لندن، في محاولة تحديد موقع قبرها. وقال إنه كان مدفوعا بالرغبة في إبراز "شجاعة" فاطمة وتأثير المرأة في ظل وجود "المصادر اللامتناهية" حول الرجال.

وفي كتابه الذي حمل عنوان "فاطمنا الليفربولية" أو Our Fatima of Liverpool، والذي ساهم في إعداده الكاتب والباحث البريطاني المسلم يحيى بيرت، يتحدث حامد محمود عن اللقاء المصيري الذي بدأت حياتها تتغير منذ حضرته، وهو ذلك اللقاء الذي جرى في إحدى قاعات المدينة في يونيو من عام 1887، والذي كان منعقدا في إطار حركة الاعتدال temperance movement، تلك الحركة الاجتماعية التي نشطت في الولايات المتحدة وبريطانيا في ذلك الوقت لمنع الكحوليات، وهي الحركة التي ارتبطت أيضا بنشر الديمقراطية ومناهضة العبودية وبالدعوة للنقاية.

كانت هذه الحركة قد وجدت في ليفربول (الميناء الثاني في بريطانيا بعد لندن) بيئة خصبة. وكما يقول حامد محمود في الفصل الأول من كتابه، فقد كانت ليفربول في تلك الحقبة الاستعمارية هي أكثر المدن البريطانية من حيث معاقره الخمر، ومن حيث الجرائم، ومن حيث الفقر والقهر، ومن ثم لم يكن غريبا أن تنشط فيها حركة الاعتدال.

في تلك الليلة، كان المحاضر هو المحامي المفوه ويليام هنري كويليام، الذي اشتهر بقدراته الخطابية كحامي دفاع منذ عام 1885، والذي كان ناشطا أيضا في حركة الاعتدال، وفي تلك القاعة المخصصة للطبقة العاملة، تحدث كويليام ببراعته في تلك المحاضرة عن الموضوع الرئيسي وهو منع الكحوليات، وعرج بالحديث عن ثلاث شخصيات مهمة ذات صلة بمبادئ الحركة، وهم ويليام ويلبرفورس، عضو البرلمان الذي كان له الفضل في صدور قانون بريطاني لمنع الإتيجار في العبيد، والثاني هو جورج ستيفنسون وابنه روبرت اللذان كان لهما الفضل في تأسيس أول خط سكة حديد في العالم ما بين ليفربول ومانشستر، وقد كان الثالث هو محمد، رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي أشار إلى أنه ليس كأبي أحد.

يومها تحدث كويليام عن كفاح الرسول وصحابته ضد مشركي قريش، وقد كان حديثه على الرسول مفاجئا لفرانسيس لأن فكرتها عن الرسول - مما سبق وسمعتة - كانت سيئة، خاصة مواقفه من المرأة، ومن ثم كان الأمر موضع سؤال منها للمحاضر بعد انتهاء محاضرتة، والذي بين لها المعلومات الصحيحة، ثم أعارها نسخته من ترجمة القرآن، وقد كانت من ترجمة المستشرق البريطاني جورج سيل، حيث لم تكن هناك ترجمات قام بها مسلمون في هذا التاريخ، وطلب منها كويليام، ألا تعتمد على كلامه، وإنما عليها أن تقرأ وتقرر بنفسها.. وقد كان.

لكن خطوة بسيطة كمطالعة ترجمة كتاب "المحمدانيين"، كما كان يطلق على المسلمين، لم تكن لتربسولة في بيت فرانسيس، حيث حاولت أمها سلب الكتاب منها لإحراقه، ومنعها من

قراءته، لكنها أغلقت على نفسها باب غرفتها وشرعت في قراءته، واصطحبته معها أينما خرجت لحمايته، وقد ازداد الأمر سوءاً عندما كانت تلتقي بكويليام وأول من أسلم على يديه "علي هاملتون"، وعندما تكررت اللقاءات، وعندما أعطاها كويليام عدداً من الكتابات حول الإسلام، صارت والدتها أكثر عنفاً - لفظياً ومادياً - معها، منعاً لها من المضي قدماً في رحلتها نحو الإسلام، لكنها استمرت، بل إنها صارت ثاني من أسلموا.

ومن ثم، وفي 17 يوليو 1887 (أي بعد شهر واحد تقريباً على المحاضرة)، شاركت في تأسيس "جمعية مسلمي ليفربول Liverpool Muslim Society"، وصارت هي أمينة صندوق تلك الجمعية، واتخذت الجمعية لها مقراً عبارة عن غرفة صغيرة أعلى إحدى قاعات "جمعية الاعتدال" بالمدينة، وفي تلك الغرفة الصغيرة، كانت المجموعة الصغيرة تلتقي يوم الجمعة للصلاة وتعلم القرآن والإسلام، كما كانت تعقد لقاءات لعامة أهل ليفربول لتعريفهم بالإسلام، حتى مضى عامان وقد زاد عدد المسلمين من 3 إلى 18، منهم ثلاث نساء، كان لجهود فاطمة فضل في اعتناقهن للإسلام، وذلك إلى قام مالك الأرض بطرد المجموعة من المكان عام 1889.

ومن هناك انتقل الجمع إلى المبنى المعروف باسم (8 بروجام تراس)، والذي سمي بمسجد ليفربول أو معهد مسلمي ليفربول، والذي شهد مشاركة فاطمة في إلقاء المحاضرات، وفي الكتابة للصحف، وفي التواصل الخارجي سواء مع المجتمع الناشئ للمسلمين الهنود الناشطين الذين جاءوا للدراسة في ليفربول، ومع مسلمي الهند وصحافتها كتابة وشعراً ودعوة للدعم المادي لمشروعات مجتمع ليفربول المسلم الوليد، كما استمرت جهود فاطمة في دعوة البريطانيين من أهل ليفربول للإسلام، وخلال خمس سنوات في المقر الجديد بلغ عدد المسلمين 247 مسلم، ربعهم تقريباً من النساء. كان منهم أختها، اللتان أسلمتا وتزوجتا باثنين من الشباب الهندي المسلم.

ولكن، وعلى المستوى الشخصي، كانت فاطمة تمر بأسوأ ظروف اجتماعية يمكن أن تعرفها أي امرأة، فزوجها، الذي قيل أنه أسلم في تلك الفترة، لم تسلم فاطمة من أذاه المستمر لفظياً، وبدنياً، في البيت وفي العلن، ووصل الأمر للضرب المبرح، والجرح، والشروع في القتل، مما استدعى منها أن تطلب حماية الشرطة، وأن تقدم التماساً بالطلاق، لكناً قوبلت بقانون بريطاني متعسف تجاه طلبات النساء بالطلاق صادر عام 1857، ولذلك فإنها ورغم ما تعرضت له ورغم بلاغاتها للشرطة حصلت على قرار بالانفصال وليس الطلاق، لكن وفاة ذلك الزوج المسيء عام 1896 حررتها من تلك الحياة المأساوية.

وبعدها وبداية من عام 1898 عانت فاطمة من اعتلال في الصحة، وتفرغت لرعاية طفلها من زوجها، ومن ثم قلت نشاطاتها، لكن تفاعلها مع مجتمع المسلمين لم يتوقف، وقد عبرت عن ذلك عبر الكتابات، وعبر هديتها للمؤسسة والتي كانت عبارة عن فائزة رسمت عليها زهوراً وآيات من القرآن.

وفي أواخر أيامها عانت من الأنفلونزا، ثم من الالتهاب الرئوي حتى توفيت يوم 29 أكتوبر من عام 1900، وأقيمت لها مراسم دفن إسلامية في مقبرة أنفيلد، كأول شخص من المسلمين يدفن هناك.

وكما حظي كويليام بعناية متأخرة من مسلمي بريطانيا، فقد حظيت فاطمة كيتس عام 2014، بافتتاح حامد محمود لمدرسة باسمها في شمال شرق لندن إحياء لذكراها، كما تمكن من تحديد مكان قبرها عام 2019 خلال بحثه لإعداد الكتاب، فوجده غير مميز، ومن ثم بادرت إحدى مسلمات ليفربول وهي السيدة أميرة سكاريسبريك Amirah Scarisbrick بقيادة حملة خلال شهر رمضان من عام 2022 لوضع شاهد حجري على قبرها، وهو الشاهد الذي تم وضعه في 4 نوفمبر من نفس العام، كما حظي قبرها بزيارة جماعية من عدة جمعيات للمسلمين الجدد جاءت من أنحاء البلاد لزيارة قبرها والترحم

عليها، وكان الزيارة إحياء لذكرى ذلك المجتمع الأول للمسلمين البريطانيين الذي كان لجهود فاطمة دور كبير في تأسيسه ونموه.

المسلمون في بريطانيا، سواء من المسلمين الجدد، أو من الجيل الثاني والثالث من المسلمين يسعون لبناء ذاكرة جماعية لهم عبر التنقيب في التاريخ المبكر للإسلام في بريطانيا وإحيائه بكافة السبل، وإحياء تاريخ وذكر فاطمة إليزابيث كيتس، هو جزء من جهودهم تلك.

لمصادر المعلومات والمزيد منها طالع تقرير البي بي سي:

<https://www.bbc.co.uk/news/uk-england-merseyside-62616393>

وكتاب حامد محمود ويحيى بيرت عنها:

<https://www.amazon.co.uk/Our-Fatima-Liverpool-Victorian-British/dp/1915025745#:~:text=Our%20Fatima%20of%20Liverpool%20consists,a%20focus%20on%20Victorian%20Islam.>

ولقاء تلفزيوني مع حامد محمود عنها وعن الكتاب:

[https://www.youtube.com/watch?v=yEmxQ0i\\_c\\_w&ab\\_channel=FatimaElizabethPhrontistery](https://www.youtube.com/watch?v=yEmxQ0i_c_w&ab_channel=FatimaElizabethPhrontistery)

وفيديو عن المدرسة التي افتتحها حامد محمود باسم "فاطمة إليزابيث كيتس" وأنشطتها:

[https://www.youtube.com/watch?v=RxS3fH1M6VY&ab\\_channel=FatimaElizabethPhrontistery](https://www.youtube.com/watch?v=RxS3fH1M6VY&ab_channel=FatimaElizabethPhrontistery)

توثيق لزيارة مسلمي بريطانيا لقبر فاطمة إليزابيث كيتس بعد وضع شاهد باسمها عليه، لتذكرها والدعاء لها:

[https://www.youtube.com/watch?v=3-FgswU0fhI&ab\\_channel=FatimaElizabethPhrontistery](https://www.youtube.com/watch?v=3-FgswU0fhI&ab_channel=FatimaElizabethPhrontistery)

# محمد دوللي

التاجر الذي أسس أول مسجد "مؤقت"  
في لندن عام ١٨٩٠

في إطار رحلة استكشافية لتاريخ الإسلام والمسلمين في بريطانيا، اكتشفت اسم الحاج محمد دوللي (Mohammed Doulie (or Dollie) والذي يعتبره المؤرخون الآن أول من أسس مسجد في العاصمة البريطانية لندن، أواخر القرن التاسع عشر.

ويبدو أنني لم أكن الوحيد الذي "اكتشف" هذا الرجل الذي ربما لا تتوفر مصادر كثيرة متاحة عنه الآن، فقد سبق الجميع إلى ذلك استكشاف "عبد المالك تايلور"، وهو أحد المسلمين الجدد في بريطانيا، لموقع ذلك المسجد. يقول تايلور في مقال له نشر عام 2028 إنه عند قراءته لسيرة عبد الله كويليام، فوجئ بمعرفة أن هناك مسجد يُعرف باسم مسجد ريجنت بارك كان قد افتتح في لندن عام 1895.

ويبدو أن سبب المفاجأة هو أنه من المعروف تاريخياً - ووفقاً لتقرير نشره موقع الجارديان البريطانية عام 2016 - فإن أول مسجد مسجل افتتح في لندن، يعرف باسم مسجد فضل Fazl Mosque كان قد افتتح في منطقة ساوثفيلدز عام 1926.

وباعتبار أن عبد المالك هو أول بريطاني مسلم مؤهل للعمل كمرشد سياحي، فقد تساءل: أين يمكن أن يكون هذا المسجد؟ ومن الذي فتحه وماذا حدث للمؤسس؟ وماذا كانت نشاطات ذلك المسجد؟ وكما يقول فقد أثارت تلك الأسئلة فضوله للكشف عن ذلك المسجد الفيكتوري في لندن، وعن حياة مؤسسه الحاج محمد دوللي الذي وافته المنية في عام 1906.

وكما يشير المصدر فقد كان الحاج محمد دوللي ابناً لأب اسكتلندي، وأم من الملايو، ولد في كيب تاون بجنوب إفريقيا عام 1846، وقد سبق له افتتاح أول مسجد "حنفي" في كيب تاون مع هولندي اعتنق الإسلام في ثمانينيات القرن التاسع عشر. وقد وصل "دوللي" إلى

لندن في حوالي عام 1895، وأقام في شارع ألبرت مع ولديه، حيث كان من الصعب عليهم الدراسة في جنوب إفريقيا في ذلك الوقت.

وقد طلب من دولي - باعتباره حافظاً للقرآن - من قبل الجالية المسلمة في لندن الذين كان عددهم يتراوح ما بين 200 و300، أن يعلم أطفالهم القرآن، وقد وافق دولي، ومنذ ذلك الحين قرر تحويل غرفة الرسم في منزله إلى مسجد.

ومن ذلك المنزل - المسجد، كان "دولي" يغامر بالذهاب إلى مناطق مختلفة لأداء صلاة الجنازة، وداخل ذلك المسجد - البيت، كانت تقام الصلاة بصورة منتظمة، بما في ذلك صلاة العيد حيث كان المصلون يرتدون زيهم الوطني، مما لفت انتباه الجيران.

ومن هناك كان "دولي" يقدم إرشاداً دينياً، ودعمًا للبيض الذين يتحولون إلى الإيمان، كما كانت تحدث الزيجات بين الأعراق هناك أيضا. ومن ثم فقد كانت تلك الغرفة - المسجد بمثابة مركز لأعضاء المجتمع المسلم في العصر الفيكتوري الذين كانوا يعقدون اجتماعات حول المخاوف التي يعتقدون أنها ذات أهمية مثل الشؤون داخل الدول الإسلامية بما في ذلك الإمبراطورية العثمانية، وغالبا ما يقومون بالدعاء لرئيس الدولة الإسلامية، السلطان عبد الحميد الثاني آنذا، ومن ثم فقد كان هذا المنزل المسجد مكانا تحدثوا فيه بصوت موحد.

وفي حوالي عام 1899، انتقل دولي وعائلته إلى مكان آخر في وسط لندن، وتحديدًا للعنوان "189 طريق يوستون"، وربما يكون "دولي" قد قام بتلك الخطوة من أجل أن يكون قريبا من محطة يوستون (وهي من بين أكبر محطات القطارات في مدينة لندن) بما يسمح بالتنقل السهل للمسلمين الفيكتوريين الآخرين في ليفربول، بما في ذلك ابنه عمر الذي أرسله دولي ليدرس في المعهد الإسلامي في ليفربول الذي أسسه عبد الله كويليام.

خلال فترة وجود المسجد في مقرة الجديد، زاره أحد مراسلي الصحف، وقد أشار ذلك المراسل إلى مدى قلق "دولي" بشأن المسلمين الأصغر سناً الذين يصلون إلى المملكة المتحدة وتغريمهم رذائل المجتمع، وأنه بالنسبة لدولي، فإن إنشاء مسجد لهذا الغرض من شأنه أن يوفر حلاً للشباب المسلم لتلقي التوجيه من كبار السن.

بعد ذلك، وبسبب نشاط "دولي" في الكتابة للصحف دفاعاً عن الدولة العثمانية - كما يذكر مقال آخر نشره الكاتب البريطاني المسلم يحيى بيرت، فقد تم طرد الحاج "محمد دولي" - والذي كان يعمل تاجراً قبل وبعد مجيئه إلى بريطانيا - من جمعية التجار ومن ثم لم يتمكن من العمل، ومن ثم بعث "دولي" عام 1899 برسالة إلى السلطان العثماني يطلب فيها أموالاً لبناء مسجد، حيث إنه أصبح بلا موارد، وهو يتحمل نفقات تعليم أبنائه، وهي الرسالة التي نقل مقال يحيى بيرت صورتها ونصها، والذي يشير إلى أن أمنية "دولي" تلك في بناء مسجد دائم بدلاً من مساجده المؤقتة لم تتحقق في حياته.

وكما يشير مقال تايلور فإن ما حدث بعد ذلك في حياة "دولي" غير مكتمل المعلومات كما يقول "تايلور"، فالمعلوم أنه عمل كصانع عربات في 1902 في منطقة شيرد باش أرشيز Shepherd's Bush Arches، ثم توفي في 18 فبراير 1906 في منزله الأخير في منطقة ويست إيلنج West Ealing عن عمر يناهز 60 عاماً، ودفن في مقبرة "نيو ويلسدن" New Willesden في لندن.

لكن مقال يحيى بيرت، والذي نشر عام 2020، يزودنا ببعض المعلومات الإضافية عن حياة محمد دولي، حيث يقول إن دولي كان - في جنوب أفريقيا - طالباً للإمام العثماني أبو بكر أفندي (1814-80)، والذي أرسلته المحكمة العثمانية إلى كيب تاون لتعليم الإسلام بناءً على طلب قصر باكنغهام. وإن دولي كان ناشطاً مجتمعياً راسخاً، حيث أسس مسجدين (وليس مسجداً واحداً فقط) في جنوب إفريقيا، وقد جاء إلى ليفربول في عام 1893 فيما يبدو لتعليم أطفاله في كلية كويليام الإسلامية (حيث برع ابنه عمر)،

لكنه انتقل بعد ذلك إلى لندن في وقت ما في عام 1895. وبعد انتقال "دولي" إلى لندن قام بدور قيادي في العاصمة، حيث أصبح نائبا لرئيس جمعية أنجومان الإسلامية، كما أصبح مراسلا منتظما في لندن لصحيفة "ذا كريست" التي كان يصدرها كويليام. تبقى المعلومات المتاحة عن حياة هذا الرجل في أطوار حياته المختلفة في كل من جنوب أفريقيا وبريطانيا تحتاج إلى جلاء وإضاءات أكثر، ربما يوفرها كتاب عن حياته تضافر فيه جهود الباحثين في كلا البلدين، فضلا عن الباحثين في الأرشيف العثماني.

لمصادر المعلومات والمزيد منها طالع مقال عبد المالك تيلور:

<https://ilmfeed.com/hadji-mohammad-dollie-man-founded-londons-first-mosque/>

وطالع مقال يحيى بيرت:

<https://yahyabirt.medium.com/a-glimpse-of-victorian-muslim-london-from-the-ottoman-archives-27089bc285ae>

وطالع تقريرا عن استكشاف عبد المالك تيلور لمواقع المساجد المؤقتة التي أسسها محمد دولي:

<https://londonist.com/london/history/a-tour-guide-has-discovered-london-s-oldest-mosque>

وطالع تقرير الجارديان عن أول مسجد مسجل رسميا في لندن، مسجد فضل:

<https://www.theguardian.com/world/2016/oct/04/fazl-first-mosque-london-opening-southfields-1926>



# روبرت رشيد ستانلي

العمدة الذي أخفت عائلته إسلامه  
قرنا من الزمان

في عام 1999، بينما كان بريان لونجدن يبحث في تاريخ عائلته، أعطاه أحد أقاربه عددا من جريدة "ذا كريستنت" The Crescent صادر في 3 أبريل من عام 1907، وفيها صورة لجد جده "روبرت ستانلي" Robert Stanley يجلس في الصف الأول للصلاة مرتديا الطربوش العثماني في مصلي معهد مسلمي ليفربول خلف عبد الله كويليام مؤسس أول مجتمع مسلم في ليفربول.

كان اكتشاف إسلام الجد روبرت من خلال تلك الصورة مفاجأة لبريان، ولابنه الذي كان قد أسلم منذ عام 1991، ومن هنا انطلقت رحلة بحث شارك فيها أفراد أسرة بريان، وأخرجتها ابنته كريستينا Christina Longden عام 2019 في كتابين أحدهما تأريخي توثيقي، والآخر روائي، فمن هو روبرت "رشيد" ستانلي؟ وما هي قصته؟

كان روبرت ستانلي عمدة لمدينة ستالبريدج Stalybridge في الفترة ما بين 1874 إلى 1876، وستالبريدج هي إحدى 3 مدن (يضاف إليها داكينفيلد، وآشتون) ازدهرت في فترة تصنيع القطن إبان الثورة الصناعية، وهي جزء من مانشستر الكبرى، التي كانت توصف آنئذ بملك القطن "King Cotton". لكن منصب روبرت كعمدة للمدينة كان آخر منصب تولاه في رحلة طويلة من الخدمة العامة، حيث انتخب عضوا بالمجلس البلدي لمدينة ستالبريدج منذ عام 1863، ثم قاضيا محليا لتحقيق العدالة والسلام بالمدينة عام 1867، ثم عضوا بالمجلس المدرسي للمدينة عام 1871 بعد إصدار قانون التعليم الإلزامي في بريطانيا بعام، وخلال عضويته بالمجلس البلدي تولى رئاسة لجنة البناء، وذلك إلى أن انتخب عمدة للمدينة عام 1874.

لكن روبرت - حينما انتخب بداية لعضوية المجلس البلدي - كان أول شخص من خارج طبقة النبلاء والأثرياء ينتخب في مجلس المدينة، حيث كان روبرت حينها بقالا، وتاجرا للشاي، ولم يكن منتميا لهذه الطبقة، بل كان أصلة من الطبقة العمالية الفقيرة، كان أبواه

قد هاجرا من مدينة آشتون إلى كارديف في الجنوب، حيث عمل والده صانعا للقبعات وبائعا لها في شوارع كارديف، حيث ولد روبرت عام 1828، لكن أحواله المعيشية لم تكن على ما يرام، لذلك وفي سن العاشرة أرسله أبوه إلى عمه جون ستانلي في آشتون، والذي كانت أحواله قد تحسنت وصار من الأثرياء حيث استطاع أن يمتلك محلجا للقطن، ومنجما للفحم ومتجرا، حيث عمل روبرت مساعدا لعمه في المتجر، وقد تكفل عمه برعايته، وساعده في الحصول على قدر من التعليم غير الرسمي المتاح حينئذ، إلى أن تزوج وأصبح يمتلك متجرا للبقالة في ستالبريدج.

كانت منطقة المدن الثلاثة خلال الفترة التي عاش فيها روبرت تموج بحراك اجتماعي واقتصادي كبير، تمثل في نضالات الطبقة العاملة (المهاجرة من مناطق عدة في المملكة في الأغلب)، وبين ملاك المحالج والمصانع من أجل تحسين أوضاع العمالة والعمل، ونضالات من أجل اكتساب الحقوق السياسية وتحسين الأحوال المعيشية، واتخذت تلك النضالات في أكثر من فترة شكل اضطرابات عنيفة سالت فيها الدماء، وتم الاعتداء على المنشآت وسادت حالات سلب ونهب، نتيجة تردي الأحوال المعيشية لعمال تلك المدن وأسرههم، في ظل صعود وهبوط واضطراب الأحوال الاقتصادية. كما شهدت المدن كذلك اضطرابات دينية بين الأغلبية التي تنتمي لكنيسة إنجلترا من جانب، وبين الطوائف البروتستانتية غير المطابقة والروم الكاثوليك (المهاجرين في الأغلب من أيرلندا) من جانب آخر.

وقد عاش روبرت في ظل كل تلك الاضطرابات يراقب ويتعلم من القراءة ومن حضور ومتابعة الفعاليات، وقد أكسبته المعاشة اليومية والقراءة والتعلم من الحياة ونضالاتها خبرة وحكمة واتزاناً في الآراء والمواقف، وميلاً إلى تحقيق العدل، وشخصية تأبى على الانصياع لإملاءات القوالب التي تفرضها الانتماءات السياسية و/أو الدينية، حيث كانت اختياراته أثناء عمله وحياته العامة في كثير من الأحوال حسب مقتضى الحال وبما يحقق المصلحة.

وقد جعلته تلك الصفات والاختيارات محل احترام في أغلب الأحوال، حتى من مخالفه في الانتماءات.

لكن ثقافة ومعرفة واتجاهات روبرت المستقلة نوعا ما، لم تكن فقط قاصرة على الشأن المحلي، لكنها انصرفت أيضا إلى الشأن الدولي والسياسة الخارجية البريطانية المثيرة للجدل في زمن الإمبراطورية، وهو ما اكتسبه من احتكاكه الطويل مع الجاليات الأجنبية المتنوعة (ومنها جالية عربية وإسلامية) في مدينة مانشستر، حيث كان قد افتتح مكتبا لتجارة الشاي في أهم مبنى تجاري فيها، كما تعمق اهتمامه بهذه الشؤون أيضا من متابعته وصداقته مع الدبلوماسي وعضو البرلمان البريطاني المحب للعثمانيين ديفيد أوركوارت (1805 - 1877) والذي كان قد افتتح ما يسمى بلجان الشؤون الخارجية في عدة مدن، ومنها ستالبريدج ليعمق اهتمام الناس وفهمهم لها، والذي كانت له آراؤه المؤيدة للدولة العثمانية والمناهضة للسياسات البريطانية العدائية معها، خاصة فيما يتعلق بتدخلاتها في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية بحجة حماية ودعم الأقليات سواء من الأرمن أو من دول البلقان، وهو ما شجع أهل تلك البلدان على الدخول في سلسلة من القلاقل والاضطرابات والحروب من أجل الانفصال عن الدولة العثمانية.

ومن خلال تلك المؤثرات تعمق اهتمام روبرت بالشأن الخارجي، وتبنى على مدار سنين طويلة نفس الآراء والمواقف المؤيدة للدولة العثمانية، والمعارضة للتدخلات البريطانية في شؤونها، وهو ربما ما قاده للتعرف على جريدة "ذا كريست" التي كان يصدرها كويليام، والتي صار يرسلها معبرا عن آرائه ومواقفه في الشؤون الخارجية حتى قبل إسلامه بسنوات، وفي نفس الفترة أيضا كان قد تواصل مع السلطان عبد الحميد الثاني، ناصحا إياه بالاهتمام بالكيمياء الزراعية والاهتمام بإنشاء جيل جديد من التقنيين الذين يساعدون في تطوير التصنيع المحلي في الدولة العثمانية، ومن ثم الاستغناء عن استيراد كثير من السلع والمنتجات، كما اهتم روبرت، وحتى قبل إسلامه، ومن خلال مطالعته لترجمة القرآن

المتاحة نصح السلطان عبد الحميد بضرورة العمل على أن يقوم مسلم بترجمة القرآن بدلا من الترجمات التي كانت متاحة قبل ذلك.

وبمرور السنين تكررت المراسلات بين روبرت وبين كويليام، وتعمقت صداقتهما، وتلاقوا ربما سواء في مانشستر أو ليفربول، إلى أن قرر روبرت عام 1898 أن يشهر إسلامه في زيارة له لمعهد مسلي ليفربول، وهو القرار الذي اتخذته وقد قارب على السبعين من عمره، والذي كان يختمر ربما وتراكم أسبابه المختلفة على مدار 40 عاما كما تشير حفيدته كريستينا في كتابها عنه والذي يحمل عنوان " His Own Man.. A Victorian Hidden Muslim, The Life and Times of Robert Raschid Stanley" والذي يتناول حياة وزمان روبرت "رشيد" ستانلي.

وكما تشير الكاتبة فقد اكتسب روبرت مكانة كبيرة لدى عبد الله كويليام، فعينه نائبا لرئيس معهد مسلي ليفربول، ومن ثم صار روبرت حاضرا في كل المناسبات المهمة التي شهدها المعهد ومنها استقبال كبار الزوار، وإقامة المراسم والاحتفالات الكبرى، كما ظل حاضرا بكتباته في الجريدة بعد إسلامه كما حضر قبل إسلامه، كما حظي روبرت باستقبال كويليام في مانشستر التي كان قد انتقل إليها لبضع سنين، وذلك حينما كان كويليام يقوم بإلقاء محاضرات هناك في أماكن وحول موضوعات مختلفة.

وقد بقي الوضع كذلك إلى أن غادر كويليام بريطانيا في عام 1908، وتشتت شمل مجتمع مسلي ليفربول، وأغلقت مؤسساته، ولم يلبث روبرت بعدها طويلا حيث توفي في عام 1911 عن 83 عاما.

وبعد أكثر من 100 عام على وفاته أحييت أسرة من الجيل الثالث من أحفاده ذكراه وقصة تحوله إلى الإسلام، عبر كتابين، وعبر جولة للتعريف به وبالكتابيين تقوم بها الكاتبة والأسرة في المدن البريطانية، وعبر موقع عنه وعن قصته وإسلامه.

ولكن يبقى السؤال، لماذا أخفت عائلة روبرت إسلامه كل تلك السنين، ترحم كريستينا في كتابها أن الجو العدائي الذي كان يملأ أجواء بريطانيا، سواء في الصحافة أو في المجتمع أو من قبل الحكومة ضد الأتراك والدولة العثمانية وضد كل من يناصرهم في المجتمع البريطاني - ومنهم كويليام وروبرت - في وضع لا يحسدون عليه، فضلا عن أن عدم مشاركة أسرة روبرت له في إسلامه، وميل أبنائه وأحفاده المباشرين للمشاركة في الحكم المحلي كما فعل، حيث تولى بعضهم منصب عمدة ستالبريدج في أوقات لاحقة، فضلا عن خلو مجتمع المدينة تقريبا من وجود مجتمع مسلم، كل ذلك جعل الأسرة تؤثر الصمت وإخفاء الأمر، حتى أن الكاتبة تشك في أنهم قد أقاموا له مراسم دفن إسلامية في مدفن الأسرة.

في نهاية قصته، تحتم كريستينا كتابها عن حياة جدها الأكبر روبرت بقولها: مع ذلك، وبفضل قوة شخصيته وكدليل على شجاعته ومثابرته وقناعاته، وجدت روح هذا المولود الشمالي (المنتمي لشمال إنجلترا) الفخور طريقها نحو العقيدة الإسلامية. واليوم - على الرغم من إسكاتها لأكثر من قرن - وجدت حياة ومعتقدات هذا المسلم الأكثر تميزا طريقها عبر الظلام بالعودة إلى الضوء.

لمصدر المعلومات والمزيد منها طالع مقال يحيي بيرت عنه وعن إحدى محطات جولة التعريف به:

<https://yahyabirt.medium.com/britains-first-muslim-mayor-robert-reschid-stanley-1828-1911-2afda9dafad5>

وطالع الويكيبيديا:

[https://en.wikipedia.org/wiki/Robert\\_Stanley\\_\(mayor\)](https://en.wikipedia.org/wiki/Robert_Stanley_(mayor))

وطالع كتاب حفيدته كريستينا لونجدن عنه:

<https://www.amazon.co.uk/His-Own-Man-Victorian-Reschid/dp/0992879248>

وشاهد محاضرة لها عنه وعن الكتاب:

[https://www.youtube.com/watch?v=iwFHp8DxubA&ab\\_channel=CambridgeMuslimCollege](https://www.youtube.com/watch?v=iwFHp8DxubA&ab_channel=CambridgeMuslimCollege)

وصالغ الموقع المقام عنه:

<https://robertreschidstanley.wordpress.com/>



على الرغم من الظروف القاهرة التي وجد نفسه فيها يتما وفقرا، إلا أن الله كأنه قد وهبه شعلة من النور الوقاد فأضاءت عقله وقلبه.. فكان نهما في تحصيل المعارف المتنوعة، متدفقا في الكتابة شعرا ومقالا، سابحا في ملكوت الله قراءة فيما أودعه الله في الطبيعة في الأرض والسماء، متأملا ومتفكرا في الفلسفات والعقائد حتى هداه الله للإسلام، فكان روحه وعقله قد وجدا أخيرا بغيتهما فانسابت منه الإبداعات، نخرجت في شكل قصائد ومقالات وكتب ومحاضرات في موضوعات شتى، وعلى الرغم من نسيانه زمانا طويلا إلا أن أعمالا حديثة لباحثين مسلمين وغير مسلمين عادت لتذكره وتحبي ذكره، إنه الشاعر والكاتب الأسكتلندي جون يحيى النصر باركنسون John Yehia-en Nasr Parkinson (1874 - 1918) الذي كان أحد حواربي عبد الله كويليام - مؤسس أول مجتمع مسلم في ليفربول- ولو على بعد.

ولد جون في 17 فبراير من عام 1874 في مدينة كيلوينينج التاريخية الصغيرة، التابعة لأيرشاير في اسكتلندا لأبوين من الطبقة العاملة المهاجرة من أيرلندا، وعندما كان عمره 7 أشهر فقط توفيت والدته، وهجره أبوه، تاركا إياه في رعاية أجداده لأمه، الذين ألحقوه عندما بلغ السن بمدرسة ليتعلم، وكما كتب عبد الله كويليام في رثائه فقد " كان جون صبياً مجتهداً، وكان يُنظر إليه على أنه أكثر التلاميذ اجتهاداً وذكاءً في المدرسة التي التحق بها"، ولكن نظرا لظروف جدوده، وتحديدًا في عام 1887، اضطر لترك المدرسة وعمل بمصنع كبير لغزل الصوف، لكنه واصل دراسته في المساء، لا سيما في التاريخ الاسكتلندي والجغرافيا والفلسفة والأديان واللغات وعلمي الفلك والنبات. وبعد ثلاث سنوات، وتحديدًا في عام 1890، توفي أجداده، ومن ثم ترك لمواجهة العالم بمفرده وهو في سن 16 عاما.

عن شغفه ونهمه المعرفي وقدرته العقلية، ينقل لنا عبد الحكيم مراد في مقدمته لمختارات من قصائده أن جون استأذن جاره في وضع تلسكوب في حديقة منزله ومن ثم أراه عددا من الأجرام السماوية، وفي المقابل علمه جاره الدكتور إيه. ميلروي اللغات اليونانية والمصرية القديمة والعربية، حيث استطاع في فترات قصيرة إجادتها. كما كان لجون شغفا بالنبات أيضا حيث كتب للصحف المحلية عن نباتات آرشاير، التي كان يجول في حقولها ووديانها وغاباها في غير أوقات العمل في المصنع.

فضلا عن ذلك فقد تابع جون دراسة علم الفلك والرياضيات بحماس لدرجة أنه انتخب في عام 1896 عضواً في الجمعية الفلكية البريطانية، وفي عام 1900 ساهم ببعض المقالات الشيقة في مجلة "أردروسان وسالكواتس" المحلية. والتي أصبح فيما بعد مساهماً منتظماً فيها. إضافة إلى ذلك كان لجون مطالعته في التاريخ والأدب، وطور مع الوقت شغفا وحباً للبطولة والفروسية في تاريخ استكلندا وتاريخ الشرق، وكان للبطولة والفروسية نصيباً كبيراً من أعماله الشعرية وكتابه لاحقاً، ومع نمو شغفه بالشرق طور باركنسون وجهة نظر عن الإسلام باعتباره ديناً طبيعياً للإنسان الأصيل وهو دين يرغب في المشاركة الكاملة في هبة الحياة، ويصر على حقوق الذكور والإناث، ويحث على النظر في الطبيعة، النباتية والفلكية على حد سواء، كدليل على وجود الله، وأن القرآن كتاب يقدم ديناً منطقياً وإنسانياً. ومع هذه الرؤية للعالم كهدية من الله، وبقراءته الواسعة والمنفتحة، كان قبوله للإسلام مجرد مسألة وقت.

وعلى الرغم من أننا لا نستطيع تحديد التاريخ الدقيق لإسلامه، إلا أنه في مقال له نشره عام 1914 يشير إلى أنه اتصل لأول مرة بجمتمع كويليام في ليفربول في عام 1901، أي في عامه السابع والعشرين، ومنذ ذلك الوقت فصاعداً، كان مشاركاً منتظماً وكبيراً في جريدة كويليام، "ذا كريست"، وصحيفته "إسلاميك وورلد"، كما قام بإلقاء ثلاث محاضرات في الفلك في معهد مسلي ليفربول.

وقد ساعد كل ذلك في بناء سمعته ككاتب، وشاعر، وساعده على مد شبكة علاقاته إلى مسلمي الهند، وإلى مجتمع مسجد ووكينج قرب لندن، وقد بدأ في نشر عدة مقالات وقصائد في صحف الهند وبورما، كما نشر عدة كتب بداية من عام 1904، وحتى عام 1913، منها كتبه: الفروسية الإسلامية Muslim Chivalry ونشره في رانجون عام 1909، مقالات في الفلسفة الإسلامية Essays on Muslim Philosophy والذي نشره في رانجون عام 1909 أيضاً، وكتابه عن الإمام الغزالي Al-Ghazali، ونشره مسجد ووكينج عام 1913.

وكما يقول الباحث البريطاني المسلم يحيى بيرت فقد عمل باركنسون تقريباً طوال حياته البالغة في غزل الصوف مع إقامة لمدة عامين في بورما ككاتب لرئيس تحرير في إحدى الصحف في رانجون بين عامي 1908 و1910، إلى أن أجبره اعتلال صحته على العودة إلى اسكتلندا. ومع انهيار معهد ليفربول الإسلامي خلال فترة وجوده في الخارج، أصبح باركنسون نائباً لرئيس الجمعية الإسلامية البريطانية (التي أعيدت تسميتها لاحقاً باسم الجمعية الإسلامية لبريطانيا العظمى) التي يديرها مجتمع مسجد ووكينج Woking Mosque وكان يرأسها اللورد هيدلي، وقد توفي في البلد والبيت الذي ولد فيه في اسكتلندا في ديسمبر من عام 1918 بعد نوبة قصيرة من الالتهاب الرئوي.

وقد ظل باركنسون في طي النسيان إلى حد كبير حتى انتعاش الاهتمام بأعماله مؤخراً بين المؤرخين بما في ذلك تيموثي وينتر/ أو عبد الحكيم مراد (كامبريدج)، ويعقوب زكي (اسكتلندا) وبرنت دي سينجلتون (كاليفورنيا)، حيث أعاد سينجلتون مؤخراً نشر عدد من قصائد باركنسون في مختارات من قصائد المسلمين الذين اعتنقوا الإسلام خلال الفترات الفيكتورية والإدواردية المتأخرة في كتابه The Convert's Passion (2009)، كما قام عبد الحكيم مراد بنشر مختارات منها في "أغاني إسلامية من الجزر البريطانية" Muslim Songs of the British Isles (2005).

لمصادر المعلومات والمزيد منها طالع تقديم يحيى بيرت لتأبين عبد الله كويليام له:

<https://yahyabirt.medium.com/abdullah-quilliams-obituary-of-yahya-parkinson-1874-1918-697ab7b4df9>

مقال عنه على موقع مسجد ووكينج عنه:

<https://www.wokingmuslim.org/pers/parkinson/index.htm>

كتاب مختارات من شعري يحيى باركنسون بتقديم عبد الحكيم مراد:

<https://cambridgecentralmosque.org/wp-content/uploads/2020/04/ccm-poetry-parkinson.pdf>

# ويليام ويليامسون

المغامر الذي ساقته حياة الصعلة إلى الله

عرف في صباه وشبابه حياة ما أقساها، عانى فيها من الظلم، وتعرض للتعذيب والسجن، والاختطاف والعمل القسري، ومارس عشرات الأعمال، وعانى في كثير منها من الفشل، لكنه ظل دائماً يسعى على رزقه بلا هواده، ولا يفارقه شوقه إلى الحرية ولا كرهه للظلم، ولا مس الإيمان بالله قلبه في غمار رحلته القاسية التي جاب فيها بحار العالم وزار بلاده شرقه وغربه، شماله وجنوبه، حتى رسا قلبه على شاطئ الإسلام في عدن، ففتح الله أمامه من بعد ذلك أبواب رزقه.

إنه ويليام ريتشارد ويليامسون William Richard Williamson، والذي ولد في مدينة بريستول، بريطانيا في عام 1872، ومنذ صغره أظهر طبيعة متمردة وكرهية للظلم، وعندما كان تلميذاً في مدرسة كليفتون كان يعرض نفسه مرارا وتكرارا للخطر ولغضب معلميه من خلال تسلقه جسر كليفتون المعلق الشهير فوق مضيق آفون، ومن ثم كان يتعرض كثيرا للضرب من والده، ولذا فقد شعر بسعادة غامرة حينما أرسله أبوه مع عمه ليعمل على السفينة المسافرة إلى أستراليا والتي كانت تعمل في تجارة الشاي وهو ابن 13 عاماً، وكان أمل أبويه أن يتعلم من قسوة الحياة قيمة التعليم الجيد، لكنه وعلى الرغم من تعرضه للعقاب القاسي على ظهر السفينة الذي وصل إلى الجلد بسبب تصرفاته الخرقاء، فقد عزم على عدم العودة أبداً إلى بلاده.

وعندما رست السفينة في سان دييجو بولاية كاليفورنيا الأمريكية فر ويليام إلى داخل البلاد، وعمل لبعض الوقت في مزرعة، ثم استطاع الوصول إلى عمته التي كانت قد تزوجت هناك وعمل معها، حيث أتقن جميع مهارات رعاية البقر، وهناك، وفي رحاب جمال كاليفورنيا الطبيعي، تطور إيمانه العميق بالله، وكرهه للظروف القاسية التي يضعه الفقر فيها، لذا فإنه لما سمع بوجود مناجم للذهب في نيفادا انطلق خياله، ومن ثم سافر مع

راعي بقر آخر إلى هناك أملا في تحقيق حلمهما، لكنهما تعرضا للسرقة في الطريق، وتبخرت أحلامهما في الثروة.

ومن ثم، سافر ويليام إلى سان فرانسيسكو وبدأ رحلة من الأعمال قصيرة الأجل، فمن العمل على سفينة متجهة إلى بوردو في فرنسا، إلى العمل مع رجل أيرلندي في مشروع حفر قناة بنما، وهناك أصيب بالمalaria، ثم جرب حظه في العمل مع فرقة مسرحية متجولة كونها مع ذلك الرجل الأيرلندي وزوجته، ثم إلى العمل ككلام هاو في سان فرانسيسكو، ومن هناك تعرض للاختطاف تحت تأثير مخدر وضع له في كوب من البيرة بعد فوزه بثلاث مباريات في الملاكمة، ليجد نفسه مسوقا للعمل على متن سفينة لصيد الحيتان، وبعد عودة قصيرة إلى سان فرانسيسكو، عاد للعمل على سفينة متجهة للبحار الجنوبية لصيد خيار البحر، حيث وصل إلى جزر كارولين (ولايات ميكرونيزيا المتحدة فيما بعد)، والتي كانت حينئذ إحدى المستعمرات الإسبانية، وهناك أُلقت السلطات الإسبانية القبض عليه بتهمة مد المتمردين من أهالي البلاد بالسلاح، ونقلته إلى سجن مانيلا عاصمة الفلبين والتي كانت هي الأخرى مستعمرة إسبانية.

حينما وصل ويليام إلى السجن كان عمره قد وصل إلى ثمانية عشر عاما، وكان يتعرض داخل السجن لتعذيب قاس، وأقسى منه الشعور الدائم بالخوف هناك، لكنه استطاع الهروب من سجنه، بعد رشوة السجنانيين.

في هذا الوقت كان "الكسندر راسل ويب" - والذي سيصبح لاحقا مؤسس الصحافة الإسلامية في بلاده - يعمل قنصلا للولايات المتحدة في الفلبين، وكان من مهام عمله تفقد السجنون بحثا عن مواطنين أمريكيين يحتاجون إلى العون لإطلاق سراحهم، وهناك التقى ويليام. فلما فر الأخير من السجن لجأ إليه، وبعد أن رفض القنصل البريطاني معاونته، سعى الكسندر لمساعدته على الخروج من الفلبين على متن سفينة إنجليزية. بعد ذلك تنقل ويليام بين هونج كونج، وسنغافورة، وبومباي في الهند حيث وجد عملا، كما قضى بعض

الوقت متسكعا في شوارعها، حيث كانت جميع ديانات العالم حاضرة، والمعابد والكائس والمساجد توفر ملاذات للسلام، وفي كل مكان كان هناك اختلاط بين القداسة والبؤس والرفاهية التي تشتهر بها الهند. وكما يقول عبد الحكيم مراد كاتب سيرته الموجزة فإنه إذا كان قد اشتعل الشوق الروحي أثناء تجواله الانفرادي في سييرا كاليفورنيا، وتساءل متى سيرسل الله له إشارة، حينما كان لا يزال مرافقا، لكنه رأى بعد ذلك الكثير من العالم والبشرية، أي من الطرق العديدة التي كان عليه أن يسلكها؟ فما الذي سيقوده بالتأكيد نحو صناعات مثل تلك الأعاجيب؟ جاءت العلامة التي كان ينتظرها أثناء عبوره البحر في رحلته التالية إلى عدن، حيث وجد في مكتبة السفينة الصغيرة كتابا لعبد الله كويليام، مؤسس أول مجتمع مسلم في ليفربول.

قرأ ويليام الكتاب مرارا وتكرارا، مفتونا. وهنا، على ما يبدو، كانت الإجابة على الأسئلة التي أثرت في ذهنه خلال سنوات من تجربة حياته المذهلة، هنا كان التوحيد أقرب بكثير إلى نظريته الإنجليزية العملية من أسرار الثالوث. وعندما وصل إلى عدن عرفه أحد العرب على أحد رجال السلطة الإنجليزية، والذي كان بالصدفة صديقا لوالده، ومن ثم قام بتعيينه على الفور في شرطة عدن، ووافق ويليام، حيث كانت هذه فرصة لكسب بعض المال، وللعيش في وسط المسلمين، وكيفيه ممارستهم لعقيدتهم، وقد اثبت ويليام مهارة في عمله في منطقة الميناء، مما عزز مكانته لدى السلطات، لكن على الوجه المقابل فقد كانت رغبته في تعزيز مكانته لدى أهل البلاد غير مرضية لتلك السلطات، وحينما زار أحد المساجد في البلاد، تلقى وعظا مسيحيا وتحذيرا بالترحيل إلى الهند، لكنه لم يلق بالا، وبعد عام من الدراسة مع العلماء، أرسل رسائل لوالده وعمته يدعوهم فيها إلى حقيقة الإسلام، وسافر إلى لحج للنطق بالشهادتين، وصار اسمه عبد الله فاضل، وهي حقيقة لم يضيع وقته عند عودته إلى عدن في إعلانها للمجتمع الأوروبي المحلي.

كان رد فعل السلطات الاستعمارية سريعاً وحاسماً، حيث تم نقل الشرطي المسلم إلى الهند، وقيل إنه كان يعاني من "ضربة الشمس". وفي بومباي، تمت الموافقة على طلبه بالتسريح من الشرطة، وعُرض عليه الانتقال المجاني إلى إنجلترا، فرفض حيث كان عازماً على العودة إلى الشرق الأوسط، لكن سرعان ما أعاقته الأيدي الخفية خطته، ورفض أي ربان متجه إلى شبه الجزيرة العربية أن يأخذه معه، مع ذلك، فقد أفلت من التدقيق الرسمي من خلال شراء تذكرة تاجر خيول متجه إلى البصرة، وسرعان ما وجد نفسه في المدينة العثمانية العظيمة، حيث استكشف البازارات والمساجد، وحسن لغته العربية بمرور الوقت، لكنه وجد نفسه هناك وسط جدل ديني، حيث كانت البصرة مركزاً لنشاط الإرساليات التبشيرية، كما وصلت إليه سلطات الهند البريطانية، وحاولوا ترحيله إلى إنجلترا، لكنه استطاع الإفلات منهم، وفي العامين التاليين، درس عبد الله اللغة العربية والإسلام تحت إشراف علماء الكويت. كما أمضى وقتاً في السفر عبر مساحات شاسعة من الصحراء العربية الشمالية، حيث تعلم حب الجمال والحصان العربي، وجلب له بيع وشراء هذه الحيوانات دخلاً متواضعاً، تمكن من خلاله من التفكير في نقطة التحول الكبرى التالية في حياته، وهي الانضمام إلى قافلة الحج عام 1894 - والتي انطلقت حينها من مدينة الزبير المسورة، مقر عائلة الرشيد حكام نجد في ذلك الوقت - وهي الرحلة التي كررها مرتين تاليتين أعوام 1898، و1935.

وكما كانت رحلة عدن نقطة تحول في حياته، فقد كانت رحلة الحج الأولى نقطة تحول أكبر، وكما يقول عبد الحكيم مراد "وفرت العودة إلى الزبير للحاج متسعاً من الوقت للتفكير في خطوته التالية. لقد أدرك أن تطلعاته قد تغيرت جذرياً بسبب الحج أكثر من تجربة الاهتمام نفسها. فقبل الحج كان يأمل في العودة إلى أمريكا واستئناف حياة رعاة البقر التي كان يحبها (..) لكن يبدو أن زيارة الكعبة قد رسخت (لديه) مجموعة مختلفة من

الأولويات، حيث قرر أن يستقر في الشرق متوكلاً على الله أن يرزقه، وفي الوقت المناسب، فعل ذلك.

مارس ويليام (أو الحاج عبد الله) بعد ذلك العمل بتجارة الخيول، والبضائع الأوروبية الجديدة على أسواق الكويت والعراق، وبعد أن اكتسب خبرة ومالا لمدة 12 عام اشترى لنفسه مركبا شراعيا متوسط الحجم، وبدأ في ممارسة صيد اللؤلؤ في مياه الخليج، لكن فيما يبدو لم يوفر صيد اللؤلؤ له ما كان يتمناه، فقبل قضاء الله، وسافر بدلا من ذلك إلى دمشق، حيث أمضى عامين ثمينين في مدارس المدينة لتحسين معرفته بالإسلام، وعند عودته، باع مركبته الشراعية ووجد عملاً مع شركات النفط الأجنبية، التي كانت تحتاج إلى أدلة مؤهلة لأنشطتها في التنقيب عن النفط، بمجرد أن ترددت شائعات عن احتمالات وجوده في المنطقة.

وفي عام 1937 تقاعد ويليام في منزل بقرية كوت المحجاج بالقرب من البصرة لتربية أولاده وأحفاده من زوجتين، ولرعاية بعضا مما امتلكه من النخيل وأشجار البرتقال، إلى أن تراجعت صحته، وكما يقول عبد الحكيم مراد فقد "كان يشاهد بانتظام في مسجد العشار بالبصرة، ونادرا ما كان يفوت فرصة حضور فصل تعليمي جيد عن الدين، وبالعودة إلى المنزل، كان يجلس مع مسبحة باللونين الكهرماني والأسود، ومجموعة الكتب الدينية الخاصة به".

تلك الحياة العجائبية الذاخرة بالقصص الصغرى كانت موضوعا لكتاب ألفه الكاتب البريطاني ستانتون هوب Stanton Hope عام 1951 (قبل وفاة ويليام بسبعة أعوام)، في كتاب حمل عنوان "المغامر العربي.. قصة الحاج ويليامسون" Arabian Adventurer.. The Story of Haji Williamson كما أنشأت له عائلته العراقية موقعا تخليدا لذكراه.

الشاهد في كل تلك القصة، والتي فيها من التفاصيل ما هو أكثر من ذلك بكثير، هو أن الله سبحانه وكأنه ساقه إليه عبر رحلته الشاقة والعسيرة والمضنية والتي جاب فيها بحار العالم

وقاراته، ليجد راحته، ويفتح له أبواب رزقه من عدن إلى البصرة، من خلال رحلته إلى الإيمان والإسلام والحج، مصداقا لقوله سبحانه في سورة الشرح الآيات 5 و6 "فإن مع العسر يسرا، إن مع العسر يسرا".

لمزيد من المعلومات عن حياته طالع السيرة الموجزة التي كتبها عبد الحكيم مراد:

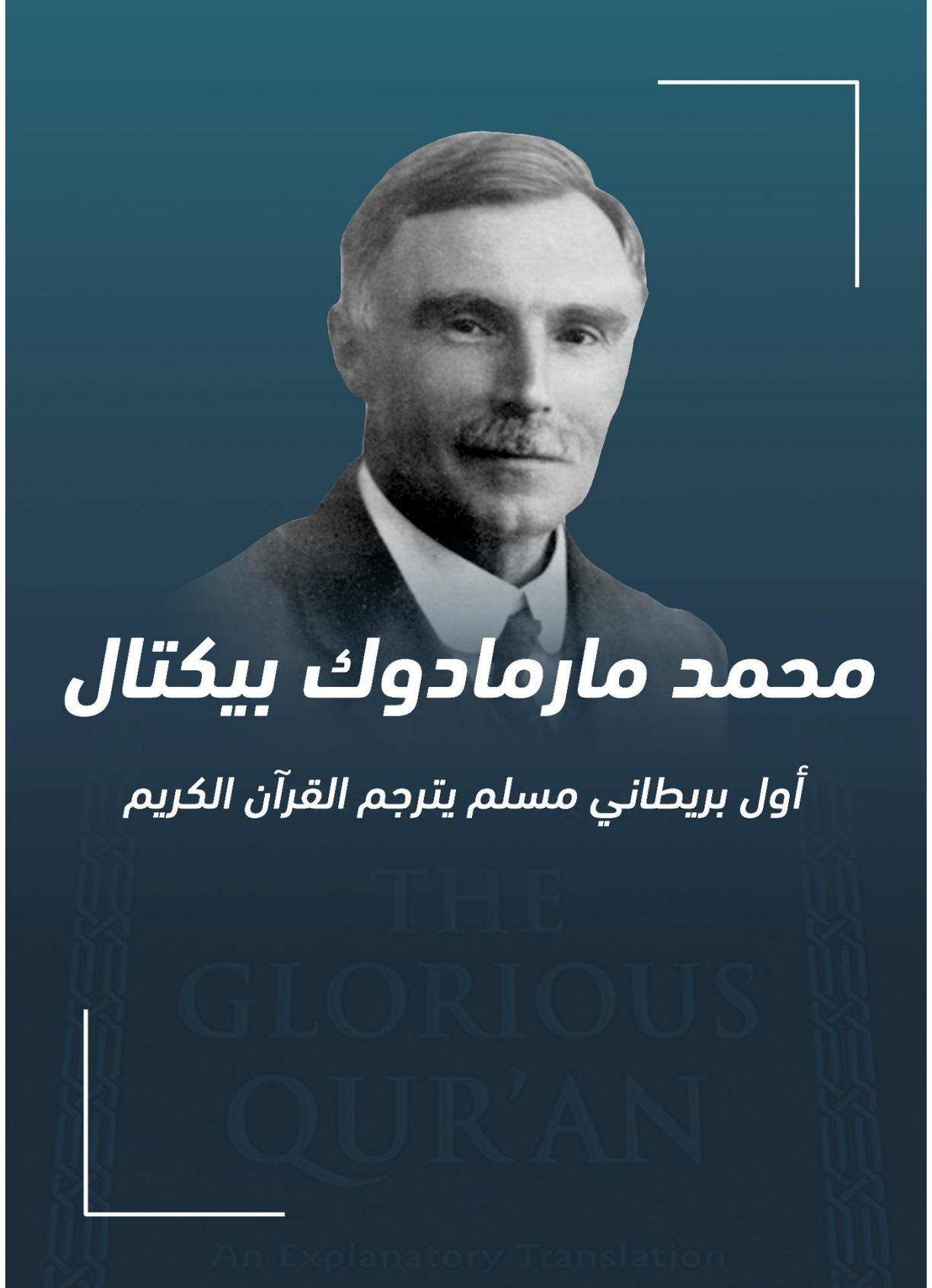
[http://masud.co.uk/ISLAM/bmh/BMH-AMH-wiliam\\_williamson.htm](http://masud.co.uk/ISLAM/bmh/BMH-AMH-wiliam_williamson.htm)

وطالع تقريرا لصحيفة "عرب نيوز" حول كتاب "ستاتون هوب" الذي يباع بسعر كبير في أحد محال بيع الكتب والتحف القديمة في لندن:

<https://www.arabnews.com/node/2168006/lifestyle>

وطالع الموقع الذي أقامته عائلته:

<http://www.haji-williamson.com/index.php>



كان نسيجا وحده، وصفه كاتب سيرته بيتر كلارك بأنه "كان بلا موجه، وبلا تلاميذ، ولم يكن جزءا من حركة، لكنه كان مراقبا نزيها وواعيا، ومتواصلا واضحا ونشطا، وعلى الرغم من وقوعه في بعض الأحيان في سوء التقدير، لكن إدراكه لم يشوّهه النجاح، ولا التحقق ولا الرضا عن النفس"، إنه مارمادوك بيكثال أو محمد مارمادوك بيكثال Mohammad Marmaduke Pickthal الأديب والكاتب الصحفي، الذي يعرف أكثر ما يعرف بترجمته لمعاني القرآن، والتي كانت أول ترجمة يقوم بها بريطاني مسلم، حيث نشرت عام 1930، وكان كل ما سبقها من ترجمات قد قام بها مستشرقون.

ولد مارمادوك في لندن في أبريل من عام 1875، لأب ينتمي إلى رجال الدين الأنجليكانيين، وأم من أصول أيرلندية، وعاش طفولته في ريف مقاطعة سوفولك إلى الجنوب الشرقي من لندن، وعندما توفي والده وهو ابن خمس سنوات، انتقلت الأسرة إلى لندن، وهو ما مثل صدمة نفسية للصبي الصغير من بلد شاعري إلى منزل بارد ومدينة بأسة، وهو ما كان بمثابة ضربة عميقة للروح كما عبر عبد الحكيم مراد في السيرة الموجزة التي كتبها عن بيكثال.

وفي لندن ازداد خوف مارمادوك من الأماكن المغلقة المقيدة الحرية عندما أدخلته أسرته مدرسة هارو الداخلية، وقد كانت من أسوأ تجارب حياته، لكن الأصدقاء فيها كانوا عزاءه الوحيد. وفي خلال تلك الفترة اكتسب شغفه بتسلق الجبال، وظهرت موهبته الفائقة في تعلم اللغات، والتي بدأها بتعلم اللغات الويلزية والأيرلندية، وبسبب تفوقه في اللغات كان يتطلع إلى الحصول على وظيفة في وزارة الخارجية، ولما لم ينجح في الحصول عليها، عاش فترة من الإحباط إلى أن دعاه أحد المعارف إلى الالتحاق به في فلسطين ليتعلم العربية على أمل أن يساعده ذلك في الحصول على عمل، وقد عاش عامين هناك من سن 18 إلى 20 عاما، يتجول بحرية بين أهالي فلسطين ولبنان وسوريا، فكأنما أشرفت

روحه من جديد، حيث ملك حب الشرق وشعوبه عليه قلبه، وهناك أتقن العربية، وافتتن بالإسلام، وبشعور عامة الناس بالحرية والرضا.

وفي عام 1896 عاد بيكّال إلى لندن، وتزوج ومن ثم سافر إلى جنيف، وهناك تابع أوساطها الأدبية، وافتتن بجمال طبيعتها، يقول عبد الحكيم مراد عن تأثير تلك الفترة عليه: عند شواطئ بحيرة ليمان، اكتسب الروائي المنتظر حبه للضوء، والذي أصبح فيما بعد أحد نقاط القوة والسمات المميزة لنثره الناضج. وهنا أيضا، طور هذا الإحساس بهشاشة، وحتى عدم واقعية، الطبيعة المرصودة، والطبيعة السطحية لمرور الإنسان إليها، بما أثري رواياته، وزاد من استعداد قلبه للإسلام".

وفي عام 1898 وبعد عودته إلى بريطانيا نشر أول قصصه القصيرة، ونشر أولى رواياته من وحي إقامته في سويسرا، لكنها لم تلق نجاحا، واضطر لسحب نسخها. وفي عام 1903 نشر ثاني رواياته والتي كانت من وحي سفره الأول لفلسطين وما حولها وهي رواية "الصيد سعيد" Said The Fisherman، والتي لاقت نجاحا كبيرا، وأثنى عليها المجتمع الأدبي حينئذ، ومن ثم توالى أعماله الأدبية التي عبرت عن أجواء الشرق، أو عن موطن طفولته في سوفولك.

وفي عام 1907 دعتة أسرة من رجال إدارة الاحتلال البريطاني لمصر إلى زيارتهم، ومن ثم جال في شمال مصر وجنوبها، ليخرج مجموعة من القصص القصيرة ورواية "أبناء النيل" Children of the Nile. وبداية من عام 1909 بدأ مسيرة جديدة من خلال كتابة مقالات حول شؤون الشرق الأوسط في عدة صحف، أبرزها صحيفتي "أثينيوم" Athenaeum و"نيو إيدج" New Age متناولا فيها أحدث الكتب والأعمال الأدبية عن تركيا وفلسطين ومصر، كما قام بمراجعة وتحرير كتاب صديقه القس الإنجليزي في دمشق جيمس هاناور James Hanauer والذي يتضمن مختارات من الحكايات الإسلامية والمسيحية واليهودية بعنوان "فولكلور الأرض المقدسة" Folklore of the Holy Land.

في مقالاته عن الشرق الأوسط أبدى بيكّال اهتماما وتعاطفا مع أمم الشرق، وخاصة الدولة العثمانية، وانتقد سياسات بلاده الخارجية التدخلية تجاهها، كما انتقد تناول الصحف البريطانية لتلك القضايا، خاصة ما يتعلق منها بالبلقان والأرمن. وفي عام 1913 أراد بيكّال أن يرى بعينه ما يجري على الأرض، ومن ثم سافر إلى تركيا حيث أقام هناك بضعة أشهر يتجول في عدة مناطق، ويلتقي بشخصيات من الأتراك الجدد والاتحاديين، ومن الأجانب المقيمين هناك، ومن ثم نشر عدة مقالات في "نيو إيدج" جمعها عام 1914 في كتاب بعنوان "مع الأتراك في زمن الحرب" *With the Turk in Wartime*

ومع اقتراب الحرب انخرط بيكّال مع مجموعة من السياسيين والناشرين الذي أبدوا قلقهم مما يجري وبخاصة من سياسة بريطانيا تجاه الدولة العثمانية، والذين كونوا معا الجمعية الإنجليزية العثمانية *Anglo-Ottoman Society* في نفس العام. وخلال الحرب استمر في الكتابة داعيا للرجوع لسياسة دزرائيلي في الحفاظ على الدولة العثمانية، ومهاجما للأطماع الروسية فيها، وتبرأ من فكرة طلب مسيحيي البلقان الحماية البريطانية، وتكلم عن المزايا الإيجابية للأتراك ولثورة 1908، والتي ستعيد تجديد العالم الإسلامي، ومن ثم وبسبب مقالاته اعتبر من قبل الحكومة خطرا أمنيا.

كانت تلك الفترة من الفترات العصيبة في حياته، حطمه مزاج الانتصار، وكما يعبر عبد الحكيم مراد فقد كان المزاج الإنجليزي المعبأ بالحرب المقدسة هو الذي أخرجه أخيراً من إيمان آبائه. لقد كان يشعر دائماً بعدم الارتياح مع تلك الترانيم الإنجليزية التي تلحن الكافر (إيماء إلى الأتراك). في تلك الفترة أفرغ بيكّال همه في العودة للكتابة الأدبية، وفي دراسة الإسلام والقرآن، وفي محاضرة له في نوفمبر من عام 1917 أعلن بصراحة ووضوح عن إسلامه، ومن ثم شيئاً فشيئاً أخذ مكانه وسط المجتمع المسلم في بريطانيا آنذاك، فألقى المحاضرات والخطب، وتولى إدارة الصحيفة الأسبوعية "ذا مسلم أوتلوك" *The Muslim Outlook* والتي كان يصدرها مجموعة من الهنود المسلمين في بريطانيا المخلصون لفكرة

الخلافة، والتي اعتبرها الحكم البريطاني في الهند تهديدا خطيرا، ومن ثم فتحت وضعيته تلك آفاقا للانتقال إلى المرحلة الأهم في حياته، حيث انتقل عام 1919 إلى الهند ليتولى تحرير صحيفة "بومباي كرونكل" Bombay Chronicle

وفي غضون ستة أشهر من توليه رئاسة تحرير الصحيفة، قلبها وضاعف تداولها، من خلال دعوة حكيمة ولكن حازمة للتطور الهندي نحو الاستقلال، كان بيكّال شريكا مقربا لغاندي، أيد رفض العلماء للمقاومة العنيفة للحكم البريطاني، ومعارضتهم للهجرة المتزايدة للمسلمين الهنود إلى أفغانستان المستقلة، وعندما ظهرت الرابطة الإسلامية تحت قيادة شخصية جناح العلمانية، انضم بيكّال إلى السواد الأعظم من علماء الهند في رفض فكرة التقسيم، معلنا أن ملايين المسلمين العظماء في الهند هم أسرة واحدة، ويجب ألا يتم تقسيمهم أبدا. وهكذا أصبح هذا الإنجليزي المسلم زعيما قوميا هنديا، يجيد اللغة الأردية، ويحضر صلاة الفجر في المسجد، مرتدياً زي غاندي المصنوع منزليا والمزين بهلال الخلافة الأرجواني، واستمر ذلك إلى أن أغلقت سلطات الاحتلال البريطاني الصحيفة عام 1924.

ذهبت وظيفة بيكّال، لكن رغبته في خدمة الإسلام بالهند جعلته يقبل وظيفة مدير مدرسة للبنين في حيدر آباد التي كانت آنذ إمارة مستقلة كأحد بقايا إمارات الحكم المغولي. في ذلك الوقت، كان أمير حيدر آباد منشغلا بتحويل عاصمته إلى واحة للثقافة والفن. وقد كان حماس أميرها وكرمه هو الذي مكّن بيكّال من إطلاق مجلة "إسلاميك كالشر" Islamic Culture، والتي حررها بيكّال لمدة عشر سنوات، وهي لا تزال مستمرة حتى الآن، تنشر في المدينة كواحدة من المجلات الأكاديمية الرائدة في العالم الإسلامي. وتحت إدارته، نشرت المجلة لمجموعة واسعة من العلماء المسلمين وغير المسلمين في مجموعة كبيرة ومتنوعة من الموضوعات. وخلال تلك الفترة أيضا وجه بيكّال مدرسة

موظفي الخدمة المدنية في حيدر أباد، وفي خضم نشاطه التعليمي والصحفي، تمكن من إيجاد الوقت لكثابة روايتين من وحي حياته في الهند.

وفي عام 1926، وفي العام التالي قام بإلقاء مجموعة محاضرات في مدراس، نُشرت بعد ذلك في كتاب بعنوان "الجانب الثقافي للإسلام" The Cultural Side of Islam، والذي لا يزال يُقرأ على نطاق واسع في شبه القارة الهندية. لكن أهم ما أنجزه في فترة حياته الهندية والتي امتدت 16 عاما، هو قيامه بترجمة معاني القرآن الكريم بتكليف من الأمير وذلك حينما طلب منه التفرغ لذلك الأمر بداية من عام 1928، وبعد أن أتم ترجمته لمعاني القرآن حرص على السفر إلى مصر لاعتمادها من الأزهر الشريف، وبعد معركة فكرية مع الشيخ محمد شاكر الذي كان رافضا لمبدأ الترجمة، لكنه استطاع كسب المعركة عندما خاطب، باللغة العربية، حشدا كبيرا من العلماء، بمن فيهم الشيخ رشيد رضا، موضحا الوضع الحالي للإسلام في العالم، والإمكانيات الهائلة لانتشار الإسلام بين الناطقين بالإنجليزية، ومن ثم فقدت فازت حجته واستطاع أن يحظى بدعم شيخ الأزهر الأسبق الشيخ مصطفى المراغي.

ومن ثم طبعت الترجمة في الولايات المتحدة أولا ثم في بريطانيا، عام 1930 تحت عنوان "معاني القرآن المجيد" The Meaning of the Glorious Koran وحظيت بقبول واسع من المسلمين، وطبعت منها 7 طبعات حتى عام 2011، على الرغم من أن لغتها اليوم صارت لغة أحفورية بعض الشيء كما يقول الدكتور محمد عبد الحلیم في مقدمة ترجمته للقرآن الكريم.

في عام 1935 بدأت صحة بيكّال في الاعتلال، ومن ثم عاد إلى بريطانيا ليتوفى في مايو من عام 1936 عن عمر يناهز 61 عام، ويدفن في مقبرة بروكوود الشهيرة قرب لندن، تاركا خلفه تراثا كبيرا من الأعمال الروائية والقصصية والمقالات والمحاضرات فضلا عن أجل أعماله وهو ترجمته لمعاني القرآن الكريم.

لمصادر المعلومات والمزيد منها طالع السيرة الموجزة التي كتبها عبد الحكيم مراد، مع ملاحظة أن السيرة بها بعض التواريخ غير دقيقة:

[http://www.masud.co.uk/ISLAM/bmh/BMM-AHM-pickthall\\_bio.htm](http://www.masud.co.uk/ISLAM/bmh/BMM-AHM-pickthall_bio.htm)

وطالع كتاب بيتر كلارك "مارمادوك بيكثال.. بريطاني مسلم" Marmaduke Pickthal British Muslim والذي طبعت منه طبعتان أولاهما في عام 1986، وقد رجعت إلى الطبعة الثانية:

<https://www.amazon.co.uk/Marmaduke-Pickthall-British-Peter-Clark/dp/0992633591>

وطالع أيضا تعريف مرمادوك بيكثال على ويكيبيديا:

[https://en.wikipedia.org/wiki/Marmaduke\\_Pickthall](https://en.wikipedia.org/wiki/Marmaduke_Pickthall)

# الليدي إيفيلين كوبولد

سليلة النبلاء التي كانت  
أول مسلمة بريطانية تحج عام ١٩٣٣

"عادة ما أسأل.. متى ولماذا صرت مسلمة. وأستطيع أن أجيب فقط بأني لا أعرف الوقت المحدد الذي ظهرت لي فيه حقيقة الإسلام. ويبدو أنني كنت دائما مسلمة. ليس هذا غريبا إذا تذكر المرء أن الإسلام هو الدين الطبيعي الذي إذا ترك الطفل لنفسه فسوف يتبناه. وفي الحقيقة، وكما وصفه ناقد غربي ذات مرة بقوله إن الإسلام هو دين الحس العام"، هكذا عبرت الليدي إيفيلين كوبولد Lady Evelyn Cobbold في مقدمة ذكرياتها عن رحلة الحج، والتي نشرت لأول مرة عام 1934، فمن هي الليدي إيفيلين أو زينب كما سمت نفسها، وما هي قصتها؟

السيدة إيفيلين موراى (1867 - 1963) - وهذا هو اسمها قبل الزواج - هي كاتبة يوميات ورحالة ونبيلة اسكتلندية، ولدت في إدنبرة، وكانت الابنة الكبرى لتشارلز أدولفوس موراى النبيل السابع على دانمور 7<sup>th</sup> Earl of Dunmore والذي كان أيضا سياسيا محافظا ورحالة وكاتب وفنانا، كما كانت والدتها أيضا سليلة لأسرة من النبلاء، وتشاركت مع زوجها في عشق السفر.

قضت إيفيلين طفولتها متنقلة ما بين اسكتلندا، وما بين شمال أفريقيا الجزائر وليبيا ومصر، حيث تولى تربيتها هناك مربيات مسلمات، وكما تقول إيفيلين فإنها عندما كانت تقضي شهور الشتاء في الجزائر، تعلمت إيفيلين اللغة العربية في طفولتها، وكانت تتمتع بالهروب من مربيها لتزور المساجد مع أصدقاء طفولتها من الجزائريين، وكما تقول فإنها وبدون وعي منها كانت "مسلمة صغيرة في قلبها"، لكنها مع الوقت وقلة الزيارات بعد ذلك، نسيت أصدقاءها العرب، وصلواتها في المسجد وحتى اللغة العربية نسيتها.

وقد مضت بها الحياة عددا من السنين إلى أن كانت في زيارة لروما، ودعاها أصدقاؤها من الإيطاليين إلى زيارة البابا، تقول إن ذلك أشعرها بسعادة غامرة، وأثناء لقائه بها، سألتها البابا فجأة إن كانت كاثوليكية؟ وقد فاجأها السؤال وجعلها تصمت لبرهة ثم

أجابت: أنا مسلمة. تقول إيفيلين إنها لا تعرف ما الذي حدا بها لقول ذلك على الرغم من أنها لم تكن تفكر في الإسلام منذ عدة سنوات.

تقول إيفيلين إنها منذ تلك اللحظة، وكأن عود ثقاب قاد أضاء لها، ومن ثم قررت أن تقرأ وتدرس الإيمان، وكلها درست وقرأت كلها ازدادت قناعتها بأن الإسلام هو أكثر دين عملي، وأنه الأكثر قدرة على حل المشكلات التي تحير العالم، وعلى أن يجلب للإنسانية السلام والسعادة، ومن ثم فقد أكدت اعتناقها للإسلام عام 1915 واتخذت لنفسها الاسم العربي زينب. تقول في مقدمة رحلتها للحج: منذ ذلك الحين لم تتردد لحظة في اعتقادها أنه لا إله إلا الله وأن موسى وعيسى ومحمد وغيرهم هم أنبياء الله الذين أنزل عليهم الوحي، وأن الله قد أرسل في كل أمة رسولا، وأنا - كبشر - لم نولد في الخطيئة، ولا نحتاج أي فداء".

وفي عام 1929، وبعد وفاة زوجها السابق - والذي كانت قد طلقت منه عام 1922 بعد أن كانت قد تزوجته عام 1891، وأنجبت منه 3 من الأبناء - بدأت زينب في التخطيط لأداء فريضة الحج، فتواصلت مع حافظ وهبة، سفير مملكة الحجاز ونجد لدى المملكة المتحدة، والذي أرسل بدوره رسالة إلى الملك عبد العزيز. وفي عام 1933 حققت مكانة مشهورة في عن عمر يناهز 65 عاما، عندما أصبحت أول امرأة مسلمة مولودة في المملكة المتحدة تؤدي فريضة الحج إلى مكة. وفي عام 1934، نشرت كتابا عن رحلتها تلك بعنوان الحج إلى مكة.

يقول المؤرخ البريطاني "ويليام فاسي" William Facey: يعتبر كتاب الحج إلى مكة سردا لرحلة إيمانية داخلية بقدر ما هو قصة سفر تقليدية، وهو يأخذ شكل يوميات تتخللها استطرادات عن تاريخ الإسلام ومزاياه. والليدي إيفيلين هي أول كاتبة إنجليزية تقدم وصفا مباشرا لحياة الأحياء النسائية في المنازل التي أقامت فيها في المدينة المنورة ومكة

ومنى. لكن، ومنذ نشر الكتاب، لم تتم إعادة طبعه حتى ظهرت في السنوات الأخيرة عدة طبعات عن عدد من دور النشر البريطانية.

وبعد أن عمرت لما يقرب من 96 عاماً، توفيت الليدي إيفلين في عام 1963 ودُفنت، بناءً على طلبها، على منحدر تل بعيد في أرض تملكها تقع في جلينكارون في ويستروس، ولأنه لم يكن هناك حينها مسلم في اسكتلندا لأداء الجنازة، لذلك اتصلوا بمسجد شاه جهان، في ووكينج، وقد حضر إمام من المسجد وصعد إلى تلك الربوة في الجليد لأداء الجنازة. كانت قد اشترطت أنها تريد أن تُدفن في اتجاه القبلة وأن يكتب على شاهد قبرها: "الله نور السماوات والأرض".

وأحياء لذكراها، ومن أجل الترحم عليها قامت مؤسسة "كونفرت مسلم فاونديشن Convert Muslim Foundation" بتنظيم رحلة ضمت مجموعة من عشرين من البريطانيين المسلمين، جاءوا من عدة مدن بريطانية في عام 2022، ساروا على أقدامهم 20 كلم ذهاباً وعودة لزيارة قبرها على تلك الربوة العالية.

لمصادر المعلومات والمزيد منها طالع حول حياتها وكتابها:

[https://en.wikipedia.org/wiki/Zainab\\_Cobbold](https://en.wikipedia.org/wiki/Zainab_Cobbold)

<https://www.bbc.co.uk/news/magazine-35843991>

وحول رحلة المسلمين الجدد إلى قبرها طالع:

<https://www.bbc.co.uk/news/uk-scotland-highlands-islands-61759796>

وطالع وصف أحد طبعات الكتاب الحديثة على أمازون التي كتب مقدمتها المؤرخ ويليام فاسي:

[https://www.amazon.co.uk/Pilgrimage-Mecca-Lady-Evelyn-Cobbold-ebook/dp/B0BWJKVDCW/ref=sr\\_1\\_1?qid=1682955453&refinements=p\\_27%3AWilliam+Facy&s=books&sr=1-1](https://www.amazon.co.uk/Pilgrimage-Mecca-Lady-Evelyn-Cobbold-ebook/dp/B0BWJKVDCW/ref=sr_1_1?qid=1682955453&refinements=p_27%3AWilliam+Facy&s=books&sr=1-1)

الطبعة التي نقلت عن مقدمتها والصادرة عن دار نشر كلاريتاس:

<https://www.claritasbooks.com/books/a-pilgrim-s-journey>

# خواجة كمال الدين

وأول بعثة إسلامية  
ومسجد دائم في بريطانيا

إذا أردت الكتابة عن الشخصيات المحورية في تاريخ الوجود الإسلامي في بريطانيا، فلا يمكنك تجاهل شخصية خواجه كمال الدين Khawaja Kamal-ud-Din المحامي الهندي الذي أعاد افتتاح أول مسجد دائم في بريطانيا، والذي أسس أول بعثة إسلامية فيها، والذي اجتذب بمحاضراته وكتابه وصحفه أعدادا كبيرة من البريطانيين إلى الإسلام.

لكن الكتابة عن خواجه كمال الدين ليست بالأمر الهين، لأنه بقدر ما قدمه من نفع للوجود الإسلامي في بريطانيا في النصف الأول من القرن العشرين، بقدر ما يحدث من لغط حوله بسبب حقيقة تتلمذه على يد مؤسس الأحمديّة الميرزا غلام أحمد، وإن كانت الحقيقة أيضا أن الأحمديّة حدث فيها انشقاق لاحقا، فمنهم من صدق الميرزا في كل دعاواه، وهؤلاء أرسلوا بعثتهم الخاصة فيما بعد وأسسوا مسجدهم، وهناك من يسمون بأحمديّة لاهور، وهؤلاء لا يرون في الميرزا سوى رجل مصلح، وهؤلاء منهم خواجه كمال الدين، الذي يروي المؤرخون أنه لم ينح في دعوته في بريطانيا أي منحى طائفي أو مذهبي، وأنه عادى بعثة القاديانية الأحمديّة.

وقد اختلفت مواقف المعاصرين في العالم الإسلامي من هذين الفريقين من فرق الأحمديّة، فمنهم الشيخ رشيد رضا الذي ثمن على صفحات المنار جهود فريق لاهور في الدعوة للإسلام في بريطانيا وأوروبا، ومنهم الشيخ محب الدين الخطيب الذي ظل منتقدا متشككا في الفريقين على صفحات مجلة الفتح. لكن دراسة جهود خواجه كمال الدين تحديدا ترحح - بحسب ما طالعت - رأي الشيخ رشيد رضا، لذا دعونا نعرف من هو خواجه كمال الدين وما هي جهوده باختصار بحسب ما يقتضيه هذا اللون من المقالات القصيرة نسبيا الذي سرت عليه في هذه السلسلة.

ولد خواجه كمال الدين في البنجاب عام 1870 وينحدر من عائلة كشميرية تميزت بالعمل لخدمة الإسلام. كان جده عبد الرشيد، وهو شاعر مشهور، قاضيا أو رئيس قضاة

المسلمين في لاهور خلال فترة حكم السيخ. وكان أخوه الأكبر خواجه جمال الدين مسؤولاً عن نشر التعليم بين المسلمين في ولاية كشمير وجامو.

تلقي تعليمه في كلية فورمان المسيحية في لاهور، مما يفسر معرفته العميقة بالكتاب المقدس، وهي المعرفة التي كانت مفيدة جدا في تحقيق نتائج جيدة لمهمته في لندن، حيث شارك كثيرا في المناقشات اللاهوتية مع المتخصصين المسيحيين. وفي عام 1893 حصل على درجة البكالوريوس ووسام جامعة البنجاب في الاقتصاد، وأدى ذلك إلى تعيينه رئيسا لقسم التاريخ والاقتصاد في الكلية الإسلامية في لاهور، والذي شغله لمدة أربع سنوات، ليصبح مديرا للكلية.

وبعد حصوله على ليسانس الحقوق في عام 1898، مارس المحاماة بنجاح كبير في بيشاور، حيث مكث هناك لمدة ست سنوات، وفي عام 1903، عاد إلى لاهور، حيث سرعان ما أصبح أحد المحامين الرئيسيين في محكمة البنجاب الرئيسية، واكتسب تقدير واحترام المسؤولين الحكوميين وغير الحكوميين. وبقي في لاهور حتى مغادرته إلى إنجلترا عام 1912.

وفي بداية هذه الفترة الأخيرة أصبح واعيا بنوع التحول الذي كان الإسلام ينحدر إليه تدريجياً وبدأ يستغل أوقات فراغه في إلقاء محاضرات عن الإسلام في جميع أنحاء الهند، وسرعان ما اعترفت جامعة عليكرة الإسلامية بخدماته ومنحته زمالة، كما أصبح عضواً في مجلس أمناء تلك الجامعة.

وفي عام 1912 كان في ذروة مسيرته المهنية كمحامي، مما ضمن له مستقبلا مربحا ورائعا. لكنه تخلى عن الرفاهية المادية في الهند، من أجل تكريس نفسه بالكامل لخدمة الإسلام. ومن أجل القيام بذلك، اختار الطريق الأكثر صعوبة: فبدلاً من البقاء بين مواطنيه في محيط مألوف، قرر الذهاب "للدفاع عن قضية الإسلام" في أوروبا، واختار لندن مركزاً لنشاطه.

وعند وصوله إلى لندن، استقر في البداية في منطقة ريتشموند وبدأ على الفور بإلقاء المحاضرات، والخطب والمشاركة في اجتماعات الجمعيات اللاهوتية البريطانية ونشر المقالات وما إلى ذلك. وأثناء ذلك، سمع هو ومواطنه وصديقه الشيخ نور أحمد بالصدفة أنه يوجد في منطقة ووكينج، وهو مكان صغير على بعد حوالي 48 كيلومتر من لندن، مسجد غير مأهول، تحول تدريجياً إلى أنقاض بسبب نقص الرعاية.

كان هذا المسجد قد تم بناؤه عام 1889 بفضل منحة كريمة من حاكمة بوبال، بالهند، بناءً على طلب المستشرق الدكتور هنري لايتنر ليكون مكاناً لصلاة الطلاب. وبعد وفاة لايتنر، لم يعتن أحد بالمسجد، وهو ما يفسر حالته المتدهورة في عام 1912. ولم يتردد الشيخ نور أحمد وخواجة كمال الدين في الاستحواذ عليه بعد التفاهم مع ورثة لايتنر. وتم تشكيل أمانة من أجل الاحتفاظ بسندات ملكية المسجد، الذي أصبح خواجة كمال الدين إماماً له في عام 1913، ومن ثم انتقل خواجة كمال الدين للعيش قرب المسجد في ووكينج، وسرعان ما أسس ما عرف باسم بعثة ووكينج الإسلامية The Woking Islamic Mission.

وفي عام 1912، بدأ بإصدار المجلة الشهرية "إسلاميك ريفيو Islamic Review" على نفقته الخاصة، والتي سرعان ما ذاع صيتها في جميع البلدان الإسلامية في العالم، حتى في أقصى الزوايا. وفي العام التالي، قام، على نفقته الخاصة أيضاً، بإصدار مراجعة شهرية أخرى، وهي "رسالة إشاعة الإسلام Risalae Isha'at-i-Islam"، لمواطنيه الناطقين باللغة الأردية. وظل رئيس تحرير هاتين الجريدتين الشهريتين حتى آخر لحظة في حياته.

ومن خلال نشاط خواجة كمال الدين سواء من خلال المحاضرات والندوات داخل مقر البعثة التي أسسها وخارجها، ومن خلال المناقشات والمقالات والكتيبات تمكن جذب اهتمام ألف رجل وامرأة إلى الإسلام خلال حياته، وذلك بحسب السيرة التي كتبها أرسلان بودنويتس في عدد "إسلاميك ريفيو" الصادر في ديسمبر من عام 1949، من أبرزهم اللورد هيدلي ومارمادوك بيكسال.

وقد كان أقربهم إليه اللورد هيدلي الذي كان رفيقه في حجه الثاني عام 1923، والذي أسس بمشورة خواجه كمال الدين "الجمعية الإسلامية في بريطانيا العظمى Muslim Society in Great Britain" والتي كانت مفتوحة للمسلمين من جميع أنحاء العالم دون تمييز بحسب الجنسية أو الطائفة، وظل اللورد هيدلي رئيسها حتى وفاته في عام 1935.

وكما قلنا فقد تميز النشاط الدعوي لخواجه كمال الدين بالارتفاع فوق الطائفية، وفي هذا الصدد، قال تلميذه ومعاونته، السيد يعقوب خان، رئيس تحرير المجلة الأسبوعية الإنجليزية "ذا لايت The Light": كانت "لا طائفة في الإسلام" سمة أخرى بارزة في حملة خواجه كمال الدين. وقد قدم ووكينج، الذي اجتمع تحت رعايته السنة والشيعية والوهابيون والأحمديون كأخوة في الإسلام، مشهداً رائعاً للإسلام الموحد الذي لم يكن من الممكن إلا أن يلفت انتباه الشعب الإنجليزي.

وبعد فترة وجيزة من نهاية الحرب العالمية الأولى، بدأ تأثير خواجه كمال الدين يتجاوز حدود إنجلترا ليغطي أوروبا بأكملها تقريبا، وكان معروفاً بشكل خاص في فرنسا وألمانيا وبلجيكا التي زارها عدة مرات. وبفضل جهوده تم إنشاء بعثة إسلامية في برلين، حيث تم بناء مسجد في نهاية العشرينيات من القرن الماضي. كما كان لنشاطه وكتابه صدى في الأوساط الإسلامية حول العالم، سواء في الهند أو في مصر أو غيرهما.

وفضلاً عن دوره في تأسيس مسجد ووكينج وفي الدعوة للإسلام، فقد قدم خواجه كمال الدين إنتاجاً وفيراً من الكتب تجاوز بحسب المصدر المذكور 100 كتاب منها كتابه اللذين رد بهما على بعض الهجمات التي شنتها بعض الأوساط الإنجليزية على الإسلام، وهما "الهند في الميزان India in the Balance" و"البيت منقسم The House Divided"، ومنها كذلك كتب مصادر المسيحية The Sources of Christianity، والنبي المثالي The Ideal Prophet، ونحو الإسلام Towards Islam، وإنجيل العمل Gospel of

Action كما كان قد بدأ في تفسير القرآن لكنه لم يكمله قبل وفاته، وكما يروى عنه فقد كانت معظم مواعظه من القرآن.

وبحلول عام 1927، بدأت صحة خواجه كمال الدين تتدهور تحت وطأة العمل وشعوره بالإعياء، فغادر إنجلترا إلى موطنه الأصلي. وقبل مغادرته بريطانيا، قام بإنشاء صندوق أتمتاني وجعل ممتلكاته بالكامل، والتي تقدر قيمتها بأكثر من مليون ونصف، وقفاً لبعثة ووكينج الإسلامية، كما قام بنقل حقوق الملكية في منشوراته ومجلة "إسلاميك ريفيو" إلى البعثة. ونتيجة للإجهاد الزائد بدأ يعاني من مرض السكري والسل، وبفضل بنيته القوية ناضل ضد الموت لمدة خمس سنوات. وقبل ساعات قليلة من وفاته في لاهور، باكستان، في 28 ديسمبر 1932، كان قد أضاف الفقرة الأخيرة إلى تفسير القرآن الكريم الذي ظهر في عدد أبريل ومايو 1933 من مجلة إسلاميك ريفيو.

وختاماً، فإن دور خواجه كمال الدين ومكانته في تاريخ تأسيس الوجود الإسلامي في بريطانيا لا يمكن إنكاره أو تجاهله، سواء في كونه أول مبعث لنشر الإسلام هناك، أو لدوره في تأسيس أول مسجد دائم في بريطانيا، وفي نشر الإسلام بين البريطانيين.

ويبقى تخصيص ودراسة هذا الدور وتقييم مدى نجاحه في الدعوة للإسلام دون الدعوة لطائفة بعينها أمراً مرهوناً بجهود باحثين مسلمين يتوفرون على سيرته وأعماله، مستفيدين مما نشر عنه من باحثين مسلمين وغير مسلمين.

لمصدر المعلومات والمزيد منها طالع سيرته المذكورة في المتن في عدد ديسمبر 1949 من إسلاميك ريفيو:

<https://workingmuslim.org/pers/kk/life-dec49.pdf>

وطالع دراسة للدكتور عمر رياض بعنوان السلفية والأحمدية والمتحولون الأوروبيون للإسلام في فترة ما بين الحربين:

<https://brill.com/display/book/edcoll/9789004301979/B9789004301979-s004.xml?language=en>

ولمن يحب الاستفاضة يمكنه قراءة كتاب رون جيفز بعنوان: الإسلام وبريطانيا.. البعثة الإسلامية في عصر الإمبراطورية:

<https://www.amazon.co.uk/Islam-Britain-Ron-Geaves/dp/1474271731>



هذه قصة من أعجب قصص التاريخ لأحد البريطانيين الذين أسلموا في سن مبكرة، وتردد اسمهم في التاريخ المبكر للمسلمين من أصول بريطانية بدايات القرن العشرين، بطل هذه القصة هو خالد شيلدريك Khalid Sheldrake (1888 - 1947) واسمه الأصلي بيرترام "بيرتي" ويليام شيلدريك، والذي كان صانع مخلل إنجليزي وفاعل خير وصحفي، نشأ في جنوب لندن، تحول إلى الإسلام، واختار لنفسه اسم خالد.

نشأ خالد لأسرة كاثوليكية، لكن قراءته لكتب المفكرين الأحرار مثل تشارلز برادلو جلبته تدريجياً إلى الإسلام، قبل أن يقابل أي مسلم في حياته، وذلك في عام 1904، عندما كان يبلغ من العمر 16 عاماً، ثم أصبح نشطاً في معهد ليفربول الإسلامي الذي أنشأه البريطاني المتحول للإسلام عبد الله كويليام.

كان خالد ناشطاً إسلامياً منذ البداية، حيث أسس جمعية إنجلترا الفتاة الإسلامية Young England Islamic Society في عام 1906 عندما كان يبلغ من العمر 18 عاماً فقط.

وعلى الرغم مما تسبب فيه إيمانه من احتكاك عائلي، إلا أنه بدأ العمل في المشروع العائلي الخاص بتصنيع وتجارة المخللات، لكنه ما لبث أن تحول إلى الصحافة والكتابة عن الإسلام وعمل كمحرر لمجلة "ذا ميناريت The Minaret" التي أسسها. ثم بدأ باستخدام ثروة عائلته للترويج لدينه الجديد، وساعد في إطلاق مجلتي بريتين آند إنديا "Britain and India" ومسلم نيوز جورنال "Muslim News Journal".

وفي الحرب العالمية الأولى تم تجنيده، لكنه لم يتم إرساله إلى الحرب خارج الأراضي البريطانية، حيث كان المتحولون للإسلام محل شك من السلطات، ولم يكونوا موثوقين

وتمت مراقبتهم بعناية. وقد أتهم صديق له وزميله فرانك محمد كرابتري بأنه "غير مرغوب فيه أخلاقياً وسياسياً" و"مهووس إنجليزي مسلم".

وفي عام 1917، تزوج خالد، البالغ من العمر 29 عاماً، من فيكتوريا جيلبرت البالغة من العمر 20 عاماً، والتي تحولت للإسلام واتخذت اسم غازية، وأثمر هذا الزواج عن ولدين: رشيد (1922)، وكال (1926).

وقد أصبح شيلدريك مسلماً إنجليزياً بارزاً وكان غالباً ما يشارك في مناشط ومناقشات المجتمع المسلم البريطاني آنذاك، وقد دعم بعثة مسجد ووكينج الإسلامية Woking Muslim Mission التي أسسها الخواجة كمال الدين، كما ساهم في تأسيس مسجد الفضل Fazl Mosque في ساوثفيلدز، لكن ارتباطه بهذين المسجدين على ما بينهما من خلاف واختلاف، وبسبب الانتقادات التي وجهتها الصحافة الإسلامية في العالم لهذين المسجدين باعتبارهما مرتبطين بدرجات متفاوتة مع الأحمدية جعله ينفصل لتأسيس الرابطة الإسلامية الغربية Western Islamic Association كما قام بتحويل جزء من منزله الواقع في منطقة إيست دولويتش جنوب شرق لندن، وأطلق عليه اسم مسجد الدولويتش Masjid el-Dulwich وردا على تلك الخلافات أوضح شيلدريك تفضيله للوحدة على الانقسام قائلاً "لقد قبلت الإسلام، والمدارس الفكرية لا تعني لي سوى القليل".

بذلك، وبحلول عام 1928، كانت هناك ثلاثة مساجد في لندن: في ووكينج، وساوثفيلدز، وإيست دولويتش، وأعرب شيلدريك عن خيبة أمله إزاء التقدم البطيء للإسلام البريطاني الذي ألقى باللوم فيه على الطائفية التي اصطبغ بها المجتمع الإسلامي الوليد في لندن.

وقد كان شيلدريك نشطاً في دعوة البريطانيين للإسلام، وتسجل المصادر في عام 1932 أنه نجح في تحويل غلاديس ميلتون بالمر، زوجة بيرترام ويليس دايريل بروك، على متن طائرة مستأجرة من الخطوط الجوية الإمبراطورية، كانت غلاديس ابنة لأحد كبار رجال

الأعمال المعروف باسم "قطب البسكويت هنتلي آند بالمرز" والتر بالمر، وقد أعاد شيلدريك تسميتها بـ "خير النساء".

وفي نوفمبر 1932، زار الهند من أجل تعزيز دور المسلمين الأوروبيين في الوحدة الإسلامية من خلال الدعوة إلى عقد مؤتمر إسلامي أوروبي مخصص لدراسة مشاكل المسلمين في أوروبا، وتعزيز الدعوة الإسلامية، ودحض أي ادعاءات ضد الإسلام في أوروبا.

لكن شهرة شيلدريك كانت تنمو خارج الأرض البريطانية بسبب نشاطه الإسلامي والصحفي. وعندما كان شعب الأويغور، فيما يعرف الآن باسم شينجيانغ (أو تركستان الشرقية)، يبحث عن الاستقلال عن الصينيين، وتحديدًا في عام 1933، تم الإعلان عن جمهورية تركستان الشرقية الإسلامية (المعروفة باسم ETR)، وعاصمتها كاشغر ويبلغ عدد سكانها مليوني نسمة.

وعندما تجاهلت الصين وروسيا الجمهورية الإسلامية الوليدة، توجه وفد إلى بريطانيا، والتقوا بعائلة شيلدريك، وتساءلوا: هل يصبح خالد ملكًا للمملكة الإسلامية وزوجته ملكة؟ وافق شيلدريك واتجه شرقاً على الفور، وألقى محاضرات عن الإسلام على طول الطريق وأخبر الناس عن ملكة الوشيك لكنه أقسمهم على السرية.

وبحلول عام 1934 كان قد وصل إلى بكين حيث تمت مراقبته عن كثب من قبل السلطات الصينية خاصة بعد أن جدد المسلمون الأويغور طلبهم له، وقد قبل رسمياً العرش ولقب جلالة الملك خالد ملك إسلامستان Islamstan.

ومع ذلك، بحلول يونيو 1934، تم تقويض فرص شيلدريك بسبب الشائعات، حيث زُعم أنه أراد سرقة رواسب اليشم في شينجيانغ، أو أنه كان جاسوساً للمملكة المتحدة، أو أنه إذا توج ملكاً، فستسيطر المملكة المتحدة على شينجيانغ، وزعمت صحيفة إزفستيا

السوفيتية أنه في حالة ثبوته، ستضم الإمبراطورية البريطانية شينجيانغ كما فعلت اليابان بمنشوريا، كما عارضت الصين واليابان التتويج المزمع، وسحب المسلمون الأفغان دعمهم.

وفي أوائل أغسطس، كانت عائلة شيلدريك تقترب من شينجيانغ لكنها وجدت أن أعمال عنف قد تفجرت في شرق الصين، وأن القوات المدعومة من السوفيت بقيادة أمير الحرب شنغ شيكاي كانت تستعيد السيطرة الصينية. وقبل الوصول إلى شينجيانغ، هرب الزوجان إلى الهند البريطانية مع بعض قادة ما كان يعرف باسم جمهورية الهند الشرقية، وأقامت عائلة شيلدريك في حيدر أباد ثم عادت إلى إنجلترا.

وقد أثارت الصحافة البريطانية موجة من السخرية على الأمر برمته: حيث أطلقت عليه لقب "ملك المخلاتات في تارتاري"، المتوجه إلى "57 نوع من المشاكل"، وأنه "هجر أحواض المخلاتات القديمة في 295 طريق ألباني". لم تناول الصحافة بجدية أيا من التعقيدات الجيوسياسية في المنطقة، وتم التعامل مع القصة على أنها سخريه ممتعة حيث لم تستخدم العديد من الصحف حتى صورة شيلدريك بل صورة لمسلم عام في فاس بدلاً من ذلك.

وفي إنجلترا، واصل شيلدريك إلقاء محاضرات عن تركستان بعد عودته، لكنه لم يجد سوى القليل من الاهتمام، كما واصل جمع الأموال للمساجد الجديدة والجمعيات الخيرية الإسلامية. وسافر إلى شمال أفريقيا وأوروبا الوسطى، وخدم أعماله عائلته من خلال شراء المخلاتات الحامضة في تركيا. وفي الحرب العالمية الثانية كان يعمل في المجلس الثقافي البريطاني في أنقرة إلى أن عاد إلى المملكة المتحدة عام 1944 وتوفي عام 1947، بينما توفيت زوجته عام 1978.

ولم يكن هناك نعي له، ولم تكتب تقارير صحفية عنه بعد وفاته، ويبدو أن اسم خالد شيلدريك قد نسي حتى وقت قريب، عندما أعطاه العلماء مكانه المستحق في تاريخ الإسلام البريطاني في القرن العشرين.

لمصدر المعلومات والمزيد منها طالع مقالا تعريفيا عنه على موقع الأرشيفات الوطنية:

<https://www.nationalarchives.gov.uk/20s-people/20sstreets/khalid-sheldrake-the-east-dulwich-man-who-would-be-king/>

وطالع الويكيبيديا:

[https://en.wikipedia.org/wiki/Khalid\\_Sheldrake](https://en.wikipedia.org/wiki/Khalid_Sheldrake)

وطالع مقالا عنه كتبه بول فرينش على موقع بريس ريدر عام 2019:

<https://www.pressreader.com/china/south-china-morning-post-6150/20190303/282505777420590>

وطالع كتابا شارك في كتابة مقدمة له عن السيدة فاطمة (يمكن تحميل الكتاب):

<https://archive.org/details/in.ernet.dli.2015.216165/page/n3/mode/2up>

وشاهد فيديو قصير عنه:

[https://www.youtube.com/watch?v=YQ0OWa9NMUo&ab\\_channel=hochelaga](https://www.youtube.com/watch?v=YQ0OWa9NMUo&ab_channel=hochelaga)



# عبد الله يوسف علي

صاحب الترجمة الأشهر للقرآن  
إلى اللغة الإنجليزية

لئن كانت ترجمته للقرآن إلى اللغة الإنجليزية هي ما بقي من ذكر وذكرى لهذا الرجل، على الرغم مما سبقها وتلاها من ترجمات، إلا أن حياة هذا الرجل كانت حياة مضطربة تدعو للتأمل.

اضطرابا داخليا في الهوية، بين انتمائه للإسلام والأمة الإسلامية من جهة، والتي تجلت في أعماله وكتابات في هذا الجانب، ومنها ترجمته للقرآن، وبين موالاته للإمبراطورية البريطانية الذي تجلى في الكثير من مواقفه وآرائه.

واضطرابا خارجيا، وتحديدًا على المستوى الأسري، إذ تزوج مرتين بامرأتين إنجليزيتين، أنجب من الأولى 4 من الأبناء، ومن الثانية ابنا آخر، وانتهت الزوجتان بالفشل، وتكر له أبناؤه من هذه الزيجة وتلك، حتى أنه قضى أيامه الأخيرة وحيدا، ومات وحيدا، ولم يسأل عنه أحد، لا من عائلته، ولا من الإنجليز، حتى تكفل سفير باكستان في بريطانيا بإتمام مراسم جنازته ودفنه.

إنه عبد الله يوسف علي Abdullah Yusuf Ali الذي ولد في أبريل من عام 1872 في بومباي بالهند فترة الحكم البريطاني، وعندما كان طفلاً، التحق بمدرسة أنجومان حماية الإسلام، ثم درس لاحقا في المدرسة التبشيرية بكلية ويلسون، وكلاهما في بومباي. كما تلقى تعليما دينيا وتمكن في النهاية من قراءة القرآن كاملاً عن ظهر قلب. كان يتحدث اللغتين العربية والإنجليزية بطلاقة. حصل علي على درجة بكالوريوس الآداب من الدرجة الأولى في الأدب الإنجليزي من جامعة بومباي في يناير 1891 وعمره 19 عاماً وحصل على منحة للدراسة في جامعة كامبريدج في إنجلترا.

ذهب علي لأول مرة إلى بريطانيا في عام 1891 لدراسة القانون في كلية سانت جون، بجامعة كامبريدج، وبعد حصوله على البكالوريوس والليسانس في الحقوق في عام 1895،

عاد إلى الهند في نفس العام بمنصب في الخدمة المدنية الهندية (ICS)، ثم حصل على الماجستير في القانون عام 1901. وفي عام 1905 عاد إلى بريطانيا في إجازة لمدة عامين من الخدمة المدنية، وخلال هذه الفترة تم انتخابه زميلاً في الجمعية الملكية للفنون، والجمعية الملكية للآداب.

لفت علي انتباه الرأي العام لأول مرة في بريطانيا بعد أن ألقى محاضرة في الجمعية الملكية للفنون في لندن عام 1906، نظمها معلمه السير جورج بيردوود. وكان معلمه الآخر هو اللورد جيمس ميستون، نائب حاكم المقاطعات المتحدة سابقاً، والذي، عندما تم تعيينه عضواً مالياً في حكومة الهند، قام بتعيين علي في عدة مناصب بمناطق مختلفة في الهند والتي تضمنت أيضاً فترتين قصيرتين كوكيل الوزارة بالإنبابة (1907). ومن ثم نائب السكرتير (1911-1912) في الإدارة المالية لحكومة الهند.

كتب عنه أحد كتاب سيرته "كان عبد الله يوسف علي ينتمي إلى جماعة من مسلمي الهند من عائلات مهنية يهتمهم المقام والمكانة. وفي سعيه لتحقيق طموحه في التأثير، أصبح الإذعان، إن لم يكن الخضوع الصريح، سمة أساسية لعلاقته مع البريطانيين. وخلال المرحلة التكوينية من حياته، اختلط بشكل رئيسي بدوائر الطبقة العليا، وعمل بجد على تنمية العلاقات مع أعضاء النخبة الإنجليزية. وتأثر بشكل خاص بالسلوك اللطيف والود الذي أظهره أولئك الذين ارتبط بهم، ونتيجة لذلك، أصبح محباً للإنجليز بشكل لا يمكن إصلاحه، بما تجلى في زواجه من تيريزا شولدرز حسب طقوس كنيسة إنجلترا، واستضافته حفلات الاستقبال للخير والعظماء، وذوقه في التحف والثقافة الهيلينية وانبهاره بأبطالها، وإعجابه بالماسونية في الهند كوسيلة للتجسير. وكان الانقسام العنصري والاجتماعي، ودعوته لنشر الفكر العقلاني والحداثي من خلال التعليم العلماني، كلها محاولات حقيقية للاندماج في المجتمع البريطاني".

في عام 1914 استقال علي من الخدمة المدنية واستقر في بريطانيا حيث أصبح أميناً لمسجد شاه جهان في ووكينج، وفي عام 1921 أصبح أميناً لصندوق بناء مسجد شرق لندن.

ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى، وعلى عكس العديد من المسلمين في بريطانيا الذين شعروا بعدم الارتياح لدعم الجهود الحربي البريطاني ضد إخوانهم المسلمين في الإمبراطورية العثمانية، كان علي مؤيداً متحمساً للمساهمة الهندية في الجهود الحربي، ولتحقيق هذه الغاية كتب المقالات وألقى الخطب العامة وقام بجولة محاضرات في الدول الاسكندنافية وحصل على رتبة الإمبراطورية البريطانية في عام 1917 لخدماته لهذه القضية. وفي نفس العام انضم إلى طاقم مدرسة الدراسات الشرقية كمحاضر في اللغة الهندوستانية.

وبالرغم من موافقه تلك، فإنه قد صدمه اقتراح تقسيم فلسطين، كما كان التقسيم العشوائى للإمبراطورية العثمانية وإنشاء إسرائيل أمراً مقلقا له، وفي عام 1937 حضر العديد من الاجتماعات والمؤتمرات التي دافعت عن قضية الفلسطينيين وحذر القوى الغربية من إنشاء دولة يهودية على أرض إسلامية. وقد كتب في قصيدته فلسطين التي صدرت في كانون الثاني/ يناير 1938:

"طريقة واحدة وحدها يمكن أن تجلب لك السلام:

هي ألا يتم قمع الحقوق القديمة،

وأن يتوقف الأجانب عن التعديات،

وأن تحظى القدس براحتها المستحقة".

مع ذلك، فإن مأساة فلسطين لم تكن كافية لردع ولائه للبريطانيين حيث سافر إلى الهند بناءً على طلب من وزارة الإعلام البريطانية لحشد الدعم الإسلامي بعد إعلان الحرب على

ألمانيا في عام 1939. وعند عودته، كتب مقالات وألقى خطابات، مطالباً الهنود بالاتحاد دفاعاً عن الإمبراطورية والتخلي عن مطلبهم بالإصلاحات السياسية. لكن ظهوره كلاعب مهم في الأحداث الدولية سرعان ما تلاشى بعد انتهاء الحرب عام 1944.

على الوجه المقابل كان عبد الله يوسف علي مثقفاً محترماً في الهند، حيث عينه محمد إقبال مديراً للكلية الإسلامية في لاهور، حيث خدم فيها من عام 1925 إلى عام 1927 ومرة أخرى من عام 1935 إلى عام 1937. وكان أيضاً زميلاً في جامعة البنجاب من 1925 إلى 1928، ومن عام 1935 إلى عام 1939، وعضواً في لجنة التحقيق بجامعة البنجاب (1932-33).

وقد ألف عدداً من الكتب حول الإسلام، منها: المثل التربوية الإسلامية Muslim Educational Ideals (1923)، وأساسيات الإسلام Fundamentals of Islam (1929)، والتربية الأخلاقية: الأهداف والأساليب Moral Education: Aims and Methods (1930)، وشخصية الإنسان في الإسلام Personality of Man in Islam (1931)، ورسالة الإسلام The Message of Islam (1940).

أما أشهر أعماله العلمية فهو كما قلنا ترجمته للقرآن الكريم إلى الإنجليزية وتفسيره الصادر بعنوان: القرآن الكريم: النص والترجمة والتعليق The Holy Quran: Text, Translation, and Commentary والتي أنجزت في الفترة من 1934 إلى عام 1937؛ وصدرت منها طبعة منقحة ما بين عامي 1939 و1940.

وفي ملاحظاته على تلك الطبعات المبكرة من الترجمة، أشار عبد الله يوسف علي إلى الجهود السابقة للمسلمين في ترجمة القرآن إلى الإنجليزية، وأبدى ملاحظاته عليها، كما تناول ترجمات القرآن بلغات المسلمين، الأردو، والفارسي، والتركي، إضافة إلى تاريخ ترجمات القرآن إلى اللاتينية، وختم ملاحظاته بالقول إنه "نظراً لانتشار اللغة الإنجليزية على نطاق واسع في جميع أنحاء العالم، فإن العديد من الأشخاص المهتمين بالإسلام سيحصلون على

أفكارهم حول القرآن من الترجمات الإنجليزية. ومن الجيد أن يحاول المسلمون المؤهلون - لذلك - تقديم صورة عن رؤيتهم العقلية والروحية لأنفسهم.

مضيفاً أن "النظام التعليمي الهندي جعل اللغة الإنجليزية لغة ثقافية مشتركة لسكان يبلغ عددهم 350 مليون نسمة. فالأكثر تعليماً من بين 80 مليون مسلم - ما لم يكونوا يعرفون اللغة العربية - ينظرون إلى اللغة الإنجليزية باعتبارها وسيلة التعبير الأكثر ثقافة. ويحكم أبناء وطنهم غير المسلمين على دينهم - وعادة ما يسيئون الحكم - من خلال المواد المتاحة لهم باللغة الإنجليزية. يجب علينا تحسين هذه المادة وزيادتها قدر الإمكان وبأكبر عدد ممكن من وجهات النظر. وقد قررت بعض الدول الإسلامية - مثل الأتراك - الآن توفير مؤلفاتها الدينية (بما في ذلك الكتاب المقدس) بلغتها الوطنية. ومن أجل إبقائهم على اتصال بأفكار ووجهات نظر إخوانهم في الإيمان، ستكون اللغة الإنجليزية في ظل الظروف الحالية هي الوسيلة الأكثر ملاءمة. هذه هي الاعتبارات التي دفعت عبد الله يوسف علي حسب تعبيره "للقيام بالمهمة الهائلة المتمثلة في تقديم تفسير إنجليزي للقرآن الكريم. أدعو أن أوت القوة والنور حتى أتمكن من النجاح في هذه الخدمة للإسلام".

ومن ثم فقد نشأت أجيال من المسلمين في البلدان الناطقة باللغة الإنجليزية وهم يقرؤون ترجمة وتفسير يوسف علي للقرآن، والتي نشر منها أكثر من 200 طبعة حتى الآن، مما يجعلها الترجمة الأكثر قراءة في أي لغة غير العربية.

ورغم حياته الصاخبة المليئة بالأحداث والمواقف المثيرة للجدل ورغم الإنتاج العلمي، فقد عاش عبد الله يوسف علي العقد الأخير من حياته وحيداً، يجوب شوارع لندن شارداء، وفي 9 ديسمبر من عام 1953، عثرت الشرطة عليه مغشياً عليه على أحد المقاعد العامة، وفي اليوم التالي أصيب بنوبة قلبية في مستشفى فولهام وتوفي وحيداً في نفس اليوم، ولم يطالب أي من أقاربه بالجثة، لكن ولأنه كان معروفاً لدى المفوضية العليا الباكستانية، قاموا بترتيب جنازته ودفنه في القسم الإسلامي بمقبرة بروكوود بالقرب من ووكينج.

لمصدر المعلومات والمزيد منها، طالع الويكيبيديا:

[https://en.wikipedia.org/wiki/Abdullah\\_Yusuf\\_Ali](https://en.wikipedia.org/wiki/Abdullah_Yusuf_Ali)

وطالع تقريراً كتبه عنه سعد حسن على موقع تي آر تي وورلد:

<https://www.trtworld.com/magazine/how-the-british-empire-abandoned-its-most-vocal-muslim-supporter-29488>

وطالع ترجمته وتفسيره في طبعاته الأصلية على الموقع المخصص له:

<https://quranyusufali.com/translations-of-the-quran/>



# ألكسندر راسل ويب

مؤسس الصحافة والدعوة الإسلامية  
في الولايات المتحدة

في ختام كتابه عن سيرته نقل الدكتور عمر الفاروق عبد الله قول أحد مسلمي الهند في وصف الرجل إنه "المسلم الصحيح، الذي يعرف روح الإسلام، فلم يكن مفرطاً في العقلانية ولا جافاً، لكنه كان مستحقاً لكنز الإسلام المقدس كما ينعكس في السادة الروحيين من أمثال الغزالي والرومي، كان قلب ويب مقتنعاً، ممتلئاً بحب الله وحب نبيه" ..

إنه الصحفي الأمريكي ألكسندر راسل ويب Alexander Russel Webb (1846 - 1916)، والذي عمل قنصلاً أسبقاً للولايات المتحدة في الفلبين، والذي سلك طريقه إلى الإسلام وحده عبر رحلة روحانية طويلة، والذي وضع البذور الأولى للدعوة والصحافة الإسلامية في الولايات المتحدة في أواخر القرن التاسع عشر.

ولد ألكسندر عام 1846 لأسرة من الطبقة المتوسطة، حيث امتلك والده مطبعة وصحيفة في منطقة وادي نهر هدسون في ولاية نيويورك، وتلقى تعليمه الأولى في مدرسة بمنطقة جلينديل في ماساتشوستس، ثم درس في كلية كليفاك وهي إحدى المدارس العليا المتميزة في هدسون في ذلك الوقت والتي أكسبته حب القراءة، والقدرة على التواصل الفعال في المجتمع، والتفكير النقدي. وفي عام 1869 انتقل للعيش في شيكاغو، حيث شارك في مشروع لتجارة الذهب والمجوهرات، وتزوج زيجته الأولى، لكنه فقد مشروع زوجته في حريق ضخم شب في المدينة.

وإن كان قد عمل في مجالات أخرى لفترات قصيرة مثل التجارة، والمسرح والسيرك، إلا أن عمل ألكسندر الأبرز كان في ميدان الصحافة، حيث اكتسب شهرته كصحفي ومحرر بارز في عدة صحف، خاصة في ولاية ميزوري الأمريكية بداية من عام 1874، حيث عمل في صحيفة يونيونفيل ريبابليكان، بمدينة يونيونفيل، وسانت جوزيف جازيت،

وميزوري مورنج جورنال في مدينة سانت جوزيف، ثم عمل في ميزوري ريبابليكان في مدينة سانت لويس.

وأثناء عمله في تلك الصحيفة الأخيرة تم تعيينه من قبل الرئيس الأمريكي الأسبق جروفر كليفلاند في سبتمبر من عام 1887 للعمل كممثل قنصلي للولايات المتحدة في الفلبين التي كانت في ذلك الوقت تحت الاحتلال الإسباني، حيث استمر في عمله حتى عام 1892. وقبل ذلك التاريخ وتحديدًا في عام 1888، أثناء عمله في مانيتا قنصلا، تحول إلى الإسلام، لكن تحوله ذاك لم يكن فجائياً، فقد سبق ذلك رحلة روحية طويلة تعود جذورها إلى عام 1872، وربما قبل ذلك.

فقبيل انتقال ألكسندر إلى شيكاغو، وتحديدًا عام 1865، كانت الحرب الأهلية الأمريكية قد انتهت، وبسبب دور الكنيسة في كل من الولايات الشمالية والجنوبية في تأجيج نار الحرب، فقد كثير من الناس اهتمامهم بالدين، وثقتهم في المعتقدات، فقل الذهاب للكأس، وخاصة الكأس السائدة آنذاك، وقد جاءت الصدمات الشخصية التي تعرض لها ألكسندر في شيكاغو، ليضع هذا الجو العام بصمته الشخصية عليه، ليدخل في أعوام من "التشرد الروحي" بداية من عام 1872، فقد فيها اهتمامه بالدين، وكما قال ألكسندر في أحد حواراته اللاحقة، فإنه ظل لعدة أعوام بلا دين على الإطلاق، وغلبت عليه الحياة المادية.

وعندما استفاق ألكسندر من صدمته الروحية، وبسبب فقدانه الثقة بالمسيحية الكاثولية منذ صباه، وتوافقًا مع الاتجاه المتزايد آنذاك بحث عن بدائل روحية في الشرق، والذي ساد في فترة ما بعد الحرب الأهلية، فقد اجتذبت البوذية في البداية اهتمامه في إطار انتمائه للحركة الثيوصوفية، وهي الحركة التي تأسست في الولايات المتحدة في القرن التاسع عشر، تهتم بالفلسفة الباطنية وتعكس الاهتمام المتصاعد بالجوانب الروحية في كل من الفلسفات الغربية القديمة والديانات الشرقية.

كانت القراءات الطويلة لمدة 4 إلى 7 ساعات يوميا، والتفاعل مع الحركات الشيوصوفية والبوذية الأمريكية، هي أدواته في رحلة التحول تلك، إلا أنه وفي النهاية، لم يجد البوذية كافية لإشباعه روحيا، ومن ثم استمر في رحلته بحثا عن بديل "شرقي" آخر، وقبيل عامين من سفره إلى مانيلا، جاءت الخطوة الأولى في رحلته نحو الإسلام عبر المراسلة مع شخصية مثيرة للجدل، وهي ميرزا غلام أحمد (مؤسس الأحمدية فيما بعد).

وكما يؤكد الدكتور عمر الفاروق عبد الله كاتب سيرة ويب، لم يكن ولم يصبح ألكسندر راسل ويب يوما ما أحمديا، بل حتى إن ميرزا غلام أحمد نفسه، كان وقت مراسلة ويب معه أحد علماء الهند البارزين، ولم يكن قد أعلن ادعاءاته الأحمدية بعد، ومن هنا جاءت مراسلات ويب معه، حيث تبادلوا 3 رسائل، كان فيها ويب يسأل عما يشغل باله، وروحه، وكان غلام أحمد يجيبه، لكن تلك الرسائل كانت مجرد بداية، ظل بعدها ألكسندر يقرأ ويبحث ويفكر عامين حتى خطأ خطوته الأخيرة نحو التحول للإسلام بعد تسلمه وظيفته الجديدة كقنصل، ولم يكن حتى تلك اللحظة قد رأى أي مسلم في حياته.

وقد جاءت الخطوة التالية في حياة ويب حينما تعرف على أحد الرجال من بومباي كان في زيارة إلى مانيلا، والذي قام بدوره بتعريفه بأحد تجار المدينة المسلمين وهو "بدر الدين كر"، والذي تبادل معه ويب المراسلات والتي أشار فيها إلى أهمية الترويج للإسلام في الولايات المتحدة، وإلى ضرورة أن يضطلع أحد بهذه المهمة، كون الأرض مهيأة نتيجة بروز اتجاه البحث عن بدائل دينية وروحية شرقية، وهو ما عبر عنه أيضا من خلال المقالات التي كان ينشرها في صحيفة "الله أباد ريفيو" الهندية، وقد حرص "كر" كذلك على نشر مراسلاته مع ويب في الصحافة الهندية، وهو ما لفت انتباه الحاج "عبد الله عرب" أحد كبار التجار من مدينة كلكتا الهندية، والذين يعمل تاجرا في الحجاز بالأساس، ومن ثم بدأت مراسلات بين عرب وويب في مارس من عام 1891، حيث دعاه الأخير لزيارته في مانيلا، وهي الزيارة التي حدثت في مارس من عام 1892، واتفق فيها

الطرفان على أن يستقيل ويب من وظيفته، وأن يبدأ مهمة للتعريف بالإسلام في الولايات المتحدة، على أن يقوم عرب بحملة تمويلية في الهند لدعم هذه المهمة ماليا لمدة 5 أعوام، ووقعوا عقداً بذلك. وقد أرسل ويب بالفعل رسالته للخارجية الأمريكية بالاستقالة في 7 يوليو 1892، وسافر إلى كل من بورما والهند في زيارة امتدت لستة أشهر.

خلال رحلته الشرقية، زار ويب كل من رانجون في بورما، وكلكتا وباتنا، وبومباي ومدراس، وحيدر أباد وبونا، وأجرا ولاهور في الهند، واستقبل في كل المدن استقبالا حافلا من مجتمع المسلمين، وألقى خلال رحلته العديد من المحاضرات، وأجرت معه الصحافة الإسلامية في الهند عدة مقابلات، وقد نشر عددا من محاضراته بعد ذلك في كتيبات، وعلى الرغم من طول زمن الرحلة والحفاوة التي قوبل بها، فإن الغرض التمويلي من الجولة في المدن الهندية لم يتحقق بالشكل المرجو، حيث كانت البلاد واقعة تحت تأثير ركود اقتصادي عالمي. ورغم ذلك فإنه كان عازما على إتمام مهمته، ومن ثم غادر الهند بعد تلك الرحلة عائداً للولايات المتحدة ليصلها في فبراير من عام 1893، لبدأ مهمته في التعريف بالإسلام عبر كل الوسائل الممكنة في زمانه.

بدأ ويب بتأسيس مهمته والتي أطلق عليها الدعاية الإسلامية الأمريكية "Islamic Propaganda"، في فبراير من عام 1893، وحدد لها هدفين تعليمي ومعلوماتي حول الإسلام، وخلال عمر المهمة القصير، أصدر ويب عدة صحف أولها "مسلم وورلد" Moslem World والتي أصدرها في مايو من عام 1893، ثم أصدر بعدها حتى أوائل عام 1896 عدة الصحف قصيرة العمر، وهي: "فويس أوف إسلام" Voice of Islam، و"ذا مسلم وورلد" The Moslem World، ثم كانت صحيفته الإسلامية الأخيرة "ذا مسلم وورلد آند فويس أوف إسلام" The Moslem World and Voice of Islam ثم توقف نشاطه في هذا المجال.

وخلال فترة نشاطه ما بين 1893 و1896 شارك ويب في المجال العام للحديث عن الإسلام من خلال المحاضرات والأحاديث في الصالونات الأدبية التي انتشرت في تلك الفترة والتي طاف من أجلها بعدة ولايات، لكن أهم ما قام به ويب في تلك الفترة مشاركته في "البرلمان العالمي الأول للأديان" The First World's Parliament of Religions بمحاضرتين خلال شهر سبتمبر من عام 1893، جاءت الأولى بعنوان روح الإسلام The Spirit of Islam، وكانت محاضرته الثانية عن تأثير الحالة الاجتماعية The Influence of Social Condition. وقد أحدثت المحاضرات صدى كبير، ونتج عن مشاركة ويب في المؤتمر علاقات جيدة استثمرها في مشاريعه الصحفية مع المتعاطفين مع الإسلام وأصحاب العقول المنفتحة من المسيحيين المشاركين في البرلمان الأول للأديان، وهي المحاضرات التي نشرت في عدة تقارير تناولت مجمل أعمال البرلمان.

وخلال فترة نشاطه، أصدر ويب بعض الكتيبات حول الإسلام، منها كتاب "المحاضرات الثلاث" The Three Lectures والذي ضم من محاضراته الهندية، محاضراته في كل من بومباي وحيدر أباد ومدراس، و"الإسلام في أمريكا" Islam in America والذي نشر في أبريل من عام 1893، و"دليل الصلاة" A Guide to Namaz وقد صدر أيضا في نفس العام. كما صدر له كتابان غير موقعين باسمه وهما: "بعض حقائق قليلة حول تركيا" A Few Facts about Turkey وصدر في أوائل عام 1895، و"الاضطرابات الأرمنية" The Armenian Troubles وصدر في أوائل عام 1896.

استخدم ويب خلال فترة نشاطه أسلوبا فريدا يقوم على التواصل الشخصي، من خلال ما أسماه "حلقات الدرس" study circles والتي كانت تضم 5 أفراد بحد أقصى من المسلمين والمتعاطفين مع الإسلام، لمدارسة ما هو متاح من كتب أو أي مصادر مقروءة حول الإسلام، والنقاش حول الإيمان الإسلامي، والتي بلغت 6 حلقات، انتشرت في عدد من المدن الأمريكية ضمت مانهاتن، وواشنطن دي سي، وبروكلين وسان فرانسيسكو وبويلو،

وساعده في إدارتها أحد المسلمين الجدد من نيو جيرسي وهو إيه إل روسون A L Rowson والذي كان على صلة جيدة بتجربة عبد الله كويليام في بريطانيا.

لم تستمر مهمة ويب كثيرا، حيث انتهت في بدايات عام 1896، وذلك نظرا لعدم وفاء الطرف الهندي بما وعد به كاملا من حيث الرعاية المالية للمشروع، كما كان لضعف قدرات ألكسندر ويب في إدارة المشروع، وحماسه الزائد الذي جعله يبدأ بالإففاق على تجهيزات لوجيستية استهلكت الجزء القليل من التمويل الذي تسلمه، وقد كان يحاكي في تجهيزاته وأحلامه مشروع "معهد مسلمي ليفربول" الذي أسسه عبد الله كويليام، وذلك على الرغم من عدم امتلاك ويب لمجتمع مسلم كالذي أسسه كويليام، وعلى الرغم من عدم حصوله على التمويل الكافي الذي استطاع الأخير الحصول عليه.

لم تميز السنوات العشرين التي بقيت من عمر ويب بالكثير، سوى عودته للعمل بالصحافة، ومحاولاته غير الموفقة للعمل في التجارة، وتعيينه قنصلا فخريا للدولة العثمانية في نيويورك في سبتمبر من عام 1901، ثم دعوته لزيارة إسطنبول في نفس العام ومنحه لقب بك، والنيشان المجيدي من الطبقة الثالثة، ووسام الاستحقاق العثماني. وقد عانى ويب من مرض السكري في أعوامه الأخيرة وتوفي متأثرا به في أكتوبر من عام 1916.

وعلى الرغم من دوره التأسيسي في تاريخ الإسلام في الولايات المتحدة، فقد بقي ألكسندر راسل ويب منسيا لعدة عقود إلى أن أحيا ذكره بعض المسلمين الجدد في أربعينيات القرن العشرين، كما تناولته إحدى الدراسات الأكاديمية الحديثة، لكن أول كتاب تناول سيرته الذاتية وسمات العصر الذي عاش فيه كان ذلك الكتاب الذي أعده الدكتور عمر الفاروق عبد الله رئيس مؤسسة النووي التعليمية في شيكاغو، والذي نشر عام 2006 بعنوان "مسلم في أميركا الفيكتورية.. حياة ألكسندر راسل ويب" A Muslim in Victorian America.. The Life of Alexander Russel Webb

وقد أعاد بعض الناشرين مؤخرًا نشر أعماله في طبعات حديثة، كما قام البعض بجمع بعض أعماله التي لم تجمع في حياته في كتب جديدة.

لمصدر المعلومات والمزيد منها طالع كتاب عمر الفاروق عبد الله عنه:

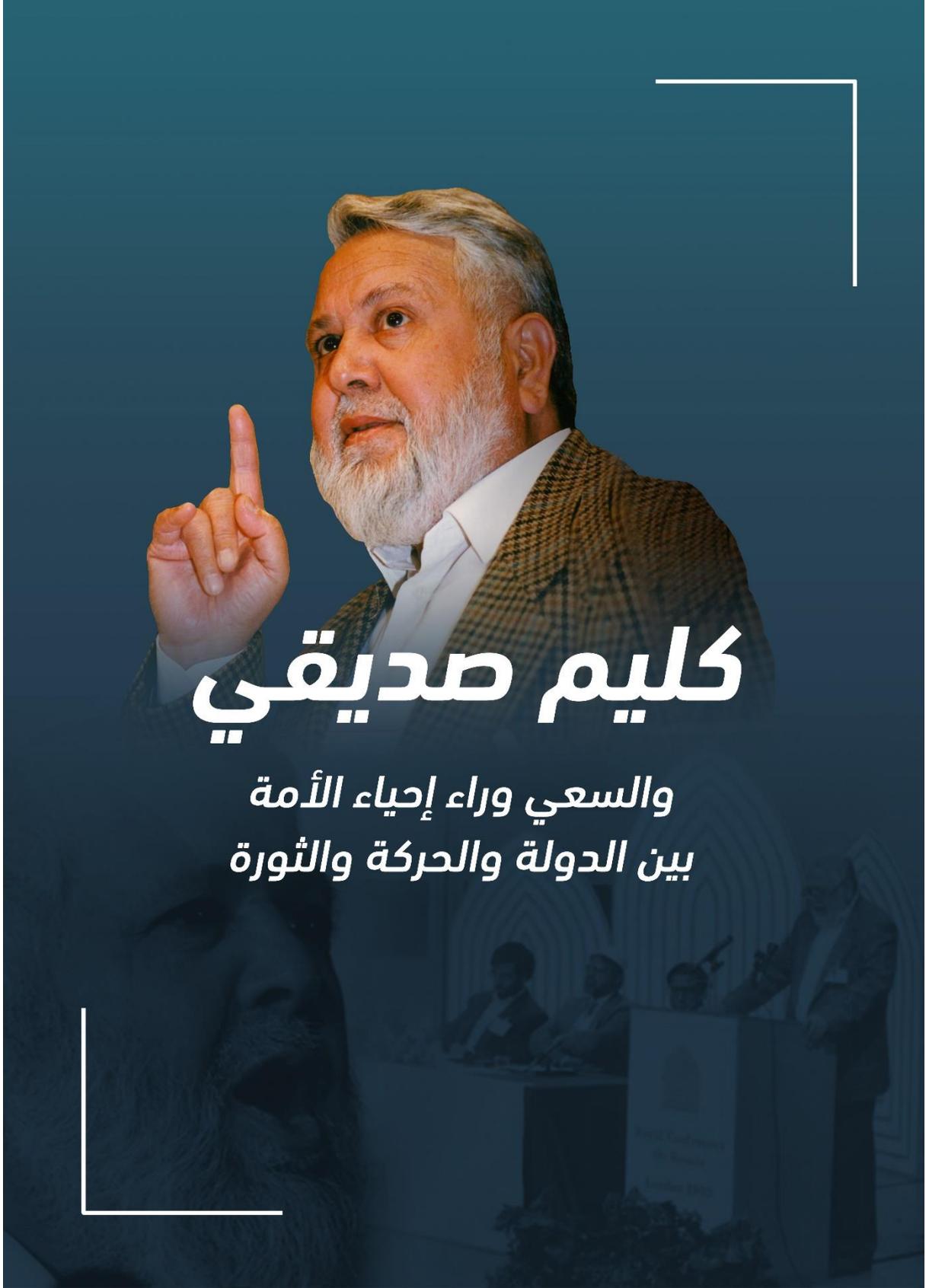
[https://www.amazon.com/gp/product/0195187288?ie=UTF8&linkCode=s11&tag=thebiglogic-20&linkId=66e5f355d591b9b62452e3f33bab832d&language=en\\_US&ref\\_=as\\_li\\_ss\\_tl](https://www.amazon.com/gp/product/0195187288?ie=UTF8&linkCode=s11&tag=thebiglogic-20&linkId=66e5f355d591b9b62452e3f33bab832d&language=en_US&ref_=as_li_ss_tl)

وشاهد جانبًا من محاضرة للمؤلف عن ويب:

[https://www.youtube.com/watch?v=NBwDco7d2A4&ab\\_channel=IslamOnDemand](https://www.youtube.com/watch?v=NBwDco7d2A4&ab_channel=IslamOnDemand)

وطالع مصدر إضافي ينفي عن ألكسندر راسل ويب بتاتا الانتماء إلى الأحمدية:

<https://ahmadiyyafactcheckblog.com/2022/04/05/alexander-russel-webb-was-never-an-ahmadi/>



# كليم صديقي

والسعي وراء إحياء الأمة  
بين الدولة والحركة والثورة

غداة استقلال بلاد أمتنا عاش جيل من أبناء الأمة على حلم استعادة الأمة لسابق مجدها، لكن مع مضي السنين صار هذا الحلم كابوسا اسمه الدولة الوطنية على النسق الغربي، دولة مستبدة تابعة ومتخلفة، تحولت أنظمتها الحاكمة إلى رعاة للحفاظ على هذا التخلف والتبعية والاستبداد، إلا ما رحم ربي.

لكن هناك من أبناء هذا الجيل من لم يستطع الحلم أن يفارق مخيلته، ومن ثم، ظل يبحث عنه طوال حياته، فصار كالنحلة لا يكل ولا يمل من التفكير ولا من السعي، حتى ولو على حساب صحته، متمسكا بأي بصيص من النور. هكذا كان حال الدكتور كلیم صديقي، الصحفي والكاتب وأستاذ العلاقات الدولية، والمفكر والناشط الإسلامي.

الدكتور كلیم صديقي Kalim Siddiqui هو أحد أبناء الهند البريطانية، حيث ولد فيها عام 1931 لأحد صغار ملاك الأراضي في المقاطعة التي تعرف الآن باسم أوتار براديش، عرف كلیم بنشاطه كطالب في الرابطة المسلمة في إطار حركة باكستان، وفي عام 1948 انتقل إلى كراتشي عاصمة باكستان في ذلك الحين، لكنه كغيره من الشباب المتحمس وجد التجربة التي عاشها في الدولة الوليدة مخيبة لآماله، ومن ثم سافر عام 1954 لدراسة الصحافة في بريطانيا.

بدأ كلیم حياته المهنية في صحيفة محلية في غرب لندن، ثم ارتقى سلم الصحافة خطوة خطوة حتى وصل إلى محرر فرعي (محرر ديسك بلغة أهل الصحافة) في صحيفة الجارديان عام 1964، كما بدأ يستكمل دراسته، حتى حصل على دكتوراه في العلاقات الدولية من كلية لندن الجامعية عام 1972، مع استمرار عمله الصحفي، حيث سافر للعمل مراسلا لصحيفة الجارديان في باكستان، وجمع مادة رسالته للدكتوراه والتي نشرت عام 1974 بعنوان "وظائف الصراع الدولي: دراسة اجتماعية - اقتصادية لباكستان"، وخلال تلك

الفترة بدأت مشكلة ما يعرف بباكستان الشرقية، والتي أدت لنشأة دولة بنجلاديش، والتي أصدر عنها كلیم كتابه "الصراع، والأزمة والحرب في باكستان" عام 1972.

كان هذا الصراع وتلك الأزمة والحرب مما شغل بال كلیم صديقي، ومن ثم دعا مجموعة من الشباب الباكستاني للدخول في مناقشات مطولة بين عامي 1973 و1974 لتأسيس المؤسسة التي عرفت لاحقاً باسم "المعهد الإسلامي"، وبالتوازي كان قد بدأ تدريس العلاقات الدولية في جامعة جنوب كاليفورنيا بألمانيا الغربية، كما استمر في عمله الصحفي.

كان مشروع المعهد الإسلامي يركز في فكرته الأولى على باكستان، لكن، وبعد أن حضر كلیم مؤتمراً للشباب المسلم كان قد دعا إليه القذافي في ليبيا، والتقى على هامشه بشباب مسلم من جميع أنحاء العالم وناقش معهم أفكاره. أهتمته تجربة المؤتمر أن يؤلف كتابه "نحو مصير جديد" انتقد فيه القذافي ودعا لحرية فكرية جديدة بين المسلمين، كما عاود التفكير في توجه المعهد الإسلامي، ووسع نطاق عمله ليصبح معهداً للبحوث والتخطيط بشأن قضايا العالم الإسلامي برمته وليس باكستان فقط، وهو ما أثمر عن صدور نشرة تأسيس المعهد، والتي ركزت على إرساء الأساس الفكري والعملي لجيل المستقبل لإعادة تأسيس القوة الحضارية للإسلام من خلال سلسلة من الثورات الإسلامية.

وبعد أيام فقط من انتهاء الدكتور كلیم صديقي من إعداد النشرة التأسيسية للمعهد تعرض لأول أزمة قلبية في حياته، والتي طلب بعدها الأطباء منه التوقف عن جميع أشكال العمل وطلب معاش عجز كامل، لكنه آثر الاستقالة من صحيفة الجارديان وجامعة جنوب كاليفورنيا والتزم بالكامل بالعمل لصالح المعهد الإسلامي. لقد كان مصمماً على عدم إضاعة ما تبقى له من عمر، وهو ما استمر عليه على مدى السنوات الـ 22 التالية والتي تعرض خلالها لنوبتين قلبيةتين أخريين وأجرى عمليتين تحويليتين في شرايين القلب، عامي 1981 و1995.

مارس المعهد نشاطه من خلال عقد الندوات والدورات التعليمية وإصدار الكتب والأوراق البحثية، ومنها دراستين للدكتور كلیم لا زالت لهما أهميتهما اليوم، وهما:

- "الحركة الإسلامية، مقارنة منظومية"، الصادرة عام 1976، والتي افترض فيها وجود حركة إسلامية عالمية مكرسة لإعادة تأسيس القوة الحضارية للإسلام، واستكشف جوانب عملها.

- "وما وراء الدولة القومية الإسلامية"، الصادرة عام 1977، والتي انتقد فيها النظام السياسي القائم في العالم الإسلامي والمحاولات الإسلامية لمحاكاة العلوم الاجتماعية الغربية، وخاصة في مجال العلوم السياسية.

وبعد عامين من كتابة ورقته الثانية تلك جاء الحدث الأبرز في زمانه وهو الثورة الإيرانية وعودة الإمام الخميني وتأسيس الجمهورية الإسلامية في إيران. كانت صدمة الدكتور كلیم من ردة الفعل السلبية لدى البعض على تلك الثورة، من ثم، وعلى النقيض من ذلك، انغمس الدكتور كلیم في دراسة الدولة الجديدة والتي رأى أنها تمثل اختراقاً في التاريخ الإسلامي، لكنه أدرك أيضاً، كما قال لاحقاً، أن هذا الاختراق قد يكون عابراً، وكان مصمماً على التقاط أكبر قدر ممكن من ضوئه في حالة عدم استمراره. وفي الوقت نفسه، كان يدرك أن الدراسة الأكاديمية للظاهرة الجديدة لم تكن كافية؛ وباعتباره مسلماً، رأى أن من واجبه مساعدة الدولة الإسلامية الناشئة على النجاة من الضغوط الهائلة التي يمارسها عليها أعداؤها.

ونتيجة لذلك، زار الدكتور كلیم إيران عدة مرات لرؤية الثورة وفهمها عن قرب، كما قام المعهد بتنظيم دورة محاضرة في لندن لحامد الجار، مترجم كتابات الخميني إلى اللغة الإنجليزية. كما قام الدكتور كلیم وأعضاء آخرون في المعهد بجولة في بريطانيا والولايات المتحدة ودول أخرى، حيث ألقوا خطابات في اجتماعات لشرح الأهمية الحقيقية للأحداث في إيران. ويمكن تتبع فهم الدكتور كلیم المتطور للثورة الإسلامية من خلال

كتاباته في هذه الفترة والتي تشمل: حالة العالم الإسلامي اليوم (1979) والثورة الإسلامية: الإنجازات والعقبات والأهداف (1980).

وقد ظل الدكتور كليم صديقاً مقرباً ومؤيداً لتجربة إيران الإسلامية بقية حياته، وقدم خلال تلك الفترة كتابات أخرى حول التجربة، ومنها كتابه "عمليات الخطأ والانحراف والتصحيح والتقارب في الفكر السياسي الإسلامي (1989)، والذي نال استحسان صديقه السيد علي خامنئي.

في هذه الفترة وبحكم تكوينه الصحفي، طور الدكتور كليم صديقي والمعهد الإسلامي علاقة مع صحيفة "ذا كريست" وهي صحيفة إخبارية إسلامية كانت تصدر في تورنتو بكندا منذ عام 1972، والتي كانت تكتب أيضاً دعماً ودفاعاً عن الثورة الإسلامية في إيران، وقد تم ضمها إلى المعهد في أغسطس 1980، وحملت منذ ذلك الوقت اسم "ذا كريست إنترناشونال"، والتي ساهم فيها الدكتور كليم بكتابات كثيرة، والتي صدر منها طبعة عربية باسم "الهلل الدولي" في الفترة من 1987 إلى 1991.

وقد شملت جهود المعهد الإسلامي الأخرى تأسيس خدمة نشر الأخبار الإسلامية في الفترة من (1981-1991) وسلسلة مختارات سنوية شعبية بعنوان "قضايا في الحركة الإسلامية"، نُشرت منها 7 أعداد في الفترة من 1982 إلى 1989. وبسبب القيود المالية وغيرها، كان لابد من إغلاق العديد من هذه المنشورات. لكن "ذا كريست إنترناشونال" استطاعت البقاء على قيد الحياة.

كما نظم المعهد خلال تلك الفترة أيضاً عدداً من الندوات والمؤتمرات تناولت قضايا مهمة مثل: الأبعاد السياسية للحج في عام 1982، والدولة والسياسة في الإسلام (1983)، والثورة الإسلامية في إيران (1984)، وأي مستقبل لباكستان؟ (1984)، وتأثير القومية على الأمة (1985)، والفكر السياسي الإسلامي خلال الفترة الاستعمارية

(1986)، ومستقبل الحرمين (1988)، الآثار المترتبة على قضية رشدي (1989)، ومستقبل المسلمين في بريطانيا (1990).

كان عام 1989 عاما مفصليا في مسار نشاط الدكتور كلیم صديقي، وذلك نتيجة لما أحدثه صدور رواية سلمان رشدي "آيات شيطانية" عام 1988 من ردة فعل غاضبة في الشارع الإسلامي، وهو الغضب الذي لم تخل منه شوارع بريطانيا التي كان سلمان رشدي يقيم فيها. كما كان لصدور فتوى للخميني في فبراير من عام 1989 أثر الزلزال في الشارع المسلم حول العالم، وهو ما أثار غضب الصحافة والإعلام الغربي والبريطاني، وتوجه جزء من هذا الغضب إلى الدكتور كلیم صديقي بحكم علاقته ودعمه لإيران.

وكما كانت الأزمات والأحداث الكبرى دافعا له دائما للتفكير العميق والتشاور وإنتاج الأفكار والمؤسسات، فقد دفعته تلك الأزمة إلى أن يوجه تفكيره ورفاقه في المعهد الإسلامي، إلى وضع ورقة فكرية باسم "البيان الإسلامي The Muslim Manifesto" والتي صدرت عام 1990.

تحدث كلیم في البيان عن المشاكل التي تواجه المسلمين في بريطانيا والواجبات والمسؤوليات التي يتحملها المجتمع المسلم في بلد غير مسلم، وقد كان ذلك البيان بمثابة الوثيقة التأسيسية لمشروعه التالي وهو "البرلمان الإسلامي في بريطانيا العظمى Muslim Parliament of Great Britain".

تم افتتاح البرلمان الإسلامي بعد عامين من صدور هذا البيان، وتحديدًا في 4 يناير من عام 1992، وكما يقول المؤرخ إقبال صديقي كاتب سيرة الدكتور كلیم، فإن التوجه المجتمعي للدكتور كلیم صديقي لم يكن جديدًا عليه، فقد ظهر في كتابه القديم الصادر عام 1973 "نحو مصير جديد Towards a New Destiny"، والذي رأى فيه أن التحدي الذي يواجه المسلمين في البلدان الغربية ذو شقين: تحدي الحفاظ على هويتهم في بيئة معادية،

وتحدي المساهمة بشكل كامل في الكفاح العالمي للأمة لإعادة تأسيس الإسلام كقوة حضارية للخير في العالم.

وقد ظهر نفس التوجه مرة أخرى في كتابه: توليد "السلطة" بدون سياسة (1990) والبرلمان الإسلامي في بريطانيا العظمى - الابتكار السياسي والتكيف، وهو خطابه الافتتاحي في افتتاح البرلمان الإسلامي (1992)، والذي قال فيه إنه من أجل البقاء كمسلمين في هذا البلد، يجب على المجتمع تطوير مؤسساته الخاصة القادرة على تلبية احتياجاته في كل مجال دون الاعتماد على الدولة أو الحكومة البريطانية.

وفور افتتاحه، شرع البرلمان الإسلامي في العمل على إجراء المزيد من الأبحاث حول أوضاع واحتياجات المسلمين في بريطانيا، وأنشأ مشاريع لتحسين أوضاعهم في المجالات المهمة التي شملت التعليم، والفقير، والبطالة، والتمييز ضد المسلمين، وحالة مساجد المجتمع، وتجارة اللحوم الحلال.

ففي عام 1993، أنشأ البرلمان الإسلامي مؤسسة خيرية مسجلة، بيت المال الإسلامي، لتمويل وإدارة أجزاء من عمله التي تعتبر خيرية بموجب القانون البريطاني وذلك لرعاية الأسر المحرومة التي تعاني من صعوبات، ومساعدة الطلاب من خلفيات فقيرة.

كان التعليم هو المجال الرئيسي الآخر لعمل البرلمان، حيث أكد الدكتور كلیم أن التعليم هو السبيل الوحيد لكسر دائرة الفقر والحرمان الاجتماعي التي أبقّت المسلمين البريطانيين فقراء واستغلّاهم في أسفل السلم الاجتماعي والاقتصادي في بريطانيا. وبينما ركز النقاش التعليمي بين المسلمين في هذا البلد على الحصول على تمويل حكومي لعدد قليل من المدارس الإسلامية، رأى البرلمان الإسلامي أن الحاجة الفورية للمسلمين هي إنشاء مرافق تعليمية تكميلية لمساعدة الأطفال المسلمين في المدارس الحكومية.

المؤسسة الرئيسية الثالثة لشبكة البرلمان الإسلامي هي هيئة الأغذية الحلال Halal Food Authority (HFA)، التي تأسست عام 1994 لمراقبة وتنظيم تجارة اللحوم الحلال في بريطانيا، والتي كانت لسوء الحظ احتيالية إلى حد كبير.

في ذلك الوقت، رأي بعض المسلمين أن البرلمان الإسلامي يجب أن يركز على القضايا المحلية وألا يتخذ موقفا قويا بشأن القضايا الدولية من شأنه أن يزيد من صعوبة العمل في بريطانيا، لكن الدكتور كليم لم يقبل هذا الموقف أبداً، قائلاً إن المسلمين في بريطانيا لديهم مسؤولية تجاه العالم الإسلامي العالمي، ومن ثم عمل البرلمان على دعم البوسنة، وذلك من خلال لجنة حقوق الإنسان التابعة له، وقد ساهم المؤتمر العالمي للبرلمان الإسلامي حول البوسنة والحركة الإسلامية العالمية (نوفمبر 1993) بشكل كبير في فهم الأحداث هناك، ودعا إلى تسليح البوشناق في مقابل سياسة حظر التسليح التي فرضتها أوروبا.

في النهاية، تبقى أعظم إسهامات الراحل الدكتور كليم صديقي هي في دوره ككاشط سياسي ومعلق ومحلل ومفكر خلال فترة حاسمة من تاريخ الأمة الإسلامية. ومن خلال قوة شخصيته، ودوافعه وطاقته، وخطبه وكتاباته، ألهم وساهم في تنوير عدة أجيال من الشباب المسلمين والناشطين الإسلاميين في جميع أنحاء العالم بين أوائل السبعينيات وحتى وفاته في عام 1996. وكانت مصطلحات الأمة، والدولة القومية، والحركة الإسلامية، والثورة، محورا لمشروعه الفكري، ومحورا لعمل المؤسسات التي أنشأها: المعهد والصحيفة والبرلمان.

وعلى الرغم من كل إسهاماته لم يحظ ما قدمه بدراسة أكاديمية عربية لثنائية الفكر والحركة عنده، وإلى أي حد نجح أو أخفق، أو أصاب أو أخطأ، أو إلى أي حد يمكن لإسهاماته الفكرية وأفكاره التي وضعها في مؤسساته أن تبقى صالحة لزماننا، والذي ربما لو عاش حتى وصل إليه، لرأينا "المقاومة" محورا خامسا لكتاباته ومؤسساته، ولرأى فيها بصيصا من الأمل يبشر بغد أفضل تتحقق فيه ما تآقت إليه نفسه، وعاش من أجله.

لمصدر المعلومات والمزيد منها طالع موقع الدكتور كلیم صديقي:

<http://kalimsiddiqui.com/>

الكتيب التذكري: حياة في الحركة الإسلامية.. كلیم صديقي 1931 - 1996

<http://kalimsiddiqui.com/wp-content/uploads/2020/06/KS-comm-booklet-1996.pdf>

المقال التعريفي الذي كتبه إقبال صديقي عن الدكتور كلیم صديقي على موقع معهد الفكر الإسلامي المعاصر:

<https://www.icit-digital.org/articles/a-life-in-the-islamic-movement-dr-kalim-siddiqui-1931-1996>



في تأيينه، كتب عنه الباحث والكاتب البريطاني المسلم يحيى بيرت: كانت "كيو نيوز" -Q- News، التي أنشأها فؤاد النهدي أهم مطبوعة إسلامية في المملكة المتحدة في وقتها، ساعدت في تشكيل كيفية رؤية جيل كامل من الشباب المسلمين لهويتهم وإيمانهم. ومن ثم، ينبغي أن نتذكره إلى جانب الشيخ عبد الله كويليام والدكتور كليم صديقي باعتباره من بين الصحفيين والناشطين العظماء الذين أنتجهم الإسلام البريطاني.

جمع الصحفي والناشط الاجتماعي فؤاد النهدي Fuad Nahdi خليطاً عجيباً في عروقه وفي ثقافته، وفي شخصيته، حيث ولد في أروشا، بتنزانيا عام 1957، ونشأ في مومباسا بكينيا، من أسرة تعود إلى أصل يمني إندونيسي، حيث هاجر أجداده من حضرموت، سعياً على أرزاقهم في شرق إفريقيا، تضم عائلة فؤاد الممتدة أغنى أصحاب الأراضي الحضرية في كينيا، وعلى رأسهم الشيخ صوالح النهدي. وكان والد فؤاد نفسه رجل أعمال ناجح في دار السلام (تنزانيا) قبل أن يصاب بمشكلة في القلب، مما أجبره على الانتقال بالقرب من أقربائه المقربين في مومباسا، والاستفادة من المرافق الطبية الأفضل هناك.

تشرب فؤاد العطف على النساء في أسرته، مما انعكس في شخصيته، حيث كانت والدته، هي حبه المطلق التي أعطت أطفالها أفضل تربية، كما كان مقرباً إلى شقيقاته الثلاث، فكان صديقتهم، ومعلمهم، وفي مقام أبيهم بعد وفاة أبيه، حرص على تزويجهم، والتأكد من أن أزواجهن يعرفون أن لديهم رجلاً خلفهم وأمامهم يدافع عن مصالحهم.

تلقي فؤاد تعليمه وفق التقاليد العلمية والروحية للباعلوية في جنوب اليمن، وهم سلالة من الرجال الأتقياء ينحدرون من نسل النبي، اشتهروا بدورهم التاريخي في نشر الإسلام في العديد من البلدان على مر القرون.

كما درس فؤاد الاقتصاد في جامعة نيروبي، وكان لنشأته في شرق أفريقيا، وخاصة تعليمه في كينيا، دور مهم في تكوينه الفكري والاجتماعي، حيث بدأ ميله للنشاط والحب الدائم للمستضعفين، وخاصة المسلمين المستضعفين، خلال فترة دراسته بالجامعة والتي كانت حينها مكانا فكريا صاخبا ومثيرا.

انغمس فؤاد بشكل كامل في الأنشطة الأكاديمية والسياسية والاجتماعية للجامعة، حيث كان رئيساً لجمعية الطلاب المسلمين بجامعة نيروبي، وكان ينتمي أيضا إلى المنظمة القبلية الساحلية، ورابطة طلاب الساحل، كما كان نشطا كعضو في جمعية الشباب المسلم، وهي منظمة إسلامية غير حكومية تقوم بأعمال خيرية نشطة في المقاطعة الشمالية الشرقية، وهي منطقة تشارك في الحدود الكينية مع الصومال وجنوب إثيوبيا. كما أصدر رسالة إخبارية طلابية. وكان يُطلب منه في كثير من الأحيان التحدث في خلوات الندوة العالمية للشباب الإسلامي (WAMY)، وكان آخر عمل حقيقي لفؤاد في كينيا هو فترة قصيرة نسبياً قضاهها مع المؤسسة الإسلامية في نيروبي.

وبعد أن أكمل دراساته الجامعية في الاقتصاد اختار فؤاد أن يصبح صحفيا متمرسا. ومن ثم حصل على فرصة لحضور سلسلة من الدورات الصحفية القصيرة، والتي تخللتها فترة تدريب في المعهد الإسلامي في لندن، الذي أسسه الدكتور كليم صديقي والذي كان قد رتب هذا البرنامج التدريبي لإعداد جيل من الصحفيين المسلمين.

وبينما كان البرنامج يوفر الرسوم الدراسية مجانا، كان على الصحفيين الشباب المهتمين والطموحين أن يجدوا وسائل خاصة لإعالة أنفسهم. ومن ثم اتخذ فؤاد القرار وتوجه إلى لندن، وهناك جمع بين العمل قائدا لسيارة أجرة، وبين حضور التدريب، وقد وجد فؤاد في الدكتور كليم أبا ومرشدا تشرب منه أصول المهنة وتعرف على الثقافة الإنجليزية في هذا المجال.

ولرغبته في تعزيز مسيرته الصحفية، درس في جامعة سيتي التي تأسست مؤخرًا، في لندن، وكانت مركزًا للتميز في الدراسات الصحفية، وقد ساهمت تلك الفترة التي قضاها هناك في تشكيل نظرتة الصحفية بشكل كامل، كما زودته بشبكة واسعة من العلاقات في عالم الصحافة العالمية مكنته من أن يكون صحفياً مستقلاً يعمل مع عدة منافذ إخبارية مرموقة مثل واشنطن بوست، ونيويورك تايمز، والجاردريان، والإندبندنت، ورويترز، ووكالة فرانس برس، وأسوشيتد برس، وغيرها من القنوات الأقل شهرة.

وفي الفترة ما بين عامي 1985 و1986 التحق فؤاد بكلية الدراسات الأفريقية والشرقية للحصول على درجة الماجستير في "الإسلام والسياسة"، حيث درس حركة الطلاب المسلمين في جامعة نيروبي.

وقد كان 1988 بداية توجه فؤاد من الاهتمام بالشؤون الدولية للمسلمين، إلى الاهتمام بشؤون المسلمين في بريطانيا، كانت جمعية النساء An-Nisa Society وهي جمعية للنساء المسلمات في بريطانيا، موجودة قبل ذلك التاريخ، وكانت خالدة خان، مؤسسة الجمعية وصاحبة رؤيتها، تجري معه محادثات لا نهاية لها حول قضايا التمييز ضد المسلمين والإسلام، مما كان حافزاً له لتأسيس مجلة "مسلم وايز Muslimwise"، التي كانت المرأة هي العمود الفقري لها.

بعد ذلك جاءت مجلة "كيو نيوز" أهم المجلات الإسلامية على مدى ما يقرب من 15 عاماً، والتي يقول عنها يحيى بيرت: بدأت Q-News كمجلة أسبوعية تعتمد على الأخبار مع إصدارها الأول في 3 أبريل 1992، لكنها أصبحت في السنوات اللاحقة مجلة شهرية لامعة ذات ميزات أطول، كان برنامجها يستهدف دائماً الشباب المسلم، ومن أجل تلبية احتياجاتهم، قام فؤاد بتوجيه فريق من الشباب البريطاني المسلم، ونقل مهاراته الكبيرة في الصحافة والعلاقات العامة وتنظيم المجتمع وإدارة الأحداث. ثم واصلت هذه المجموعة من

الصحفيين المسلمين الشباب المساعدة في تحديد وجهة نظر جيلهم الذي بلغ سن الرشد في التسعينيات.

وكما كانت "مسلم وايز"، فقد كانت خليفتها "كيو نيوز" مجلة دورية إسلامية تركز على أصوات النساء المسلمات واهتماماتهن وأفكارهن وأجنداتهن وكانت ثاني مجلة بريطانية إسلامية تعين امرأة مسلمة كرئيسة تحرير وهي شجوفتا يعقوب، في عام 2000؛ حيث سبقتها سارة جوزيف في "تريندز" Trends عام 1994.

وقد امتد عمر كيو نيوز حتى شهر ديسمبر من عام 2005، وهو العام الذي شهد تأسيس فؤاد لمؤسسة "الطريق الوسطي الراديكالي Radical Middle Way"، وهي شركة غير ربحية تهتم بالمجتمع وتهدف إلى السماح للشباب المسلمين - في المملكة المتحدة وحول العالم - بالتواصل مع عقيدتهم واستكشاف ما يعنيه الإيمان في القرن الحادي والعشرين. تأسست في أعقاب هجمات 7 يوليو على مترو الأنفاق في لندن، وتهدف إلى تعزيز الفهم السائد والمعتدل للإسلام الذي يمكن للشباب الارتباط به.

وقد قدمت المؤسسة برامج وفعاليات للترويج لفكرة أن الدين الصالح هو السبيل لمعالجة التطرف، والترويج لإسلام بريطاني إيجابي يتسم بالثقة، ولا يخشى أن يكون صريحاً عند الحاجة، لذا كان شعار البرنامج: محاربة الخوف. محاربة الجهل. والتحلي بالإيمان، وقد بلغ عدد تلك البرامج أكثر من 230 برنامجاً وحدثاً في المملكة المتحدة وباكستان والسودان وإندونيسيا ومالي والمغرب. شارك فيها أكثر من 75000 شخص من المملكة المتحدة وحدها، فضلاً عن عشرات الآلاف من جميع أنحاء العالم.

ولم يكن تأكيد الهوية بشكل إيجابي سمة جديدة على أفعال فؤاد النهدي، حيث قام لأول مرة في بريطانيا بتنظيم أول احتفال كبير بمولد النبي عام 1995 بعنوان "التوحد من أجل النبي Uniting for the Prophet" الذي جمع التقاليد الصوفية وحتى غير الصوفية المختلفة تحت سقف واحد. وقد كرر هذا في حدث مميز آخر في عام 2005 مع المولد

النبوي الذي أقيم في مركز مؤتمرات ويمبلي، ونتيجة لذلك، صار الاحتفال بمولد النبي يُمارس على نطاق واسع في جميع أنحاء البلاد.

وفضلاً عن تلك المؤسسات التي أسسها، كان فؤاد النهدي شخصية بارزة في أوساط الحوار بين الأديان، حيث لعب دوراً نشطاً في "المنتدى المسيحي الإسلامي"، الذي تأسس عام 2005، وحصل على الميدالية الذهبية للحوار بين الأديان من منتدى الأديان الثلاثة في عام 2012، وكان أول مسلم على الإطلاق يخاطب المجمع المسيحي العام عام 2014، حيث كان قريباً بشكل خاص من رئيس الأساقفة روان ويليامز.

وفي عمله بشكل عام، شكل فؤاد شراكات مهمة مع المسلمين البريطانيين من أمثال إبراهيم هيويت، وداود روسر أوين، ويوسف إسلام، وعبد العظيم سوندرز، وعبد اللطيف وايتان، ومارتن أبو بكر سراج الدين لينغز، وحسن لو جاي إيتون، إضافة إلى الشيخ حمزة يوسف، والشيخ نوح كيلر، والدكتور عمر عبد الله، والإمام زيد شاكر، والشيخة حليلة كروسن، وبشكل أعمق، مع الشيخ عبد الحكيم مراد رئيس الكلية الإسلامية في كمبريدج، فعندما عاد عبد الحكيم من دراسته في العالم العربي، كان هو وفؤاد يدعمان بعضهما البعض في العديد من المشاريع على مدى الثلاثين عاماً التالية.

وعلى الرغم من معاناته من مرض السكر والسرطان على مدار العشر سنوات الأخيرة من عمره والتي جعلته يتردد على المستشفيات بشكل دوري، فقد ظل دائماً ناشطاً في الاستشارات العائلية والصلح بين الأزواج، فضلاً عن قيامه بدور الوالي للشابات المسلمات في زواجهن، وضمان حسن معاملة أزواجهن لهن، ومع انتشار جائحة كوفيد-19 أصيب بكورونا على مدى 6 أسابيع حتى أسلم الروح يوم 31 مارس 2020.

كان فؤاد النهدي كما كتب عنه الكثير من أصدقائه شخصية محببة، مرحة، هينة لينة، فضلاً عن جرأته في أفكاره الإصلاحية والتي كان يتوجه بها إلى الجمهور والمؤسسات الإسلامية فضلاً عن الحكومة والجمهور البريطاني.

ولذلك عبر محبوه عن مشاعرهم بعد وفاته من خلال دعمهم الفائق لمشروع الصدقة الجارية التي قامت أسرته بطلب تمويلها من خلال حملة على موقع "لونش جود"، والتي حصلت على أكثر مما كان مخططاً لها من تمويل في فترة وجيزة. كما عبر أصدقاؤه ومحبوه وعارفو فضله عن حبه له ولمشاريعه وأفكاره من خلال إصدارهم عدداً تذكاريًا من مجلة "كيو نيوز" في ذكرى وفاته الأولى، وبعد توقف المجلة بـ15 عاماً، وقد بلغ عدد صفحات هذا العدد 300 صفحة.

في الختام، وكما قال يحيى بيرت عنه في تأبينه: قبل كل شيء، كان (فؤاد النهدي) صحفياً وناشطاً، وكان بمثابة الصوت البديل الحقيقي للمسلمين. تناول عمله الحقيقي قضايا مثل قضية (سلمان) رشدي والبوسنة والإسلاموفوبيا والهوية الإسلامية. إن قدرته على العمل مع المجتمع الإسلامي ككل والتعرف عليه جعلته إسلامياً جامعاً.

لمصدر المعلومات والمزيد منها طالع مقال يحيى بيرت:

<https://yahyabirt.medium.com/fuad-nahdi-q-news-and-the-forging-of-british-islam-some-personal-reflections-9182c15b4ca8>

ومقال جاك سوليفان وعبد الرحمن مالك في الجارديان:

<https://www.theguardian.com/world/2020/apr/01/fuad-nahdi-obituary>

ومقال البروفيسور الكيني محمد بكاري:

<https://hekaya.co.ke/2020/04/14/fuad-nahdi-an-appreciation/>

ومقال آخر على ذا ناشونال نيوز:

<https://www.thenationalnews.com/world/europe/fuad-nahdi-legacy-fund-set-up-to-continue-work-of-pioneer-of-muslim-focused-journalism-in-london-1.1016699>

وصفحة حملة الصدقة الجارية على لونش جود:

[https://www.launchgood.com/campaign/a\\_fuad\\_nahdi\\_legacy#!/](https://www.launchgood.com/campaign/a_fuad_nahdi_legacy#!/)

ومقال زوجته حميرة خان عنه:

<https://hk-annisasociety.medium.com/fuad-perfume-women-prayer-4cbe3465d3e5>

وشاهد فيديو تدشين العدد التذكري من مجلة "كيو نيوز":

[https://www.youtube.com/watch?v=vLMpVR88c0w&ab\\_channel=NadirNahdi](https://www.youtube.com/watch?v=vLMpVR88c0w&ab_channel=NadirNahdi)

وطالع تعريفاً بمؤسسة الطريق الوسطي الراديكالي:

<http://impacteurope.eu/partners/radical-middle-way/>



لا يكتمل الحديث عن تشكيل الإسلام والمجتمع المسلم في بريطانيا دون الحديث عن دور الشيخ الأزهرى الدكتور زكى بدوى، الذي وصفه الصحفي والناشط الراحل فؤاد النهدي في تأيينه له قائلًا: كان زكى بدوى باحثًا إسلامياً واسع المعرفة لم يسمح أبداً للظروف بأن تؤثر على أفعاله أو مراسيمه، وناشطاً عرف كيف يتابع القضايا داخل شبكة سياسية متطورة ومعقدة للغاية بالنسبة لمعظم إخوانه في الدين، ومؤمناً كان يؤمن بدينه. لم يتنازل أبداً عما يعتقد أنه صحيح.

ولد محمد أبو الخير زكى بدوى في محافظة الشرقية بمصر لأسرة دينية عام 1922، وحصل على درجة البكالوريوس من كلية الدراسات العربية والإسلامية بالأزهر وكان الأول على دفعته، وكرمه الملك الراحل فاروق، ثم أتم دراسة الماجستير في اللغة العربية وآدابها عام 1947، وكرمه الملك فاروق مرة أخرى كأفضل طالب دراسات عليا.

وفي عام 1951 انتقل إلى المملكة المتحدة حيث درس للحصول على درجة البكالوريوس في علم النفس من كلية لندن الجامعية، وأتمه عام 1954، ثم حصل على درجة الدكتوراه من جامعة لندن حول الفكر الإسلامى الحديث، بالتركيز على الفكر الإسلامى لجمال الدين الأفغانى، ومحمد عبده ورشيد رضا. وبعد تعليمه عاد بدوى إلى جامعة الأزهر لتدريس الفكر الإسلامى ومناهج البحث العلمى.

ثم سافر لتدريس اللغة العربية والدراسات الإسلامية في جامعة مالايا في سنغافورة، وفي كوالالمبور، كما أنشأ الكلية الإسلامية في ماليزيا، ومن جنوب شرق آسيا إلى غرب أفريقيا، حيث أصبح أستاذاً للتربية الإسلامية في جامعة أحمدو بيلو، شمال نيجيريا عام 1964، ثم أستاذاً للتربية الإسلامية وعميد الآداب في كلية بايرو، نيجيريا. حيث أكمل 12 عاماً في نيجيريا، وفي عام 1976، عاد بدوى إلى لندن للعمل كأستاذ باحث في مركز أبحاث الحج التابع لجامعة الملك عبد العزيز السعودية.

وفي عام 1978، تم تعيين بدوي مديراً للمركز الثقافي الإسلامي (ICC) والإمام الرئيسي لمسجد لندن المركزي في ريچنت بارك، واستمر في منصبه ذلك حتى عام 1981. وكان هذا بداية انطلاقه للانخراط في العديد من الأنشطة والفعاليات وإنشاء المؤسسات العديدة التي ساهمت في تشكيل الإسلام والمجتمع الإسلامي منذ ذلك التاريخ وحتى وفاته في 24 يناير من عام 2006.

يقول جاك سوليفان في تأبينه لزيكي بدوي على موقع صحيفة الجارديان إن تعيينه عام 1978 كأول إمام لمسجد ريچنت بارك في لندن هو الذي أقنع بدوي بأن مهمته كانت إنقاذ الإسلام البريطاني من العزلة الخطيرة، ناقلاً عن بدوي قوله "لقد شعرت بالرعب لأن أياً من الأئمة الآخرين لم يكن يستطيع التحدث باللغة الإنجليزية". "لقد اندهشت لأنهم لم يفهموا أي شيء عن الديانات الأخرى ولم يكونوا على دراية بالثقافة الغربية".

وسعيًا لإصلاح هذا الوضع أسس عام 1984 مجلس الأئمة والمساجد في محاولة لتحقيق الوحدة لقيادة الإسلام البريطاني، ثم أسس عام 1986 الكلية الإسلامية Muslim College في غرب لندن، كمعهد للدراسات العليا لتدريب الأئمة والزعماء الدينيين في الغرب، والتي يتضمن منهجها دراسة كل من الإسلام والمجتمع الغربي والحوار بين الأديان، وهو المشروع الذي وصفه فؤاد النهدي بأنه المشروع الأكثر طموحاً، والذي ظل بدوي مديراً له حتى وفاته. كما أنشأ وترأس مجلس الشريعة بحثاً عن مساحات الاختلاف والاتفاق بين الشريعة الإسلامية والقانون المدني.

ومن قضية إعداد الأئمة، إلى قضية الربا والأعمال المصرفية، انضم بدوي عام 1982 إلى مجلس إدارة النظام المصرفي الإسلامي في لوكسمبورغ. وشارك في المفاوضات مع بنك إنجلترا لتأسيس أول مؤسسة مالية إسلامية مرخصة في المملكة المتحدة، وهي دار التمويل الإسلامي (IFH). أدار بدوي الدار لمدة ثلاث سنوات، وقام بالنشر وإلقاء المحاضرات حول الشريعة الإسلامية فيما يتعلق بالأعمال المصرفية والمالية وأخلاقيات الأعمال، وكان

أيضاً أستاذاً ضيفاً في أخلاقيات الأعمال في كلية إدارة الأعمال بجامعة كرانفيلد، حيث ألقى محاضرات لطلاب ماجستير إدارة الأعمال.

فضلا عن ذلك، شارك بدوي في تحرير مجلة "إنكاونتر" Encounter التي تناول أخبار الاجتماعات بين الأديان، وقام بتحرير المجلة الإسلامية الفصلية Islamic Quarterly لمدة أربع سنوات، كما ساهم بالكتابة في الصحف اليومية، وقام بنشر وإلقاء محاضرات حول مجموعة واسعة من القضايا، بما في ذلك الصراعات المختلفة، والإسلام في بريطانيا، وختان الإناث، والديمقراطية، وحقوق الجنين، وحقوق الإنسان.

كما ترأس بدوي المنتدى العربي، والمجلس الديني الإسلامي، والمجلس الوطني لرعاية السجناء المسلمين، الذي تأسس عام 2001. وكان أحد مؤسسي منتدى الأديان الثلاثة، ونائب رئيس المؤتمر العالمي للأديان ومدير/أمين. منتدى مكافحة الإسلاموفوبيا والعنصرية (FAIR).

ومن أبرز الجبهات التي عمل عليها الدكتور زكي بدوي، عمله في بناء الجسور بين أهل الإسلام وأهل الأديان الأخرى، حيث يحكي فؤاد النهدي عن تنظيمه للقاء بين المسلمين والمسيحيين والبوذيين والهندوس في سنغافورة، بينما يحكي جاك سوليفان عن حمايته للإيو المسيحيين في نيجيريا في زمن الحرب الأهلية هناك.

أما في بريطانيا، فيقول فؤاد النهدي إن زكي بدوي كان أول إمام لمسجد بارز يدعو زعماء الطوائف الدينية الأخرى "لتناول الشاي وتناول الدين - أياً كان ما يفضلونه"، وأن هذه المبادرة الرائدة أدت لاحقاً إلى ظهور حركة للحوار بين الأديان التزم بدوي بها طوال حياته.

وفي عام 1997، أسس بدوي منتدى الأديان الثلاثة (والذي تغير اسمه عام 2018 إلى منتدى الإيمان والاعتقاد The Faith & Belief Forum) مع السير سيغموند ستيرنبرغ

والقس ماركوس برايبروك، وكانت تهدف إلى تشجيع الصداقة وحسن النية والتفاهم بين "أهل الكتاب" وصناعة جسور للسلام والتفاهم.

يقول نيك ماكدونالد في مقال له على موقع منتدى الإيمان والاعتقاد بمناسبة مرور 100 عام على مولده "لعل أهم إرث تركه زكي جاء من عمله في مجال العلاقات بين الأديان، حيث كان معروفاً بإقامة علاقات قوية مع قادة جميع الأديان والمعتقدات المختلفة، وعقد اجتماعات منتظمة في الكنائس والمعابد اليهودية، وأصبح نائب رئيس مؤتمر الأديان العالمي. وكان أيضاً المستشار الرئيسي لأمير ويلز (الملك تشارلز حالياً) في القضايا الإسلامية، مما ساعد على إقامة علاقة أفضل بين العائلة المالكة والشعب المسلم في بريطانيا، وقد أدى ذلك إلى حصوله على وسام الفروسية الفخرية في عام 2004، وهو واحد من المسلمين الوحيدين في ذلك الوقت الذين حصلوا على هذه الجائزة بسبب عملهم في العقيدة وقضايا المجتمع وليس في مجالات أخرى".

يقول فؤاد النهدي: على مدى ثلاثة عقود كرّس زكي بدوي نفسه لبناء المؤسسات التي من شأنها ليس فقط تعزيز واستقرار الإسلام في بريطانيا، بل وتنشيطه أيضاً. ومساهمته تجاه الإسلام في بريطانيا لا تقدر بثمن. ويمكن الادعاء بأنه اخترع مصطلحي "الإسلام البريطاني" و"الإسلاموفوبيا". لقد كان مهذباً وعاطفياً وحكيماً، وهو الأب الروحي للمشاركة الإسلامية في بريطانيا، حيث شق طريقاً في المجتمع السائد وصنع ما يسمى بـ "القضية الإسلامية" قبل وقت طويل من أن تصبح رائجاً.

لمصدر المعلومات والمزيد منها طالع مقال جاك سوليفان في صحيفة الجارديان:

<https://www.theguardian.com/news/2006/jan/25/guardianobituaries.religion>

ومقال فؤاد النهدي عنه على موقع صحيفة الإندبندانت والذي وصفه فيه بمفتي الإسلام في بريطانيا:

<https://web.archive.org/web/20100927124300/http://www.independent.co.uk/news/obituaries/zaki-badawi-524670.html>

وطالع الويكيبيديا:

[https://en.wikipedia.org/wiki/Zaki\\_Badawi](https://en.wikipedia.org/wiki/Zaki_Badawi)

وطالع مقال نيك ماكدونالدز عنه على موقع منتدى الإيمان والاعتقاد:

<https://faithbeliefforum.org/celebrating-dr-zaki-badawis-legacy/>

وطالع قائمة لكتبه وأوراقه ومشروعاته الإصلاحية للإسلام البريطاني والذي نشرته ابنته ليلي بدوي على موقع أكاديميا:

<https://independent.academia.edu/LeilaBadawi>

وشاهد الاحتفال بإهداء ابنه فارس بدوي لمكتبته العربية إلى جامعة يونيفرستي كوليدج كورك في أيرلندا:

[https://www.youtube.com/watch?v=bFZ8PnkC5\\_M&ab\\_channel=UCCIreland](https://www.youtube.com/watch?v=bFZ8PnkC5_M&ab_channel=UCCIreland)



# محمد باتيل

مؤسس وأمير جماعة التبليغ  
في المملكة المتحدة وأوروبا

بحكم الاحتلال البريطاني القديم لشبه القارة الهندية، كان ولازال المسلمون في بريطانيا يغلب عليهم القادمون من بلدان شبه القارة وأبنائهم من الجيل الثاني والثالث، وقد جاء هؤلاء إلى بريطانيا بنفس الخريطة الدينية الموجودة في بلادهم الأصلية من حيث مدارسها الفكرية والحركية والمذهبية، ولإن كان أول من أرسل بعثات إلى بريطانيا من هؤلاء هم أتباع الطائفة الأحمدية، وكان ذلك في بداية القرن العشرين، فقد كان لجماعة التبليغ النصيب الأكبر في النصف الثاني من القرن العشرين، وقد كان للشيخ الراحل الحافظ محمد باتيل Hafiz Mohammed Patel الفضل في تأسيس أكبر مركز لجماعة التبليغ وأحد أكبر المساجد والمدارس الدينية في المملكة المتحدة وأوروبا.

ولد محمد باتيل في قرية صغيرة من قرى ولاية جوجارات الهندية عام 1926، حيث حفظ القرآن الكريم صغيراً، وقضى 21 عاماً في الهند، إلى أن انتقل إلى كراتشي بعد انقسام الهند، وهناك التقى بالشيخ أمير الدين أحد رجال جماعة التبليغ، الذي أقنعه بقضاء عطلة نهاية الأسبوع "في سبيل الله"، ومنذ ذلك الحين تغيرت حياته، حيث تحول فهمه للإسلام وأصبح مشحوناً بإحساس مفعم بمهمة التبليغ.

وفي وقت لاحق وأثناء تأديته لفريضة الحج التقى الشاب باتيل بالشيخ محمد يوسف الكندهلوي الأمير العام الثاني لجماعة التبليغ، والذي كان "معجباً جداً بإخلاصه في قضية الإسلام لدرجة أنه أخذه أمام الكعبة وهناك". "توسل إلى الله أن يجعله أداة لكسب بريطانيا بأكملها إلى الإسلام".

وقبل استكمال سيرة الرجل، يحسن التوقف للتعرف على جماعة التبليغ. جماعة التبليغ هي جماعة تمارس الدعوة الدينية، ولها أساليبها التي تميزها في ذلك، أسسها الشيخ محمد إلياس الكندهلوي في الهند عام 1926، ويتركز عملها على دعوة المسلمين إلى العودة لممارسة تعاليم دينهم على منهاج النبوة، وتعمل في المقام الثاني على دعوة غير المسلمين للإسلام،

وتصنف على أنها أكبر جماعة دينية إسلامية غير سياسية في العالم، حيث تعمل في 150 دولة في العالم، ويختلف تقدير عدد أتباعها ما بين 12 و80 مليون إنسان.

والجماعة هي أحد تجليات المدرسة الفكرية الهندية المعروفة باسم الديوبندية، وهي حركة إحياء وإصلاح سنية تأسست أواخر القرن التاسع عشر في أعقاب الاحتلال البريطاني لشبه القارة الهندية، حول مدرسة دار العلوم في ديوبند بالهند، ومن هنا أتى اسمها. وهي تتبع المذهب الحنفي، وتسعى للحفاظ على جوهر الدين ومظاهره، عبر العودة إلى ما كان عليه النبي وأصحابه، وهي تتبع المذهب الحنفي، وتلتزم بالتقليد.

وعودة لاستكمال سيرة محمد باتيل، وكأنها استجابة لدعوة الشيخ محمد يوسف الكندهلوي، ففي عام 1962 هاجر باتيل إلى إنجلترا عام 1962 مثل غيره ممن هاجروا من شبه القارة الهندية بحثاً عن حياة أفضل. وفي تلك الأيام، كانت المساجد نادرة الوجود، وكان أصحاب العمل غير المسلمين غير ملين بالإسلام وتعاليمه، لذلك كان من الصعب الحصول على إجازة لأداء الواجبات الدينية، حتى لصلاة الجمعة. وهو ما كان يمثل تحدياً للحريصين على أداء واجباتهم الدينية. وبما أن فرض صلاة الجمعة هو عبادة في غاية الأهمية، فقد كان الحافظ محمد باتيل يتغيب لفترة قصيرة بعد ظهر يوم الجمعة مما يسبب مشاكل في العمل. وفي النهاية ترك وظيفته فقط لأنه لم يتمكن من أداء صلاة الجمعة.

ومن ثم سارع إلى الاستجابة التي جاءته بعد عامين من قدومه من الجالية المسلمة الجوجاراتية في مدينة ديوسبري بغرب مقاطعة يوركشاير ليكون إماماً لهم، وبالفعل انتقل باتيل إلى ديوسبري عام 1964 وبدأ التدريس في مدرسة كانت تدار في منزل أحد أفراد مجتمع جوجارات هناك. وبعد عامين تم شراء منزل آخر بهدف إنشاء مسجد ومدرسة، حيث تولى دور الإمام والمدرس هناك، وظل هذا المسجد مركزاً للجماعة التبليغ عدة سنوات، وفي عام 1978 شرع الحافظ محمد باتيل ومجتمع المسلمون هناك في تأسيس المسجد المركزي في ديوسبري، وهو الآن أحد أكبر المساجد في أوروبا والمقر الأوروبي

لجماعة التبليغ، بالإضافة إلى المدرسة المجاورة له، وهي إحدى المدرستين الإسلاميتين الرئيسيتين في بريطانيا.

وقد تم الانتهاء من بناء المدرسة عام 1980، والمسجد عام 1982، وتحول المكان إلى المركز الرئيسي لجماعة التبليغ في المملكة المتحدة أوروبا، حيث عمل منه الحافظ محمد باتيل على تأسيس جماعة التبليغ على المستوى الوطني والحفاظ على الروابط بين الجماعة في بريطانيا وأوروبا من جهة وبين الجماعة على المستوى الدولي من جهة ثانية، وهو ما اقتضى منه أن يسافر كثيراً تاركا وراءه إرثاً من "البنية التحتية المؤسسية الوطنية التي سمحت للدين بأن يتجذر بشكل حاسم في الأراضي البريطانية".

وكان الأثر الصافي لجهوده هو المساهمة في إضفاء الطابع المؤسسي المتزايد على الإسلام في بريطانيا. وازدياد عدد المساجد والمدارس الإسلامية والمدارس الدينية، وتأسيس 4 مقار إقليمية للدعوة والتبليغ في بريطانيا تتوزع على كل من جلاسجو، وبلاكبيرن، وليستر، ولندن، حيث يجتذب كل منها، عدة مئات من المسلمين في اجتماعاتهم الأسبوعية كل ليلة خميس.

فضلا عن ذلك فقد كان لجهوده فضل في تأسيس عدد كبير من المدارس والمكاتب يذكر منها شيخ الحديث مولانا محمد سليم دورات: دار العلوم دعوة الإيمان في برادفورد، بريطانيا، ودار العلوم دعوة الإيمان في مانيكبور، تاكولي بالهند، ودار العلوم في بنما، فضلا عن دار العلوم تعليم الإسلام في ديوسبري.

وقد شاء الله للحافظ محمد باتيل أن يسلم الروح يوم 18 فبراير من عام 2016، وقد شارك الآلاف في تشييع جثمانه. وكما يذكر مولانا دورات في تأبينه فقد تميزت شخصية الحافظ محمد باتيل بالعزيمة والهمة في القيام بمهام الدعوة حتى في أوقات مرضه وكبر سنه وفي فترة حزنه على فقد أحد أبنائه، كما كان يأخذ نفسه بالعزيمة في عبادته وذكره، وكان

حريصا على أن توافق أفعاله أقواله، وكان فضلا عن ذلك متواضعا كريما معطاء، يمد جسور المودة مع الجميع، موقرا للعلماء.

بينما تذكر صفحة "الشورى العالمية لجماعة التبليغ" أن الحافظ محمد باتيل سيتم تذكره كثيراً بسبب العديد من الصفات الأساسية حيث قدم مثالا للتفاني الصادق ونكران الذات في خدمة الآخرين، وكما يقول أحد معارفه فإن "كل ما فعله كان لصالح الأمة والإنسانية جمعاء"، كما أنه وضع دائماً احتياجاته الخاصة في آخر المراتب، وأخيراً فإنه كان رجلاً ذا إنجاز روحي كبير.

ونتيجة لذلك، يمكن التأكيد على أنه في حين أن المسلمين البريطانيين الأوائل المشهورين، مثل الشيخ عبد الله كويليام، يُنسب إليهم الفضل في إدخال الإسلام إلى الجزر البريطانية، فإن شخصيات مثل الحافظ باتيل سوف يُذكرون لجهودهم الدؤوبة لإنشاء بنية تحتية مؤسسية على مستوى البلاد، سمحت للدين بأن يتجذر بشكل حاسم في الأراضي البريطانية.

لمصدر المعلومات والمزيد منها طالع، نعي مجلس شورى الجماعة له على الفيسبوك:

[https://www.facebook.com/1870389419949489/photos/biography-history-karguzari-the-life-and-legacy-of-sheikh-hafiz\\_patel-rh-uk-1926/2146709602317468/?locale=ar\\_AR&paipv=0&eav=Afa5xk3qepHG-S2h8qznmkwA3dmwpniujXNMZ8hn2XyHrL7NJI-du8wRLChg-kTV10&\\_rdr](https://www.facebook.com/1870389419949489/photos/biography-history-karguzari-the-life-and-legacy-of-sheikh-hafiz_patel-rh-uk-1926/2146709602317468/?locale=ar_AR&paipv=0&eav=Afa5xk3qepHG-S2h8qznmkwA3dmwpniujXNMZ8hn2XyHrL7NJI-du8wRLChg-kTV10&_rdr)

وطالع الويكيبيديا:

[https://en.wikipedia.org/wiki/Hafiz\\_Patel](https://en.wikipedia.org/wiki/Hafiz_Patel)

وطالع ما كتبه مولانا محمد سليم دورات على موقع التزكية:

<https://at-tazkiyah.com/index.php/selected-articles/2116-hafiz-muhammad-patel-sahib-rahimahullah-his-life-work-and-efforts-for-din>

ملاحظة: قامت جمعية الرحمة البريطانية، وهي جمعية فيما يبدو تابعة لجماعة التبليغ بتنظيم حملة لإقامة مسجد ومدرسة في مدينة الباسان الألبانية، وقد نجحت الجمعية بالفعل في تنفيذ ذلك، وقد زرت هذه المدرسة خلال شهر سبتمبر 2023، خلال زيارتي لألبانيا، والتقيت مسئول هذه الجمعية الذي كان موجودا هناك. من بين الصور المرفقة صورة للوحة تأسيس مسجد محمد باتيل (بتيل) هناك.

# يوسف متالا

مؤسس أول مدرسة إسلامية  
في المملكة المتحدة

میں میں نے اس وقت سے کہیں سے  
نہیں کہہ سکتا تھا کہ یہاں تک کہ

من أعماق شبه القارة الهندية جاء كما جاء الملايين غيره إلى بريطانيا وهو ابن 22 عاماً، لترك فيها أثراً لا يمحي خلال حياته فيها على مدى أكثر من خمسين عاماً، وهو ما جعل الدكتور يحيى بيرت أحد أعلام المسلمين البريطانيين الحاليين يصفه بقوله: كان أحد عمالقة الإسلام في بريطانيا، ومثل زعيم جماعة التبليغ الحافظ محمد باتيل (1926-2016)، كان له تأثير كبير على تطور المجتمعات الإسلامية في بريطانيا في النصف الأخير من القرن العشرين وما بعده. لم تكن مساهمته دائماً مفهومة من قبل المسلمين البريطانيين الآخرين الذين لم يتحركوا داخل هذه الدوائر، وبالتأكيد ليس من قبل المجتمع الأوسع، باستثناء التسلسل الهرمي لكنيسة إنجلترا (في ظهور علي نادر، حضر الشيخ يوسف تأسيس المنتدى الإسلامي المسيحي عام 2006). ولم يتم الاعتراف بأهميته إلا في عام 2011 في قائمة ذلك العام لأكثر المسلمين تأثيراً في العالم "The Muslim 500".

إنه العالم الشيخ يوسف مَتالا Yusuf Motala الذي ولد في نوفمبر من عام 1946 في منطقة سورات بولاية جوجارات الهندية، لأسرة تنحدر من خلفية زراعية وكانت ملتزمة جداً بالتعليم الديني. أكمل يوسف حفظ القرآن الكريم كاملاً في سن مبكرة، والتحق أولاً بالجامعة الحسينية، إحدى المدارس المبكرة في ولاية جوجارات عام 1961، ثم اعتباراً من عام 1966 قضى عامين من التعلم في "مظاهر العلوم سهارانبور" الشهيرة في ولاية أوتار براديش في الشمال الهندي، وهي ثاني أكبر المدارس الدينية في الهند لإكمال عالميته، حيث درس على يد الشخصية الرائدة فيها، عالم الحديث الشهير والمرشد الروحي ومؤلف منهج جماعة التبليغ الضخم المؤثر، الشيخ المحدث مولانا محمد زكريا الكندهلوي (1898-1982)، والذي كان الشيخ يوسف مقرباً بشكل خاص منه، فضلاً عن العديد من علماء المدرسة.

عند الانتهاء من دراسته، تم ترتيب زواج مولانا يوسف من فتاة من عائلة ليمبادا التي هاجرت إلى المملكة المتحدة من ولاية جوجارات. وفي عام 1968، انتقل يوسف إلى المملكة المتحدة وقبل منصب إمام مسجد زكريا في بولتون. وعلى الرغم من أنه كان يشاق إلى أن يكون بصحبة شيخه، إلا أنه تلقى تعليمات صريحة بالبقاء في المملكة المتحدة وتركيز جهوده على إنشاء مدرسة لتحفيظ القرآن وتعليم برنامج العالمية هناك، من أجل تدريب جيل من العلماء المسلمين من شأنه تثقيف وتوجيه المجتمع الإسلامي المتنامي.

كان إنشاء أول مدرسة دينية إسلامية، في هذا الوقت المبكر، مع غياب أي سابقة، مهمة شاقة، ومع ذلك، لم يتزعزع مولانا يوسف أبداً في التزامه وعمل بجد لجعل حلم معلمه حقيقة. وفي عام 1973 قام بشراء مصحة أيتكين المهجورة في قرية هولكومب، بالقرب من بيرى، بمقاطعة لانكشاير، لتصبح أول معاهد التعليم العالي الإسلامية المتكاملة خارج شبه القارة الهندية، حيث يقوم بتدريس المنهج النظامي المعدل.

تُعرف هذه المؤسسة شعبياً باسم "دار العلوم بيرى Dar al-Ulum Burry" أو "بيرى" باختصار، وقد تخرج منها مئات من الخريجين الذين استمروا في خدمة المجتمعات المحلية في المملكة المتحدة وأوروبا، وأمريكا الشمالية، وأفريقيا وفي أماكن أخرى. لقد كانت "بيرى" المدرسة الأم للعديد من المعاهد الدينية الديوبندية في الغرب.

وكما يقول المفتي عبد الرحمن منجيرا - أحد تلامذة مولانا يوسف متالا - فإنه، وبعد أربعة عقود، أنتجت دار العلوم العربية الإسلامية، إلى جانب العديد من المعاهد الشقيقة، التي أسسها مولانا يوسف أيضاً، مثل مدرسة جامعة الإمام محمد زكريا للبنات في برادفورد، ما يزيد عن 2000 من الذكور والإناث المولودين في بريطانيا. يعمل الكثير منهم كعلماء ويخدمون المجتمعات في جميع أنحاء المملكة المتحدة وفرنسا وبلجيكا وهولندا والبرتغال والولايات المتحدة وكندا وبربادوس وترينيداد وبنا والمملكة العربية السعودية والهند ونيوزيلندا.

وإلى جانب هؤلاء الخريجين، قام عدد لا يحصى من الأفراد بحفظ القرآن الكريم في هذه المعاهد. علاوة على ذلك، فقد أنشأ العديد من خريجي دار العلوم والمعاهد الشقيقة معاهدهم الخاصة، مثل جمعية العلم والهدى في بلاكيرن، وأكاديمية الدعوة الإسلامية في ليستر، وجامعة الكوثر في لانكستر بالمملكة المتحدة، ودار العلوم بالميلان في البرتغال، على سبيل المثال لا الحصر.

ومن المعاني التي تدل على درجة فهم ووعي الرجل ما قاله منجيرا أيضا: كان مولانا يوسف رجلاً يتمتع برؤية عميقة لاحتياجات المجتمع الغربي المعاصر، وهو مجتمع كان مختلفاً تماماً عن ذلك الذي نشأ وتدرّب فيه. وبهدف المساهمة في المجتمع السائد، شجع مولانا يوسف خريجه على التزود بالمزيد من المعرفة من خلال التعلم من الدورات الإسلامية للدراسات العليا والأوساط الأكاديمية الغربية، وتنويع مجالات تعلمهم في جامعات المملكة المتحدة الرئيسية.

ونتيجة لذلك، تدرّب العديد من خريجي معاهده العالمية في جميع التخصصات العلمية السائدة، وحصل العديد منهم على درجة الدكتوراه وصاروا يلقون المحاضرات في الجامعات. وكانت رؤيته تتمثل في تدريب العلماء المسلمين المولودين في بريطانيا (أو غيرها) والذين سيكونون على دراية جيدة بالفكر المعاصر والانضباط إلى جانب تعليمهم الإسلامي المتقدم، وتجهيزهم للمساهمة بشكل أفضل في المجتمع. وخلال حياته، رأى مولانا يوسف مباشرة ثمرة جهوده، حيث شهد كبار طلابه (خريجي معاهد طلابه) يقدمون التعليم والخدمات الدينية للمجتمعات في جميع أنحاء العالم بلغاتهم المحلية.

وعلى الرغم من التزامه بتحقيق المصلحة والمنفعة العامة، فقد كان الشيخ شخصاً شديد الخصوصية يتجنب السعي للحصول على الأوسمة أو الاهتمام، وقد رفض لعقود عديدة الدعوات لحضور المؤتمرات أو المحاضرات في جميع أنحاء البلاد، واختار التركيز على طلابه

وعائلته، وقام بتدريس المنهج الأكاديمي وغرس في قلوب العديد من الطامحين حب الله من خلال تجمعات الذكر المنتظمة، والاعتكاف على طريقة شيخه الصوفية الجشئية.

يقول يحيى بيرت معلقاً على حياة مولانا يوسف متلاً قائلاً: لقد كان من حسن حظي أن التقيت بالشيخ يوسف مرة واحدة فقط في تجمع في كيدر مينستر قبل عقدين من الزمن، وبالتالي لا أستطيع أن أدعي أي معرفة شخصية به، لكنني شعرت بالارتباط به بسبب الإلهام الذي وجدته في كتب المنهج التي كتبها معلمه والتي حفزني كثيراً خلال السنوات الثلاث الأولى من عمري كمسلم، لقد كان من حسن حظي أيضاً أن أعرف وأعمل مع عدد من خريجي "بيري" على مر السنين، وإذا كان من الممكن الحكم على الشجرة من ثمارها، فيمكنني القول إن هذه "الثمار" أظهرت التواضع، والمعرفة الإسلامية السليمة، والأخلاق الطيبة الراقية، والشعور بالتضحية والالتزام بالدين وخدمة المجتمع المسلم. إنهم إرثه وقد شكلوا الحياة اليومية للمجتمعات الإسلامية في جميع أنحاء هذا البلد.

ويقول المفتي عبد الرحمن منجيرا: خلال العقد الماضي، كان (مولانا يوسف) قد تقاعد من معظم التزاماته التعليمية (باستثناء صحيح البخاري) وقلل من لقاءاته مع أشخاص آخرين باستثناء تجمعات الذكر الأسبوعية، كان يقضي وقته مع عائلته وأطفاله الصغار ويكتب الكتب. ويشتمل تراثه المكتوب على أكثر من 20 عنواناً، معظمها باللغة الأردنية، ولكن أيضاً تفسير جزئي للقرآن باللغة العربية الفصحى.

وفي يوم 25 أغسطس من عام 2019 أصيب بأزمة قلبية، ما لبث أن فارق الحياة بعدها بأسبوعين وتحديداً يوم 9 سبتمبر وهو في تورونتو بكندا، وحضر جنازته 4 آلاف من المشيعين، حيث ووري الثرى هناك.

لمصدر المعلومات والمزيد منها طالع نعي يحيى بيرت له:

<https://yahyabirt.medium.com/maulana-yusuf-motala-1946-2019-founder-of-the-uks-first-islamic-seminary-368cf2752a27>

وطالع تعريف المفتي عبد الرحمن منجيرا به:

<https://themuslim500.com/profiles/yusuf-motala/>



# جون براون

الثائر في وجه العبودية والعنصرية  
ومن أجل الحرية وحقوق الإنسان

"أنا، جون براون، أصبحت الآن على يقين تام من أن جرائم هذه الأرض المذنبة لن يتم تطهيرها أبداً إلا بالدم. لقد حاولت، كما أفعل الآن، أن أوهم نفسي عبثاً بأنه يمكن تحقيق ذلك دون إراقة الكثير من الدماء.."

كانت هذه هي آخر كلمات "جون براون John Brown" (1800 - 1859) الثائر الأمريكي الأبيض، في وجه العبودية والعنصرية، في اليوم الذي تم فيه إعدامه، يوم 2 ديسمبر من عام 1859 بعد القبض عليه ومحاكمته في أعقاب هجومه على أحد مخازن السلاح الفيدرالية في "هاربرز فيري Harpers Ferry" بغرب ولاية فيرجينيا من أجل أن يقوم بتسليح العبيد ليقوموا بتحرير أنفسهم.

كانت كلمات جون براون الأخيرة صادقة، من حيث إنه ظل حتى بلغ السادسة والخمسين لم يحمل سلاحاً لإنهاء العبودية، بالرغم من أنها القضية الرئيسية التي عاش بها ومعها منذ صغره.

ففي قصة رواها لعائلته، عندما كان عمره 12 عاماً وكان بعيداً عن المنزل يرعى الماشية، كان يعمل لدى رجل مع صبي ملون، وحدث أن تعرض ذلك الصبي للضرب أمامه بحرفة حديدية، وعندما سأله براون عن سبب معاملته بهذه الطريقة، فكان الجواب أنه عبد. ووفقاً لأحد أفراد العائلة، كانت تلك هي اللحظة التي قرر فيها جون براون تكريس حياته لتحسين حالة الأمريكيين من أصل أفريقي.

كان يمكن لحادث مثل هذا أن يمر على صبي غيره دون أن يتوقف عنده، لكن جون براون كان ينتمي لأسرة بيضاء ضد العبودية وضد العنصرية وتؤمن بالمساواة لجميع البشر، بالرغم من أنها كانت أسرة فقيرة، انتمى والده أوين براون إلى الطائفة التطهيرية (البيوريتانية) المسيحية، وكان والده مؤمناً بشدة بإلغاء العبودية abolitionist، وممارس

دورا قياديا في مدينة هرسون بولاية أوهايو في هذه الحركة، بل إنه وفر مأوى آمن للعبيد الهاربين من العبودية، فضلا عن ذلك فقد عاش الأمريكيين الأصليين، وكان يودهم ويودونه، وقد وفر كل ذلك لجون تربية قوية على المبادئ التي عاش من أجلها.

عاش براون حياة بسيطة قريبة من الفقر، حيث تلقى قدرا من التعليم غير النظامي، وكان يستعد لدخول إحدى الكليات (قبل الجامعة)، لكنه مرض، وانصرف عن استكمال تعليمه إلى الحياة العملية. لكن تعليمه وتربيته الدينية جعلته لا يشرب الكحوليات، ولا يدخن، ولا يشرب حتى الشاي أو القهوة. كما أنه أحب القراءة كثيرا خاصة في مجال التاريخ.

مارس جون براون العمل مع والده في دباغة الجلود، ثم ما لبث أن استقل بعمله، وتزوج بزوجته الأولى عام 1820، والتي توفيت بعد 12 عاما من الزواج. وخلال 10 سنوات من إقامته في ولاية بنسلفانيا (1825 - 1835) جعل من مدينته ومنزله محطة في رحلة هروب حوالي 2500 من العبيد الفارين إلى الحرية.

مارس براون عدة أعمال غير الدباغة، حيث مارس العمل بالمساحة، والبريد، كما مارس الزراعة، وتربية الأغنام والخيول، وتاجر في الصوف وكان خبيرا بأنواعه، لكن نجاحه في الأعمال الخاصة به كان محدودا، لذلك استدان وأعلن إفلاسه.

وفي عام 1837 مرت على جون براون الحادثة الثانية التي جعلت من مناهضة العبودية قضيته، ففي هذا العام قتل القس والصحفي المطالب بإبطال العبودية إيليا باريش لافجوي Elijah P. Lovejoy بعد إطلاق النار عليه من قبل حشد من مؤيدي العبودية، وبسبب هذا الحادث تعهد جون براون علنا بحاربة العبودية "هنا، أمام الله، وفي حضور هؤلاء الشهود، منذ ذلك الوقت، سأكرس حياتي لتدمير العبودية".

كانت إقامة جون براون في سبرينجفيلد بولاية ماساشوستس منذ عام 1846 مهمة في مسيرة حياته، حيث كانت المدينة مقرا لنشاط وافر مناهض للعبودية، بما في ذلك نشر صحيفة "ذا ريبابليكان"، إحدى أكثر الصحف تأثيرا في البلاد، والتي كانت منخرطة بعمق في الحركة المناهضة للعبودية.

ومنذ عام 1846 وحتى مغادرته سبرينجفيلد في عام 1850، كان براون عضواً في الكنيسة الحرة، التي أسسها الأمريكيون من أصول أفريقية، والتي كانت من أبرز منصات إلغاء العبودية في الولايات المتحدة، حيث حضر فيها محاضرات حول إلغاء العبودية من القادة السود للحركة من أمثال فريدريك دوجلاس وسوجورنر تروث. وفي عام 1847، وبعد أن تحدث بنفسه في الكنيسة حول إلغاء العبودية، أمضى دوجلاس ليلة يتحدث مع براون، وبعد ذلك كتب دوجلاس "منذ تلك الليلة التي أمضيتها مع جون براون في سبرينجفيلد، ماساتشوستس [في] عام 1847، بينما واصلت الكتابة والتحدث ضد العبودية، أصبحت على الرغم من ذلك أقل أملا في إلغائها سلميا. وأصبح كلامي مشوبا أكثر فأكثر بلون الانطباعات القوية لهذا الرجل".

كانت سبرينجفيلد أيضا واحدة من أكثر المحطات أماناً والأكثر أهمية على خط الحركة التي كانت تعرف باسم "السكة الحديد تحت الأرض Underground Railroad". والاسم مجازي بالطبع، ويعبر عن شبكة من الطرق السرية والملاذات الآمنة التي كان يستخدمها الأمريكيون الأفارقة المستعبدون خلال القرن التاسع عشر للهروب من الولايات الأمريكية في الجنوب (حيث العبودية) إلى الولايات الشمالية وكندا حيث الحرية، وهي الحركة التي ساهم فيها جون براون في جميع مراحل حياته.

وخلال تلك الفترة أيضا ساهم براون في إعادة نشر صديقه هنري هايلاند جارنت عام 1848، لكتاب ديفيد ووكر "نداء إلى المواطنين الملونين في العالم" (1829).

وقبل أن يغادر براون سبرينجفيلد في عام 1850، أصدرت الولايات المتحدة قانون العبيد الهاربين، وهو قانون يلزم السلطات في الولايات الحرة بالمساعدة في عودة العبيد الهاربين ويفرض عقوبات على أولئك الذين يساعدون في هروبهم، وردا على ذلك، أسس براون مجموعة مسلحة لمنع إعادة القبض على الهاربين، وهي "رابطة الجلعايين The League of the Gileadites" وهو اسم مستلهم من القصة الواردة في العهد القديم، والتي تعرف في القرآن باسم قصة طالوت وجالوت.

منذ حادثة قتل الصحفي إيليا لاجفوي تحديدا، ومن خلال متابعة براون لحوادث محاولات هروب العبيد أو تمردهم، وما أعقبها من ردود أفعال عنيفة متجاوزة الحد من تجار وملاك العبيد، شملت العقاب الجماعي، والتعذيب، بل وصلت في وحشيتها إلى حد حرق العبيد أحياء. ومن خلال قراءات براون حول تاريخ المارون maroons وهم أحفاد الأفارقة في الأمريكتين وجزر الكاريبي الذين هربوا من العبودية وشكلوا مستوطناتهم الخاصة. واختلطوا مع الشعوب الأصلية، وتطوروا في النهاية إلى ثقافات مختلطة ومختلفة، ومنذ القرن السادس عشر خاضوا حروبا وثورات مختلفة ضد المستعبدين والمحتلين الإسبان، والإنجليز والفرنسيين من أجل التحرر، وهي النضالات التي ألهمت جون براون كثيرا. ومن مجموع الأحداث التي عايشها جون براون في الولايات المتحدة، والتي قرأ عنها في تلك التواريخ أن ترسخت لديه القناعة بأنه لا سبيل إلى التخلص من العبودية إلا بالنضال المسلح، وأن تجار وملاك العبيد لن يتخلوا عن مصالحهم في العبودية بالإقناع أو الخطاب السلمي وحده.

وبداية من عام 1854، وحتى عام 1860، كان إقليم كانساس في خضم حرب أهلية، وهي الفترة التي يشار إليها في التاريخ باسم "كانساس النازفة"، حيث كان من المقرر أن يحدد الناخبون في الإقليم موقفهم، هل يتحول الإقليم إلى ولاية حرة (أي لا عبيد فيها كولايات الشمال)، أم إلى ولاية تمارس العبودية، وهنا تدفق إلى الولاية مؤيدون لكل

جانب، خاصة أولئك المؤيدون للعبودية، والذين جاءوا بشكل خاص من ولاية ميزوري المجاورة، في شكل عصابات مسلحة، مارست العنف والتهجير القسري، وإخلاء القرى والأراضي ضد كل من كان يطالب أو يؤيد أن تكون كانساس ولاية حرة، وهو العنف الذي وصل إلى القتل في حالات كثيرة، كما مارست تلك القوى التزوير القسري للتصويت في الولاية، لانتخاب مناصري العبودية.

وفي ظل هذه الظروف، وتحديدًا في ربيع عام 1855 انتقل إلى الولاية أربعة من أبناء جون براون لدعم كانساس كولاية حرة، ثم لحق بهم براون وابن خامس له. وظل براون يراقب الموقف عن كثب، ويشاهد عدوان المناصرين للعبودية، ويثير غضبه حين المؤيدين للحرية، وعدم دفاعهم حتى عن أنفسهم، ومن ثم طاف بعدة ولايات شمالية باحثًا عن الدعم لمحاربة القوات المؤيدة للعبودية، وأصبح قائدًا للقوات المناهضة للعبودية.

كان براون ومستوطنو الولاية المؤيدين للحرية متفائلين بإمكانية ضم كانساس إلى الاتحاد كولاية خالية من العبودية، لكن المؤيدين للعبودية زادوا من حملتهم العنيفة ودمروا صحيفتين مؤيدتين لخلو الولاية من العبودية، وتعرض سيناتور مناهض للعبودية للضرب.

ومع تصاعد العنف من هذا الطرف، زاد غضب براون، وهنا جاءت أكثر الحوادث إثارة للجدل في حياة جون براون كمناهض للعبودية، وهي الحادثة المعروفة باسم "بوتاتواتومي Pottawatomie" والتي وقعت في أواخر شهر مايو من عام 1856 تحت إشراف براون، قامت مجموعة مسلحة تضم أبناءه وآخرين باقتياد 5 من المستوطنين المتشددون في مناصرتهم للعبودية من بيوتهم ليلاً وقتلهم.

ظلت تلك الحادثة طوال حياة براون وحتى بعد مماته مدعاة لاتهامه بـ"الإرهاب"، ومما لا شك فيه، أنه وإن كان سياق الحرب الأهلية وعنف الطرف الآخر وحوادث القتل التي ارتكبوها تبرر استخدام عنف مقابل لرد العدوان، إلا أن الأسلوب والطريقة التي تمت بها العملية والتي تنطوي على قدر من "الغدر"، ما كان ينبغي أن يرتكبها جون براون كرجل

آمن بتحقيق العدل والمساواة ليس فقط للأمريكيين من أصول افريقية، ولكن للسكان الأصليين وغيرهم من الملونين والمضطهدين.

لكن، لم تكن كل العمليات التي قام بها براون ومجموعة الرجال الذين معه من هذا النوع الخاطئ والمتجاوز، ففي 2 يونيو استطاع ومعه 22 رجلاً أن يصدوا هجوما لقوات مناصرة للعبودية كان يستهدف طرد أهل قرية من مناصري أن تكون كانساس حرة، واستطاع أسر قائد القوات المهاجمة ومن معه.

وفي أغسطس، عبرت مجموعة مكونة من أكثر من 300 من سكان ميزوري تحت قيادة الجنرال جون دبليو ريد الحدود إلى كانساس واتجهت نحو أوساواتومي Osawatomie، عازمة على تدمير مستوطنات للمطالبين بولاية حرة هناك، وفي صباح يوم 30 أغسطس 1856، أطلقوا النار وقتلوا فريدريك نجل براون وجاره ديفيد جاريسون على مشارف أوساواتومي. فقام براون، الذي كان عدد أعدائه 7 أضعاف من معه، بترتيب رجاله الثمانية والثلاثين خلف الدفاعات الطبيعية على طول الطريق. وأطلقوا النار من مكائهم، وتمكنوا من قتل ما لا يقل عن 20 من رجال ريد وجرح 40 آخرين. ولكن عندما أعاد ريد تجميع صفوفه، وأمر رجاله بالنزول والتوجه إلى الغابة. تفرقت مجموعة براون الصغيرة وهربت وقتل أحد رجال براون أثناء الانسحاب وتم القبض على أربعة، بينما اختبأ براون ورجاله الناجين في الغابة القريبة، ومن ثم نهب سكان ميزوري أوساواتومي وأحرقوها. وعلى الرغم من هزيمته، فإن شجاعة براون وحنكته العسكرية في مواجهة الصعاب جلبت له الاهتمام الوطني وجعلته بطلاً للعديد من دعاة إلغاء العبودية في الشمال.

وفي 7 سبتمبر، دخل براون إلى لورانس بولاية كانساس للقاء قادة الداعمين للولاية الحرة لمساعدتهم في التحصين ضد هجوم متوقع، حيث قام ما لا يقل عن 2700 من سكان ميزوري المؤيدين للعبودية بغزو كانساس مرة أخرى. وفي 14 سبتمبر، اشتبكوا بالقرب من لورانس. استعد براون للمعركة، ولكن تم تجنب العنف عندما أمر حاكم كانساس

الجديد، جون دبليو جيرى، الأطراف المتحاربة بنزع سلاحها وحلها، وعرض الرأفة على المقاتلين السابقين من كلا الجانبين.

لكن خطوة جون براون الكبرى، والتي تسببت في القبض عليه ومحاكمته وإعدامه، وكانت سببا في شهرته التي طابقت الآفاق، والتي كانت سببا في اشتعال الحرب الأهلية الأمريكية بعدها وهي هجومه على "هاربرز فيري" عام 1859 سبقها تفكير طويل ومشاورات وطواف بولايات الشمال، وزيارة لمقر تجمع العبيد الفارين إلى الحرية في كندا، وإعداده لدستور اقتراضي بديل لدستور الولايات المتحدة، وتطور لمجتمع الحقوق والحريات والمساواة الذي يتناه.

بدأت خطط براون لشن هجوم كبير على العبودية الأمريكية قبل وقت طويل من الغارة. وفقاً لزوجته ماري، التي تمت مقابلتها بينما كان زوجها ينتظر إعدامه في تشارلز تاون، "لقد كان ينتظر عشرين عاماً للحصول على بعض الفرص لتحرير العبيد؛ وكنا جميعاً ننتظر معه الوقت المناسب الذي يجب أن يضع فيه عزمه على ذلك".

كانت يستهدف القيام بغارة في ذهنه لمكافحة العبودية من شأنها أن توجه ضربة كبيرة ضد نظام العبودية بأكمله، وتؤدي إلى هروب العبيد من المزارع الجنوبية. لكن براون كان حذرا بشأن من يتحدث إليه، وكان من هؤلاء القلة الذين تحدث معهم حول خطته فريدريك دوجلاس، والذي كان هو نفسه هاربا من العبودية في ميريلاند، واستقر به المقام في ماساتشوستس وعرف بأنه كان مصلحا اجتماعيا، وداعيا لإلغاء العبودية، وخطيبا، وكاتبا، ورجل دولة. ناقش جون براون خطته مطولا، لأكثر من يوم، مع دوجلاس، محاولا دون جدوى إقناعه بالالتحاق به، لكن دوجلاس اعتقد أنها مهمة انتحارية لن تنجح.

كان براون قد عاد من كانساس في خريف عام 1856 عازما فيما يبدو على القيام بهذه الغزوة، ومن ثم أمضى 3 أعوام يطوف بالولايات يلتقي بالداعمين ماديا (من مال

(وسلاح) ومعنويا، والمشاركين المحتملين في خطته. وقد حقق بعض النجاح في حملته لجمع المال والسلاح، والقليل من النجاح في جمع المشاركين.

وفي أوائل عام 1858، حرص جون براون على أن يضع أفكاره كلها في شكل دستور مؤقت، ليكون بديلا للدستور الأمريكي، بحيث يكون واضحا في نصه على إلغاء العبودية، وفي الحقوق المتساوية لجميع ساكني الولايات المتحدة بكافة ألوانهم وأعراقهم ودياناتهم وجنسهم، وهو ما اعتبره الكثيرون ضربا من الجنون، فعلى الرغم من أن الشمال كان ضد العبودية، إلا أنه كان لا يختلف في عنصريته عن الجنوب، على اعتبار أن الأعراق الأخرى هي أدنى في المرتبة من العرق الأبيض، ومن ثم فإنهم يستحقون المكانة الأدنى، ولا يمكن مساواتهم بالبيض في الحقوق.

وفي مايو من نفس العام سافر براون إلى مجتمع السود الهاربين في تشاتام، في أونتاريو بكندا وعقد هناك مؤتمرا دستوريا، ناقش فيه الدستور المؤقت الذي وضعه، وبعد مناقشات، اعتمد المجتمعون وهم 34 من السود، و12 من البيض، وشكل المجتمعون ما يشبه حكومة مؤقتة لإدارة ذلك المجتمع المتعدد المتساوي الذي كان يطمح براون في إقامته بعد نجاح عملياته. ومن ثم تم نشر وثيقة "إعلان الحرية من قبل ممثلي السكان العبيد في الولايات المتحدة الأمريكية".

وعلى الرغم من أن جميع المندوبين تقريبا وقعوا على الدستور، إلا أن القليل منهم تطوعوا للانضمام إلى قوات براون، على الرغم من أنه لم يكون من الواضح عدد المغتربين الكنديين الذين كانوا يعتزمون بالفعل الانضمام إلى براون بسبب ما حدث من "تسرب أمني" لاحق ما أدى لتأجيل خطة الغارة، وخلق حالة من الفوضى.

وبسبب تأجيل غزوه لهايرز فيري، قام براون ومعه حفنة قليلة من الرجال في ديسمبر من نفس العام بإغارة حرر فيها 11 من العبيد وأسر رجلين أبيضين من بعض مناطق ولاية ميزوري، وفي يناير من عام 1869 انطلق في رحلة الطويلة لاصطحاب العبيد المحررين إلى

مأمّنهم في كندا. ثم طاف بعدة ولايات للحصول على المزيد من الدعم بالمال والسلاح وجمع ما يستطيع من رجال للمشاركة في غارته، وكان يحلم بالقتال لإنشاء ولاية جديدة للعبيد المحررين وقام بالاستعداد للعمل العسكري، وكان يعتقد أن العبید سوف ينهضون وينفذون تمردا عبر ولايات الجنوب بعد أن ينفذ هجومه.

وفي أواخر سبتمبر من عام 1859، وعندما وصل إلى هاربرز فيري لم يكن مع براون فعليا سوى 21 رجل، 16 منهم من البيض والباقي من السود، تراوحت أعمارهم بين 21 و49 عامًا. وفي 16 أكتوبر 1859، قاد براون (تاركًا ثلاثة رجال خلفه كحارس خلفي) 18 رجلاً في هجوم على مخزن أسلحة هاربرز فيري. كان مستودع الأسلحة عبارة عن مجمع كبير من المباني التي تحتوي على 100 ألف بندقية، خطط براون للاستيلاء عليها واستخدامها لتسليح العبید المحليين، والذين كان يتوقع منهم أن يتجهوا جنوباً، ويسحبون المزيد والمزيد من العبید من المزارع، ويقاتلون فقط دفاعاً عن النفس. كانت استراتيجيته تتمثل في الأساس في استنزاف ولاية فرجينيا من العبید، مما يؤدي إلى انهيار المؤسسة في مقاطعة تلو الأخرى، حتى تنتشر الحركة إلى الجنوب، مما يؤدي إلى تدمير القدرة الاقتصادية للولايات المؤيدة للعبودية.

في البداية سارت الأمور بشكل جيد ولم يواجه براون ورجاله أي مقاومة عند دخول المدينة، حيث قطعوا أسلاك التلغراف واستولوا بسهولة على مستودع الأسلحة الذي كان يدافع عنه حارس واحد، وقاموا بعد ذلك بجمع الرهائن من المزارع المجاورة، بما في ذلك العقيد لويس واشنطن، ابن شقيق جورج واشنطن، كما قاموا بنشر الأخبار للعبید المحليين بأن تحريرهم أصبح في متناول اليد. لكن الأمور بدأت تسوء عندما اقترب قطار بالتي مور وأوهايو المتجه شرقاً من المدينة، وبعد أن أوقف القطار، سمح له براون، لسبب غير مفهوم، بمواصلة طريقه. ومن ثم انتشر خبر الهجوم بعد وصول القطار للمحطة التالية، وأخذ الأهالي وحكومة الولاية والحكومة الفيدرالية، وعصابات المؤيدين للعبودية في

التجمع ومحاصرة مستودع السلاح، وحصلت مناوشات قتل فيها اثنين من أبناء جون براون، وآخرين من الطرفين، وانتهى الأمر بإلقاء القبض على براون ومحاكمته ونفر ممن كانوا معه.

وخلال محاكمته التي استمرت أسبوعاً ونيف، وحبسه لمدة شهر بعد الحكم عليه وفقاً لقانون ولاية فيرجينيا قبل تنفيذ حكم الإعدام فيه. أوضح براون مراراً وتكراراً في رسائله ومحادثاته التي سمح له بها بعد الحكم عليه أن هذه كانت أسعد أيام حياته، نعم سيتم قتله علناً، على حد تعبيره، لكنه كان رجلاً عجوزاً، على حد قوله، على وشك الموت على أي حال. كان براون ذكياً سياسياً وأدرك أن إعدامه سيوجه ضربة قوية ضد قوى الاستعباد، وهي ضربة أكبر مما وجهه هو بنفسه حتى الآن أو مما كان يحتمل أن يقوم به لو قدرت له الحياة، فموته الآن كان له غرض. ففي تلك الأثناء، سمح له حكم الإعدام بنشر آرائه المناهضة للعبودية من خلال المراسلين الموجودين باستمرار في تشارلز تاون، مقر محاكمته واحتجازه، ومن خلال مراسلاته الضخمة، وهي الآراء التي نشرت في صحف البلاد وزادت من تقدير الناس له ولأفكاره وبطولته.

قبل إدانته، لم يُسمح للصحفيين بالوصول إلى براون، خشية أن تؤدي تصريحاته، إذا نُشرت بسرعة، إلى تفاقم التوترات، خاصة بين المستعبدين. كان هذا الأمر محبطاً للغاية بالنسبة لبراون، حيث صرح بأنه يريد الإدلاء ببيان كامل عن دوافعه ونواياه من خلال الصحافة.

تلقي براون رسائل أكثر من أي وقت مضى في حياته. وكان يكتب ردوداً عليها باستمرار في مئات من الرسائل البليغة، التي غالباً ما تُنشر في الصحف، وأعرب عن أسفه لأنه لم يتمكن من الرد على كل رسالة من المئات الأخرى التي تلقاها. وكانت كلماته تفيض بالروحانية والقناعة. وقد أكسبته الرسائل التي التقطتها الصحافة الشمالية المزيد من المؤيدين في الشمال بينما أثارت غضب العديد من البيض في الجنوب. وعلى الرغم من

وجود عدة خطط لإنقاذه، فإنه رفضها جميعاً، فعندما كتب براون لأسرته من السجن، كان يعتقد أن "دمه سيفعل الكثير نحو تعزيز القضية التي سعيت جاهداً لتعزيزها، أكثر من كل ما فعلته في حياتي من قبل".

وقد حدث ذلك بالفعل، فعلى الرغم من أن الكثيرون حتى من المناهضين للعبودية في الشمال ومن قادة الحزب الجمهوري المؤيد لوحدة أمريكا هاجموا في البداية ووصفوه ووصفوا فعله في الهجوم على هاربرز فيري بالجنون، إلا أن ما أدلى به في محاكمته، وأثناء انتظاره لتنفيذ حكم الإعدام زادت من شعبيته في الشمال، وزادت من كراهيته في الجنوب، ومن الخوف من أن يكون جون براون مجرد مقدمة لظهور مهاجمين آخرين، وراجت إشاعات أن الحزب الجمهوري يعد لغزو الجنوب، ومن ثم بدأت دعوات انفصال الجنوب عن الشمال، وتكوينه اتحاداً كونفدرالياً منفصلاً تتصاعد.

كان من أبرز الذين أثروا في الرأي العام الشمالي مجموعة من المفكرين البارزين في ولايات الشمال من أتباع الفلسفة المتعالية transcendentalism وهي حركة فلسفية وروحية وأدبية تطورت في أواخر عشرينيات وثلاثينيات القرن التاسع عشر في منطقة نيو إنجلاند في الولايات المتحدة. كان هؤلاء يؤمنون أن الخير متأصل في الناس والطبيعة، وأن المجتمع ومؤسساته أفسدوا نقاء الفرد، لذا فإن الناس يكونون في أفضل حالاتهم عندما يكونون "معتمدين على أنفسهم" ومستقلين حقاً.

كان على رأس هؤلاء المفكرين والفلاسفة ثلاثة: وهو رالف والدو إيميرسون Ralph Waldo Emerson وهنري ديفيد ثورو Henry David Thoreau وعاموس برونسون Amos Bronson Alcott، تزعم هؤلاء الثلاثة من خلال الكتابة والخطابة حملة ليس فقط للدفاع عن جون براون بل أيضاً لتمجيده وتحميد فعله، كون فعله يتطابق مع الفلسفة التي يدعون إليها، وكونه ثائراً ضد مظهر من مظاهر فساد المجتمع متمثلاً في

مؤسسة العبودية، وقد بلغ منهم الاحتفاء به أنهم شابهوا بين موته على حبل المشنقة، وبين موت المسيح على الصليب، بحسب اعتقاد المسيحيين.

وقد ازدادت هذه القناعة شيئاً فشيئاً لدى الجمهور في ولايات الشمال، في مقابل القناعة المضادة في الجنوب، ومع تصاعد التوتر بين الشمال والجنوب، وفي داخل ولايات الجنوب ضد كل من يشتبه في انتمائه لأفكار ولايات الشمال، فضلاً عن تصاعد التنكيل الوحشي بالعبيد، وصولاً إلى الانتخابات الرئاسية التي أتت بأبراهام لينكولن، ووصولاً إلى الحرب الأهلية، التي شنتها قوات الشمال ضد الانفصاليين في الجنوب بداية من أجل الحفاظ على وحدة أمريكا، ثم مع تصاعد الولع بجون براون وتغني القوات الشمالية وجميع أهل الشمال بجون براون باعتباره بطلاً، وما نتج عن ذلك من ضغط على الإدارة الأمريكية تحول الغرض من الحرب إلى القضاء على العبودية، وهو ما تحقق بصدور إصدار الرئيس لينكولن لإعلان تحرير العبيد في 1 يناير من عام 1863. صحيح أن هذا الإعلان لم يوقف معاناة الأمريكيين من أصول أفريقية مع العنصرية حيث احتاجوا لما يزيد عن قرن حتى يصلوا إلى حركة الحقوق المدنية إلا أن جون براون كان له سهم في النشوء المبكر لهذه الحركة عبر توارث أفكاره وإلهامه لدى أجيال من المناضلين في هذا المسار.

وختاماً أقول إنني كنت أختتم قراءة تلك السيرة المفصلة التي كتبها ديفيد إس رينولدز David S. Reynolds بعنوان "جون براون المناصر لإلغاء العبودية - John Brown - Abolitionist"، وهي سيرة تجاوزت الـ 500 صفحة، كنت أختتم هذه السيرة مع الأيام الأولى لحرب فلسطين الأخيرة التي بدأت بيوم 7 أكتوبر 2023 المجيد.

وبالطبع لم أمنع نفسي من التأمل وربط الأحداث، فبينما أصر كاتب السيرة على الجمع بين وصفه لجون براون بأنه الرجل الذي قتل العبودية، وأشعل الحرب الأهلية ووضع بذور الحقوق المدنية، إلا أنه أصر من بداية السيرة للصفحات الأخيرة منها على وصفه

بالإرهاب، كونه استخدم العنف المسلح في خلاف سياسي على حد رأيه، وقد كان غريباً أن يصف الكاتب العبودية بأنها وجهة نظر سياسية، وكأن الأمر لم يكن متعلقاً بملايين البشر اختطفوا بالقوة من قارة أفريقيا، وتعرضوا للتعذيب والعمل بالسخرة والاعتصام والقتل الوحشي طوال قرون، تماماً كما تعرض أهل فلسطين - ولا يزالون - لإخراجهم من بلادهم وممتلكاتهم وإقامة دولة فصل عنصري على أرضهم، وكان الأغرب أن كاتب السيرة لم يطلق لفظ الإرهاب على العبودية ولا على تجار وملاك العبيد، ولا على العصابات التي قتلت وأحرقت الناس أحياء وفعلت كل ما فعلت من فظائع، وكأن العدوان على البشر مجرد وجهة نظر، فقط يلتصق وصف الإرهاب بك إذا قاومت ذلك. صحيح كما قلنا إن الغدر الذي أتم به أول عمل عنيف لجون براون لم يكن ينبغي أن يحدث، ولكن أن يتم توزيع تهمة الإرهاب على طرف دون طرف، أمر يشبه كثيراً ما يحدث اليوم على ساحة أرض فلسطين.. والله أعلم.

لمصدر المعلومات وللمزيد منها طالع الويكيبيديا:

[https://en.wikipedia.org/wiki/John\\_Brown\\_\(abolitionist\)](https://en.wikipedia.org/wiki/John_Brown_(abolitionist))

[https://en.wikipedia.org/wiki/Underground\\_Railroad](https://en.wikipedia.org/wiki/Underground_Railroad)

<https://en.wikipedia.org/wiki/Maroons>

<https://en.wikipedia.org/wiki/Transcendentalism>

وطالع كتاب ديفيد رينولدز عن جون براون:

<https://www.amazon.co.uk/John-Brown-Abolitionist-Slavery-Sparked/dp/0375726152>



# علي الغاياتي

وقصة تستحق أن تروى تمتد  
لأكثر من قرن

هذه قصة على عكس كل قصصنا هنا - والتي عادة ما تدور حول شخصية واحدة - لها 3 أبطال، وهم: الشيخ علي الغاياتي، والباحث الراحل خيرى أمين محمد، وابنته الباحثة الدكتورة أمل خيرى، أما الخيط الناظم الذي يربط بين تلك الشخصيات على مدى أكثر من قرن من الزمان، فهو كتاب، كان مشروعاً لرسالة ماجستير، صدر بعد وفاة صاحبها بحوالي 40 عاماً بعنوان "علي الغاياتي شاعر الوطنية المهاجر.. صفحات منسية من تاريخ النضال الوطني".

أما الشيخ "علي الغاياتي" فهو أحد رموز الحزب الوطني القديم خاصة في زمن رئاسة الزعيم محمد فريد للحزب، رمزا من أصحاب القلم الذين جمعوا بين الشعر والصحافة. وهو أول شاعر يفرد للوطن، مصر، ديواناً خاصاً يتفاعل مع قضايا الوطن في ظل الاحتلال الإنجليزي لأرضه في ديوانه الشهير "وطنيتي" الذي صدر عام 1910، وهو ديوان له قصة معروفة في تاريخ النضال الوطني المصري، وصفه الأستاذ خيرى أمين بأنه "هو أول ديوان - على ما أعلمه - في الشعر العربي يتحدث عن الوطن تشبيهاً وتمجيذاً، وينحني إجلالاً لكفاحه ونضاله لا لأمير أو وزير"، وقد جمع فيه الغاياتي ما سبق أن نشره على صفحات الصحف المختلفة، ومنها صحف الحزب الوطني: اللواء والعلم وغيرها. وكتب له كل من محمد فريد رئيس الحزب الوطني، وعبد العزيز جاويش رئيس تحرير صحيفة اللواء مقدمتين، وقد أثار الديوان حفيظة البعض، ومنهم الشيخ علي يوسف صاحب جريدة "المؤيد"، ومناصر القصر، فأخذ يحرض عليه في صحيفته.

وقد تسبب الديوان والمقدمات والتحريض الذي تسبب فيه، في أن تنتهز سلطات الاحتلال الفرصة كي تقوم باعتقال كل من محمد فريد، والشيخ جاويش، ومن ثم هرب الغاياتي إلى خارج مصر. وما لبث زعيماً الحزب الوطني محمد فريد وعبد العزيز جاويش

أن اختارا لنفسيهما النفي الاختيار بعد خروجهما من الاعتقال بعدما شعرا بتربص سلطات الاحتلال بهما.

وفي منفاه الاختياري بدأ علي الغاياتي رحلة من الغربية والكفاح وهو ابن 25 عاما، بدأها من الآستانة (إسطنبول) ثم جنيف، مارس خلالها الترجمة والعمل الصحفي مراسلا للصحف المصرية، و مترجما للصحف السويسرية، وما لبث أن أسس صحيفته "منبر الشرق" باللغتين العربية والفرنسية، متخذا منها منبرا للدفاع عن قضايا الشرق الإسلامي والعربي، ومنها بلا شك قضية وطنه مصر، متعاوننا في ذلك مع الدكتور زكي علي، الطبيب والداعية وأحد أبناء الحزب الوطني المهاجرين في سويسرا، وما لبث أن انضم إليهما أمير البيان "شكيب أرسلان"، وقد كان ثلاثتهما نواة لبلورة أول مؤتمر للمسلمين في أوروبا عقد في 12 سبتمبر 1935.

وفي كتيب صغير أعده وترجمه الدكتور صالح مهدي السامرائي عام 2014 بعنوان "أول مؤتمر لمسلمي أوروبا يعقد في جنيف" يقول الدكتور السامرائي إنها "أولى المحاولات لتكوين اتحاد للجالية الإسلامية في أوروبا، ولقد سعى ثلاثة عمالقة لإعداد هذا المؤتمر: أمير البيان شكيب أرسلان، وعلي الغاياتي، والدكتور زكي علي، وهؤلاء الثلاثة كانوا مؤسسي العمل الإسلامي في أوروبا في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي. الملاحظة الأولى على هذا المؤتمر أنه كان يضم سبعين مندوبا من عموم أوروبا وكلهم من أصول أوروبية، وكل مندوب شرح وضع المسلمين في بلده واحتياجاتهم".

وبعد أن قضى الغاياتي أكثر من ربع قرن في سويسرا عاد إلى أرض الوطن أواخر عام 1937 وعاود إصدار صحيفة "منبر الشرق" من مصر من غير لون حزبي، ولكن بهوى مصري صميم، وظلت الجريدة تصدر طوال 18 عاما، تحمل هموم الوطن والأمة إلى أن وافته المنية في 21 سبتمبر عام 1956.

وبالرغم مما قدمه الغياطي لوطنه وأمته من توضيحات، ورغم أنه عاش لقضايا الوطن والأمة، إلا أنه لم يأخذ حظه من الكتابة عنه وعن تاريخه اللهم إلا القليل. وهنا تأتي أهمية رسالة الباحث الراحل خيرى أمين محمد، والذي تقول عنه ابنته الدكتورة أمل في مقدمة الكتاب إنه: من مواليد القاهرة عام 1939، أكمل دراسته في معهد المعلمين بها، وعمل مدرسا بها بعد تخرجه، ثم ما لبث أن سافر للعمل مدرسا في سوريا وقت الوحدة بين عامي 1958 و1961، وخلال فترة عمله بسوريا ذاكر وحصل على الثانوية العامة بالقسم الأدبي، وعند عودته لمصر التحق بكلية الآداب، فكان يجمع بين العمل والدراسة ثم ما لبث أن التحق بالتجنيد الإلزامي، ورغم كل ذلك تخرج بتقدير جيد جدا عام 1965 وكان الأول على دفعته، لكن رئيسة القسم آنذاك حالت دون تعيينه لتوجهاته الإسلامية.

ثم ما لبث الباحث خيرى أمين أن حصل على منحة للدراسة بمعهد الدراسات العربية، فحصل أولا على دبلومة في النقد والأدب عام 1968. ثم قام بالتسجيل في كلية الآداب للحصول على الماجستير عن "علي الغياطي، حياته وشعره" تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد الحميد يونس، أستاذ الأدب الشعبي، والذي سعد بالموضوع وقدم له كل الدعم، وعرف الباحث بأسرة الغياطي. وقد بدأ بالفعل العمل على رسالته وكتابتها.

لكن وزارة التربية والتعليم أعارته للجزائر في إطار دعم حركة التعريب هناك، وبعد عودته ونتيجة لبعض الظروف الأسرية والصحية لم يتمكن من استكمال العمل في الرسالة، ثم ما لبث أن توفي في حادث أليم عام 1981 دون أن يتسنى له إتمام جهده الفكري أو إخراجه للنور.

وهنا يأتي دور ابنته الدكتورة أمل خيرى، والتي عرفتها في منتصف الثمانينات من القرن الماضي، حينما كنت أشرك مع بعض الطلبة الجامعيين وأهل المنطقة في نشاط تحفيظ القرآن في مسجد الميدان، وهو المسجد الرئيسي في منطقة "حدائق حلوان" حيث عشت

34 عاما من عمري، وقد لفت انتباهي وانتباه زملاء وقتها قدرتها على الحفظ السريع والمتين للقرآن.

وقد توثقت بين أسرتي بعد زواجي وبين أسرة "أمل" أواصر قوية، وقد واصلت أمل مسيرتها التعليمية بالرغم من العديد من التحديات التي واجهتها بنجاح حتى تخرجت من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ثم حصلت على إجازة من معهد إعداد الدعاة (4 سنوات) بالقاهرة وكانت الأولى على دفعتها، ثم حصلت على ماجستير الاقتصاد الإسلامي من معهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة، ثم على درجة الدكتوراه في الاقتصاد من كلية الدراسات الأفريقية العليا التابعة لجامعة القاهرة. وقد عملت الدكتورة أمل معي لبعض الوقت في الكتابة في المجال التنموي في مشاريع شركة ميديا إنترناشونال، واستمرت بعد الماجستير والدكتوراه تعمل في مجال البحث والكتابة في التنمية والاقتصاد.

وبعد إتمامها لرسالتها، قررت أن تقوم باستكمال عمل والدها وإخراجه للنور، حيث كان والدها قد قطع شوطا لا بأس به من العمل وجمع المادة المنشورة (وهي ليست بالكثيرة) وأجرى مقابلات مع أسرة الشيخ علي الغياطي، ولكن راعها كما تقول - بعد كل تلك السنين - أن الأوراق كانت غير مرتبة وينقصها الكثير، وتحتاج لمزيد من العمل، وبعد تردد استعانت بالله وقررت البحث عن مصادر أخرى للمزيد من الإمام بشخصية الشيخ علي الغياطي، وتقول أنها لم تكن أسعد حالا من والدها الذي عانى من قلة المصادر، وعبر عن ذلك فيما كتبه، إلا أنه كان قد أتيح له بعض المصادر الأصلية وقتها، سواء من مقابلات شخصية، أو من أعداد جريدة منبر الشرق.

لكنها بمثابرتها وجهدها ودأبها، آثرت بعد 50 عاما من عمل والدها في الكتاب أن تقوم بالعمل على إعادة تجميعه وترتيبه وتحريره والإضافة إليه حتى خرج هذا الكتاب إلى النور أخيرا، ونشر على موقع مكتبة نور عام 2020.

ويشاء الله سبحانه أن يسترد وديعته، وأن تغادر الأخت الكريمة الدكتورة أمل خيري الدنيا صبيحة يوم الإثنين 22 مايو 2023، بعد أن عانت من المرض الخبيث على مدى عام تقريبا، وقد تركت تراثها الفكري والعلمي متاحا للقراءة والتحميل المجاني على موقع مكتبة نور ك"علم ينتفع به"، جعله الله نافعا للناس، ونفعها به يوم القيامة، وجعله في ميزان حسناتها.

يمكنكم مطالعة الكتاب على الرابط التالي:

<https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8->

[/D8%B9%D9%84%D9%8A-](https://www.noor-book.com/%D8%B9%D9%84%D9%8A-)

[/D8%A7%D9%84%D8%BA%D8%A7%D9%8A%D8%A7%D8%AA%D9%8A-](https://www.noor-book.com/%D8%A7%D9%84%D8%BA%D8%A7%D9%8A%D8%A7%D8%AA%D9%8A-)

[/D8%B4%D8%A7%D8%B9%D8%B1-](https://www.noor-book.com/%D8%B4%D8%A7%D8%B9%D8%B1-)

[/D8%A7%D9%84%D9%88%D8%B7%D9%86%D9%8A%D8%A9-](https://www.noor-book.com/%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%B7%D9%86%D9%8A%D8%A9-)

[/D8%A7%D9%84%D9%85%D9%87%D8%A7%D8%AC%D8%B1-pdf](https://www.noor-book.com/%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%87%D8%A7%D8%AC%D8%B1-pdf)

كما يمكنكم الاطلاع على قائمة مؤلفات الدكتورة أمل خيري من هذا الرابط:

<https://www.noor-book.com/u/Dr-Amal-Khairi/books>



حلم الكثيرون عبر العالم قديما وحديثا بالقضاء على الفقر في العالم، لكن القليل منهم من سلك طريق "تمكين الفقراء" كمدخل لتحقيق هذا الحلم. وقد كانت ليلي جناح Leila Janah (9 أكتوبر 1982 - 24 يناير 2020) أحد هؤلاء الذين كرسوا حياتهم من أجل فعل ذلك عبر عدة مشاريع لريادة الأعمال الاجتماعية.

ليلى، هي أحد أبناء الجيل الثاني لأسرة هندية مسلمة هاجرت إلى الولايات المتحدة، حيث ولدت ليلي في نيويورك، ثم قضت حياتها في لوس أنجلوس بولاية كاليفورنيا، عانت أسرة ليلي من الفقر، وقد وصفت ليلي طفولتها بأنها كانت صعبة بسبب انعدام الأمن المالي.

وعندما كانت ليلي شابة مراهقة، عملت في العديد من الوظائف لمساعدة نفسها، بما في ذلك مجالسة الأطفال وإعطاء الدروس الخصوصية. ثم التحقت بأكاديمية كاليفورنيا للرياضيات والعلوم، وفي سن السابعة عشرة حصلت على منحة من مؤسسة الخدمات الميدانية الأمريكية American Field Services، حيث أقنعهم بالسماح لها بإنفاق فترة في التدريس في غانا، حيث أمضت 6 أشهر خلال سنتها الأخيرة في المؤسسة.

وفي غانا، قامت ليلي بتدريس اللغة الإنجليزية للطلاب الصغار في قرية أكوابم Akuapem، وكثير منهم كانوا مكفوفين، وقد أشارت ليلي لهذه التجربة المبكرة على أنها أثارت شغفها بالعمل في إفريقيا، ومن ثم واصلت زيارة القارة خلال فترات مختلفة من حياتها القصيرة.

التحقت ليلي بجامعة هارفارد وتخرجت عام 2005 بدرجة علمية في دراسات التنمية الإفريقية، وأثناء وجودها في هارفارد، قضت ليلي فترات من العمل ميدانيا في كل من موزمبيق والسنغال ورواندا، ولاحقا عملت مستشارة ومؤلفة لأبحاث تنموية في البنك الدولي، وفي مؤسسة أشوكا حول الحقوق الاجتماعية والاقتصادية.

وبعد التخرج، عملت كمستشار إداري مع شركة كاتزنباخ بارتنرز Katzenbach Partners، وقد كانت إحدى المهام الأولى التي قامت بها مع الشركة هي إدارة مركز اتصال في مومباي بالهند. وفي مركز الاتصال، قابلت ليلي شابا كان يسافر يوميا مستخدما ريكشا من دارافي Dharavi، أحد أكبر الأحياء الفقيرة في جنوب آسيا، للعمل في المركز. وقد استشهدت ليلي بهذه التجربة لاحقا على أنها كانت مصدر إلهام لتأسيس منظمة سماسورس Samasource، وهي منظمة غير ربحية أسستها في عام 2008.

وفي عام 2007 تركت ليلي العمل في الشركة لتصبح باحثة زائرا في جامعة ستانفورد مع برنامج العدالة العالمية، الذي أسسه أستاذ القانون جوشوا كوهين. وفي ذلك العام، شاركت في تأسيس مشروع "حواجز للصحة العالمية" والذي وضع مخططا لتحفيز تطوير عقاقير جديدة. للأمراض المهملة.

وفي عام 2008، أسست ليلي مشروعها الأول باسم "سماسورس Samasource" في كينيا، وهي فكرة مستوحاة من الوقت الذي أمضته في إفريقيا وتجربتها في إدارة مركز اتصال في مومباي. وتعمل المنظمة في شرق أفريقيا بهدف توسيع الفرص لذوي الدخل المنخفض من خلال الاقتصاد الرقمي، وقد قامت المؤسسة بتوظيف 2900 شخص (حتى وفاة ليلي)، كما ساعد نموذج أعمالها الاجتماعي أكثر من 50 ألف شخص على انتشال أنفسهم من براثن الفقر.

إضافة إلى ذلك، وفرت سماسورس مجموعة من البرامج التي تضمن تقدم موظفيها في حياتهم المهنية وتعليمهم المهارات الحياتية، وتضمنت هذه البرامج التثقيف في مجال الصحة والعافية، وتنمية المهارات المهنية، وبرنامج منح دراسية للمساعدة في تكاليف التعليم المستمر، فضلا عن برنامج لتقديم القروض الصغيرة والإرشاد لأصحاب المشاريع الطموحين. وقد صنفت سماسورس كواحدة من "الشركات الأكثر ابتكارا"، والتي تضم بين عملائها شركات كبرى مثل وول مارت وجوجل وجنرال موتورز ومايكروسوفت من بين عملائها.

وفي عام 2012 أسست ليلي مشروعها الثاني "سماهوب Samahope"، وهي أول منصة تمويل جماعي تمول بشكل مباشر الأطباء الذين يقدمون علاجات طبية مغيرة للحياة للنساء والأطفال في المجتمعات الفقيرة. حيث تمكن سماهوب أي شخص في أي مكان من التمويل المباشر للعلاجات الطبية المغيرة للحياة التي يقدمها الأطباء للنساء والأطفال المحتاجين.

وقد تم بناء سماهوب Samahope على الاعتقاد بأن آليات التمويل الشفافة يمكن أن تساعد في سد فجوة الجراحة العالمية وضمان حصول جميع الأشخاص على العلاجات الطبية. وقد تم دمج سماهوب مع منصة الرعاية الصحية العالمية الجديدة من جونسون آند جونسون Johnson & Johnson، والتي تعرف باسم كيرنج كراود CaringCrowd، في نهاية ديسمبر 2015.

وفي عام 2013 أسست ليلي مشروعها الثالث "ساماسكول Samaschool" في الولايات المتحدة، وهو برنامج يخرج الناس من براثن الفقر من خلال توفير التدريب على المهارات الرقمية والاتصال بالوظائف القائمة على الإنترنت التي تدفع أجرا معيشيا، وتدير ساماسكول برامج في أركنساس وكاليفورنيا ونيويورك وكينيا، كما توفر دروسا عبر الإنترنت متاحة دوليا.

وفي عام 2015، شاركت ليلي في تأسيس المشروع الرابع وهو "إل إكس إم آي LXMI"، وهي علامة تجارية فاخرة للعناية بالبشرة تهدف للربح. توظف LXMI النساء المهمشات في مجتمعات وادي النيل الريفية وتفيد التقارير بأن منتجها يكسبون 3 أضعاف متوسط الأجور المحلية.

ونظير أعمالها العديدة المكرسة لتمكين الفقراء حصلت ليلي جناح على العديد من الجوائز والتكريمات من عدة مؤسسات أمريكية وعالمية، منها المنتدى الاقتصادي العالمي، وجائزة مؤسسة هاينز، وجائزة مؤسسة وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة هيلاري كلينتون من

بين عدد من الجوائز الأخرى. كما أشادت بها عدة وسائل إعلام أمريكية وعالمية مثل مجلة Elle Magazine وصحيفة نيويورك تايمز وفوربس وفورتن من بين وسائل إعلام أخرى.

كانت "ليلي جناح" وكأنها تسابق الزمن لغرس العديد من الفسائل التي تميزت جميعها بأنها أفكار مبتكرة تحولت إلى مؤسسات - ربحية وغير ربحية - تستهدف جميعها القضاء على الفقر عبر تمكين الفقراء، مع التركيز على أفريقيا.

لكن ليلي استسلمت في النهاية لمضاعفات أحد أمراض السرطان النادرة التي تصيب الأنسجة الرخوة وماتت عن عمر يناهز السابعة والثلاثين عاما.

لمصادر المعلومات والمزيد منها طالع:

<https://edition.cnn.com/2020/02/01/us/leila-janah-obit-trnd/index.html>

[https://en.wikipedia.org/wiki/Leila\\_Janah](https://en.wikipedia.org/wiki/Leila_Janah)

وطالع موقع مجموعة سما:

<https://www.sama.com/>

وشركة إل إكس إم آي:

<https://lxmi.com/>



وصفت بأنها الأم تريزا النيبالية، ذلك لأنها تتخذ منها قدوة، ولأنها قضت الـ 27 عاما الأخيرة من حياتها - التي تبلغ الآن ما يقرب من 71 عاما - من أجل حماية وإعادة تأهيل ضحايا الإتجار في البشر نساء وأطفالا بشكل عام، وضحايا تجارة الجنس بشكل خاص، وذلك منذ تأسيسها لمنظمة مايتي نيبال Maiti Nepal عام 1993.

إنها السيدة أنورادا كويرالا Anuradha Koirala التي ولدت في أبريل من عام 1949، ودرست في مدرسة القديس يوسف في كالمبونج بالهند، وهي الدراسة التي كان لها تأثير كبير في انجذابها نحو العمل الاجتماعي.

قضت أنورادا 20 عاما في التدريس للأطفال، وعلى الرغم من سعادتها بالعمل، إلا أنها شعرت بأن لديها رسالة عليها أن تؤديها، ذلك أنها في بداية التسعينات من القرن الماضي اعتادت السير بجوار معبد باشوباتيناث في كاتماندو (عاصمة نيبال) كل صباح، حيث كانت تقابل النساء اللواتي كن يتسولن في تلك الشوارع، وعندما تحدثت معهن، أدركت أنهن جميعا من ضحايا العنف الاجتماعي، خاصة الضرب في المنزل، ولأنها تعاملت مع الصدمة الجسدية والعاطفية على يد زوج سابق مسيء، فإنها أدركت في هذه اللحظة الطريق الذي عليها أن تسلكه.

بدأت أنورادا فقط بثمانية نساء، تعلمهن عن تمكين المرأة وتشجيعهن على التوقف عن التسول، لكن عملها نما بسرعة، ومن ثم، وبحلول عام 1993، أسست مايتي نيبال وركزت انتباهها على مشكلة ضخمة في نيبال وهي تجارة الجنس.

فارتفاع معدلات الفقر والامية في البلاد جعلها أرضا خصبة لتجار البشر، الذين يظهرون للأسر الفقيرة في ثياب بائعي الأحلام، أحلام العمل أو المال، مع إخفاء الحقيقة البشعة

المتمثلة في الاتجار بالجنس عنهم. وبالتالي، تؤخذ الفتيات والنساء من المناطق الفقيرة في نيبال، وتباع لتجار العبودية الجنسية في الهند على الجانب الآخر من الحدود.

ابتكرت أنورادا طريقة لبدء إنقاذ هؤلاء النساء والفتيات، حيث أن المكان الرئيسي للاتجار فيهن يكون في الهند، وحيث أن الحدود بين نيبال والهند تمتد لأكثر من 1750 كم، وهي حدود مفتوحة ومسامية، ومن خلال تلك الحدود، تم خلال عام واحد على سبيل المثال وهو عام 2003، الإتجار في 25 ألف امرأة وفتاة.

لذا تعمل مايتي نيبال مع سلطات إنفاذ القانون المحلية لإنقاذ من يمكن إنقاذه عبر 26 نقطة مختلفة على الحدود الهندية النيبالية. كما تدير 11 من المنازل التي تؤوي النساء اللائي تم الاتجار بهن حديثا، حيث تنأى أسرهن عن ذلك. توسع نطاق المنظمة أيضا على مر السنين: والآن تدير حملات توعية وبرامج للتمكين ومبادرات للتدريب المهني للناجيات.

ولأن أنورادا أرادت ضمان أن تتمكن هؤلاء النسوة والفتيات من العيش حياة مستقلة ومنتجة في المجتمع. ولهذا الغرض، وظفت من خلال مايتي نيبال العديد من الضحايا السابقين من أجل إجراء عمليات تفتيش في نقاط العبور الحدودية ودربتهم على التعرف على ضحايا الاتجار المحتملين. كما أسست مؤخرا مقهى في كاتماندو حيث يعمل الضحايا السابقون كصرافين وطهاة ونادلات.

وتدير مايتي نيبال أيضا ثلاثة منازل لوقاية الفتيات المعرضات للخطر لتثقيفهن حول مخاطر الاتجار، وتطعم أكثر من 1000 طفل وطفلة، كما تدير المنظمة تكايا للأطفال والنساء المصابات بفيروس نقص المناعة البشرية / الإيدز ومدرسة واحدة. كما ساعدت أنورادا أيضا في القبض على مجرمي الاتجار بالبشر، ومحكمة أكثر من 700 من هؤلاء المتجرين.

وفي السابع عشر من يناير عام 2018 تم تعيين أنورادا كويرالا من قبل حكومة نيبال كأول امرأة حاكمة لمقاطعة باغماتي براديش وهي المقاطعة الأولى في نيبال واستمرت في منصبها حتى 3 نوفمبر 2019.

وقد حصلت أنورادا كويرالا على 38 جائزة وطنية ودولية عن عملها، بما في ذلك جائزة الهند المدنية المرموقة المعروفة باسم بادما شري Padma Shri، وجائزة سي إن إن لبطل العام CNN's Hero of the Year في عام 2010.

وعلى مر السنين، استطاعت مايتي نيبال Maiti Nepal إنقاذ أكثر من 18000 امرأة وطفل. واليوم، وقد تجاوزت أنورادا السبعين، تواصل الأم تيريزا النيبالية العمل بلا كلل من أجل هذه القضية ولا تعتزم الاستسلام في أي وقت قريب.

تبقى المعارك ضد مافيا الإتجار بالبشر على اختلاف أغراضها، سواء للعمل بالجنس أو للعمل بالسخرة من أصعب المعارك التي يمكن أن يقودها أي إنسان، حيث دائما وأبدا ما تكون تلك المافيات لها رجالها في الأجهزة المسؤولة عن إنفاذ القانون، وحماية المواطنين، ومن ثم فإن من يخوض أمثال تلك المعارك يستحق ألف وسام، لأنه يضع حياته وأمنه الشخصي على المحك.

لمصدر المعلومات والمزيد منها، طالع تقريرا على موقع "تروث ستوري":

[https://truththeory.com/2019/10/01/the-mother-teresa-of-nepal-has-rescued-18000-sex-trafficking-victims/?fbclid=IwAR2AQQRPiTmdbfaf\\_nQCK5tgHtNoQZCzlt27Mq1KAMviDnNqG\\_BU9OIDAM](https://truththeory.com/2019/10/01/the-mother-teresa-of-nepal-has-rescued-18000-sex-trafficking-victims/?fbclid=IwAR2AQQRPiTmdbfaf_nQCK5tgHtNoQZCzlt27Mq1KAMviDnNqG_BU9OIDAM)

وطالع الويكيبيديا:

[https://en.wikipedia.org/wiki/Anuradha\\_Koirala](https://en.wikipedia.org/wiki/Anuradha_Koirala)

وطالع للمزيد من المعلومات المحدثه عن أعمال منظمة "مايتي نيبال":

<https://maitinepal.org/>



# سوزان سيوارد

كيف عمقت فهمنا لشبكات الاتصال  
بين الأشجار والنباتات

في السابع من أغسطس من عام 1997 نشرت دورية نيتشر نتائج أول دراسة للباحثة الكندية سوزان سيمارد Suzanne Simard والتي درست فيها بشكل عملي دور شبكة الفطريات التكافلية mycorrhizal fungi في التساند والتعاقد بين أشجار الغابات عبر تناقل الكربون والنيروجين والفوسفور فيما بينها، ويومها احتفت الدورية العلمية الأشهر والأقدم في العالم بالدراسة ونتائجها، وعنوت غلافها بهذه التسمية "شبكة باتساع الغابة Wood Wide Web" محاكاة ربما لاسم الشبكة العالمية للإنترنت وأحرفها الأولى "www".

ومنذ ذلك الحين نشرت سوزان أكثر من 200 ورقة بحثية عمقت فيها فهمنا حول الأدوار المختلفة لهذه الشبكة الفطرية التي تمتد بين جذور جميع الأشجار والنباتات تحت الأرض، ودورها في التكافل والتعاون والتعاقد في نقل المعلومات والإشارات التنبؤية في حالات الخطر، فضلا عن التساند بنقل المغذيات بأنواعها المختلفة والمياه فيما بينها، تزيد وتنقص بحسب الاحتياج، وباختلاف الأحوال، وتتكون تلك الشبكة كما كشفت أبحاث سوزان وفريقها البحثي في جامعة كولومبيا البريطانية في كندا من عشرات الأنواع من الفطريات، يختص كل منها بدور في هذه العملية المعقدة التي يمكن تلخيص نتائجها الإجمالية في تحقيق صحة جميع الأشجار والنباتات، وعلى الرغم من أن هذه المعارف ربما استنبطتها الشعوب الأصلية والقديمة في حكمتها المكتسبة على مدار مئات السنين وتوارثتها الأجيال المتعاقبة، إلا أن البشر المحدثين وفي إطار ممارساتهم الاقتصادية والتجارية و"العلمية" الحديثة تجاهلوا تلك المعارف "البدائية" من وجهة نظرهم، وصاروا يتعاملون بطرق شديدة الضرر للنباتات والأشجار على المدى القصير، في سبيل تحقيق أرباح قصيرة النظر، ولا يلبث التدهور الناتج عن ممارساتهم أن يؤثر سلبا على المدى الطويل على تلك الأرباح.

سوزان سيمارد هي أستاذة علم بيئة الغابات في جامعة كولومبيا البريطانية، ولدت ونشأت في منطقة جبال موناشي في ولاية كولومبيا البريطانية في كندا، وحصلت على درجة الدكتوراه في علوم الغابات من جامعة ولاية أوريجون الأمريكية، وقبل التدريس في الجامعة عملت كعالمة أبحاث في وزارة الغابات في كولومبيا البريطانية.

وقد لعبت طوال حياتها البحثية دورا رائدا في دراسة شبكة الاتصالات النباتية الذكية وتوصلت خلال رحلتها البحثية إلى صياغة مفهوم جديد مبني على إدراك أن الغابات بها أشجار محورية، أو "الأشجار الأم Mother Trees"، وهي الأشجار الكبيرة التي تمثل في بيئاتها "مجمعا" لشبكة الاتصالات الفطرية حيث تلعب دورا مهما في تدفق المعلومات والموارد في الغابة.

ومن ثم فقد أسست عام 2015 "مشروع الشجرة الأم Mother Tree Project" حول روابط الأشجار داخل الغابات وتقوده سوزان سيمارد بالتعاون مع شبكة من الباحثين حول العالم، كما يجمع المشروع بين الأوساط الأكاديمية والحكومة وشركات الغابات والغابات البحثية والغابات المجتمعية والشعوب الأصلية لتحديد وتصميم الممارسات الناجحة لتجديد الغابات.

ويستكشف المشروع مجموعة من الأسئلة البحثية حول الدور الذي تلعبه الأشجار الأم في تجديد الغابات، وخططات الشتلات الأفضل لتجديد الغابات، وتأثير حجم وعدد وتوزيع الأشجار المتروكة بدون قطع في موقع الحصاد على تجديد الغابات، وتأثر ميزانية الكربون في الغابات بمختلف معالجات الحصاد والتجديد، وتأثر التنوع البيولوجي (الحيوانات والنباتات والفطريات والبكتيريا) بمختلف معالجات الحصاد والتجديد، وغير ذلك.

وإضافة لمشروع الشجرة الأم ذو الطابع البحثي، ساهمت سوزان سيمارد مع عدد من علماء الجامعة في تأسيس برنامج تيريويب TerreWEB لتدريب طلاب الدراسات العليا في

الجامعة على التواصل العلمي وعلى اكتساب مهارات تبسيط وتوصيل أبحاثهم العلمية للجمهور العام.

وقد مارست سوزان التواصل مع الجمهور بنفسها بعد أن كانت تشعر برهبة من هذا الأمر، ومن ثم فقد ظهرت 3 مرات في محاضرات تيد TED كما تحدثت في فيلم وثائقي قصير بعنوان "هل تتواصل الأشجار؟ Do Tree Communicate?"، فضلا عن الفيلم الوثائقي الطويل "الأشجار الذكية Intelligent Trees"، وأخيرا فقد نشرت عام 2021 كتابها الأول " العثور على الشجرة الأم: الكشف عن حكمة وذكاء الغابة Finding the Mother Tree: Uncovering the Wisdom and Intelligence of the Forest"، والذي تمزج فيه ما بين السيرة البحثية العلمية والسيرة الذاتية والأسرية، التي تناولت فيه طفولتها في غابات كولومبيا البريطانية، وأسرتها، مروراً بمصرع شقيقها، وزوجها وإنجابها لبنتها، ثم انفصالها، وتجربة إصابتها بالسرطان ومرورها برحلة العلاج القاسية وصولاً إلى تعافها، كل ذلك ممزوجاً بالحديث حول رحلة شغفها بالفطريات المحيطة بجذور الأشجار منذ طفولتها في الغابة، مروراً بدراستها لعلم الغابات، ومعاناتها مع الشركات التي تقطع الغابات لصناعة الأخشاب، ثم مع وزارة الغابات بسبب ممارساتهم الخاطئة والضارة ببيئة الغابات، ومهاجمتهم لنتائج دراستها في الدكتوراة التي أشرنا لنشر دورية "نيتشر" لنتائجها عام 1997، ثم رحلتها البحثية بعدما التحقت بالكادر الأكاديمي والبحثي بجامعة كولومبيا البريطانية، وتعاونها البحثي مع عدد من الباحثين في المجال، ومع طلابها، لتتعمق معها في وظائف هذه الشبكة الفطرية العجيبة ودورها الحيوي في صحة الأشجار والنباتات والغابات، وعلاقة باقي الكائنات في البيئة بهذا الدور الحيوي بما يساهم في مرونة الغابات وقدرتها على التكيف والتعافي، وأثار ذلك بعيدة المدى على كيفية إدارة الغابات وعلاجها من التأثيرات البشرية، بما في ذلك تغير المناخ.

لمصدر المعلومات والمزيد منها طالع موقع سوزان سيمارد:

<https://suzannesimard.com/>

وطالع الويكيبيديا

[https://en.wikipedia.org/wiki/Suzanne\\_Simard](https://en.wikipedia.org/wiki/Suzanne_Simard)

وطالع دراسة نيتشر 1997:

<https://www.nature.com/articles/41557>

وشاهد أحد أحاديثها في محاضرات تيد بعنوان: كيف تتحدث الأشجار إلى بعضها البعض:

[https://www.youtube.com/watch?v=Un2yBgIAxYs&ab\\_channel=TED](https://www.youtube.com/watch?v=Un2yBgIAxYs&ab_channel=TED)

# كاتسو هيكو وشيجياتسو

عندما يجتمع العلم والخبرة  
مع الحكمة اليابانية القديمة

يقول المثل الياباني القديم "إذا كنت تريد صيد سمكة.. ازرع شجرة"، وقد يمر أبناء الثقافات المختلفة اليوم على حكمهم وأمثالهم القديمة مرور الكرام، معترزين بما اكتسبوه من علوم وخبرات حديثة، مستكبرين على كل "قديم"، لكن الحال في قصة هذين البطلين اليابانيين مختلفة، فقد تحول علمهم وخبرتهم إلى أكبر داعم للحكمة القديمة.

البطل الأول لقصتنا هو عالم الكيمياء البحرية الياباني كاتسوهيكو ماتسوناجا Katsuhiko Matsunaga والذي كرس حياته العلمية في جامعة هوكايدو اليابانية لحل معضلة علمية وعملية تخص مصايد الأسماك في اليابان، نخلال عمله لاحظ كاتسوهيكو انهيار النظم البيئية البحرية على طول سواحل اليابان، مما أدى لانهيار مخزون الأسماك، ومن ثم كرس هذا العالم الياباني وفريقه وقته للبحث عن سر اختفاء الأسماك وتضرر النظام البيئي البحري، وقد توصل نتيجة لبحثه إلى أن الانخفاض في غابات الأشجار خاصة ذات الأوراق العريضة على طول الأنهار التي تصب في المحيط بسبب القطع الجائر أدى إلى فقدان حمض الفولفيك fulvic acid. وهو الحمض الضروري للنباتات البحرية لتكون قادرة على امتصاص الحديد مما يتيح نمو الأطعمة البحرية الأساسية مثل العوالق النباتية.

ففي مقال له نشر عام 2002، أن هناك علاقة متبادلة بين الحديد المتوفر بيولوجيا في النظام البيئي البحري، ونمو العوالق النباتية متعددة الأنواع. وهذه العوالق النباتية هي أساس شبكات الغذاء البحرية، فهم المنتجون الأساسيون، الذين يحولون ضوء الشمس إلى طاقة، وهم يزودون العوالق الحيوانية والأسماك بالغذاء والطاقة لتميرها عبر السلسلة الغذائية.

وقد أشارت الأبحاث السابقة التي أجراها كاتسوهيكو إلى أن نوع الحديد المتوفر بيولوجيا كي يتواجد في البيئة البحرية، فإنه يولد أولا من تربة الغابات الموجودة في مستجمعات الأنهار ويرتبط ارتباطا وثيقا بها. فالمركبات والأحماض الدبالية التي تتشكل عندما تتحلل

فضلات الأوراق ترتبط بالحديد في التربة وتندفع في الأنهار، ثم تنتقل إلى البحار والمحيطات. ومن ثم يوفر هذا الحديد المتوفر بيولوجيا الاحتياج الضروري للحياة والسلسلة الغذائية في البحار والمحيطات، وهو الحديد المنخفض بشكل طبيعي في البيئة البحرية في الشكل الذي يمكن أن تستخدمه العوالق النباتية.

وهنا يأتي دور بطل القصة الآخر الصياد الياباني شيجياتسو هاتاكاما Shigeatsu Hatakeyama الذي وصلته نتائج أبحاث كاتسوهيكو، وكان قد ورث مزرعة للمحار من والديه. لكن المياه في خليج كيسنوما في مياجي باليابان أصبحت غير مناسبة لزراعة المحار بعد انتشار عوالق المد الأحمر. وفي رحلة له إلى فرنسا في عام 1984، رأى شيجياتسو محارا بحالة صحية جيدة في مصب نهر لوار ولاحظ وجود غابة عريضة الأوراق في أعلى النهر، وبخلفية أبحاث كاتسوهيكو، وخبرته العملية أدرك شيجياتسو التأثير الإيجابي للغابات على بيئة المحيطات والتنوع البيولوجي.

ومن ثم، وعندما عاد إلى اليابان قام بأول حملة تحت شعار (الغابات عشاق البحر) في عام 1989 مع صيادين آخرين، قام خلالها بزراعة أشجار عريضة الأوراق في أعلى مجرى نهر أوكاوا لتقليل تدفق الملوثات إلى البحر، وقد أدى عمله هذا إلى زيادة الإنتاجية حيث جنت العوالق النباتية ثمار الغابات المزروعة على طول الأنهار، والحديد الإضافي الحيوي الذي وفرته. والأهم من ذلك، أن هذه الزيادة في خصوبة مناطق الصيد الخاصة به لم تؤدي إلى زيادة المحاصيل فحسب، بل أدت أيضا إلى بناء قدرة مزرعة المحار الخاصة به والنظام البيئي الأوسع لمصب الأنهار.

وقد أصبحت أنشطة التشجير التي يقوم بها شيجياتسو حدثا سنويا، واكتسبت زحما منذ ذلك الحين، حتى وصل ما زرعه حتى عام 2017 إلى أكثر من 50 ألف شجرة. وقد أدى عمله إلى دوامات من التأثير وإلى خلق حركة لمحاكاة عمله على مستوى المنطقة

للحفاظ على البيئة، بما في ذلك تنظيم مصارف المياه، وتعزيز الممارسات الزراعية باستخدام مواد كيميائية زراعية أقل.

وقد أمضى شيجياتسو أكثر من عشرين عاما في تطوير الغابة التي تحافظ على نظافة نهر أوكاوا وتحافظ على صحة محاره المزدهر، وفي عام 2009 أسس برنامج آخر للغابات هم عشاق البحر يوفر من خلاله تعليما عمليا للأطفال مما يجعلهم أقرب إلى المحيط والغابة. وقد حصل شيجياتسو هاتاكياما على "جائزة أبطال الغابة" Forest Heroes Award من لجنة الأمم المتحدة للسنة الدولية للغابات 2011.

ما توصل إليه كاتسوهيكو وشيجياتسو علما وعملا، وما قالته الحكمة اليابانية القديمة لا تقتصر جدواه فقط على اليابان، بل تتعداها إلى غيرها من البلدان، لتثبت ارتباط مكونات البيئة الطبيعية مع بعضها البعض، فما يسقط من أوراق الأشجار ويتحلل في التربة، وما تحمله مياه المصارف والترع والأنهار إلى البحار من أحماض وحديد (ذو مصدر طبيعي) يحمل الخير والازدهار للحياة في كلا من المياه العذبة في الأنهار وما فيها من كائنات، والبحار وما فيها من خيارات للبشر، ما تم اجتناب الكيماويات من مخصبات ومبيدات وغيرها.

لمصدر المعلومات والمزيد منها طالع التالي:

<http://calloftheforest.ca/people/>

<https://themeaningoftrees.com/forests-activate-coastal-seas/>

<https://www.9trees.org/9trees-blog/trees-support-rivers-and-seas>



قد يختار الباحث أو العالم أن ينقطع للعلم، تدرّسا وبحثا، وذلك أمر لا غبار عليه، وقد يختار أن يلتحم بعلمه في معترك الحياة، فيساهم بعلمه فيما ينفع الناس ويحافظ على البيئة وتنوعها من حوله، وذلك أفضل العلم، وقد اختار عالم الغابات الدكتور ويلي سميتس الطريق الثاني.

هذا الرجل الذي جاوز اليوم الرابعة والستين من عمره، والذي جاء من هولندا حيث ولد وتعلم، وهب أكثر من نصف حياته للغابات في إندونيسيا، ليس لأشجارها ونباتاتها المحلية فقط، ولكن أيضا لحيواناتها والأهم من ذلك للمجتمعات البشرية التي تعيش فيها، في إطار رؤية تكاملية مستدامة، أشبه برؤى محميات المحيط الحيوي، والتي لا ترى حياة للبيئة، إلا في إطار التنسيق والتكامل بين ساكنيها ومكوناتها جميعا، كل ذلك في إطار العديد من المبادرات، التي كانت المجتمعات المحلية حاضرة دائمة فيها.

ويلي سميتس Willie Smits هو ناشط وباحث في مجال الحفاظ على البيئة، وخاصة الغابات المطيرة، وفي مجال الحفاظ على حيواناتها، وهو أيضا رائد اجتماعي، ولد في هولندا في فبراير من عام 1957، يعيش في إندونيسيا منذ عام 1985، وحاصل على الجنسية الإندونيسية، وعلى الدكتوراه من جامعة واجنجنج Wageningen University الهولندية عام 1991 في علم الغابات الاستوائية والتربة.

منذ عام 1985، عمل سميتس في محطة أبحاث الغابات الاستوائية في واناريسست بمقاطعة شرق كاليمانتان Kalimantan الإندونيسية. وفي عام 1989، صادف سميتس حيوانا من صغار إنسان الغابة orangutan في قفص في السوق، وعندما عاد ومر لاحقا وجده ملقى في كومة من قمامة، وقد كانت هذه نقطة تحول في حياته المهنية، حيث بدأ من عندها في العديد من المبادرات والمشاريع التي شكلت مسيرة حياته فيما يلي هذا التاريخ.

كانت البداية بأن أخذ سميتس إنسان الغابة الصغير الذي وجدته إلى المنزل، وظل يراعيه حتى عاد إلى صحته. وسرعان ما أعطاه السكان إنسان غابة آخر لرعايته، وبمرور الوقت تطور عمله في إنقاذ وإعادة تأهيل وإطلاق إنسان الغابة في البرية إلى ما أصبح يُعرف باسم مؤسسة بورنيو لبقاء إنسان الغابة على قيد الحياة Borneo Oranutan Survival Foundation التي تأسست عام 1991، لتصبح بعد ذلك أكبر منظمة لإنقاذ قرود المقاطعة المهددة بالانقراض على مدى ما يزيد الآن عن 30 عاما.

وخلال تلك الفترة توسعت أنشطة المؤسسة من إنقاذ إنسان الغابة وإعادة تأهيله وإطلاق سراحه إلى مراقبة الغابات المطيرة وحفظها وإعادة بنائها، إلى جانب المشاركة الاجتماعية التي تجعل هذا مستداما، كما قام أيضا بدور متزايد في الحملات والدعوة، لجعل محنة إنسان الغابة وموائلها معروفة على نطاق أوسع.

وفي عام 2001 قامت المؤسسة بشراء أرض بالقرب من واناريسيت تبلغ مساحتها 4900 فدان، كانت سابقا مساحة من الغابات، لكنها أزيلت بسبب قطع الأشجار الميكانيكي والجفاف والحرائق الشديدة، ومن ثم غطتها الأعشاب. كان الهدف من شراء الأرض هو استعادة الغابات المطيرة وتوفير ملاذ آمن لإنسان الغابة المعاد تأهيله مع توفير مصدر دخل للسكان المحليين في نفس الوقت، وهو المشروع الذي أطلق عليه اسم سامبوجا ليستاري Samboja Lestari وتعني "الحفظ الأبدي لسامبوجا". وكان جوهر المشروع هو "الهندسة البرية" وتعني إعادة التحريج وإعادة التأهيل، من خلال زراعة مئات من الأنواع المحلية، وبحلول منتصف عام 2006 كان قد تم زراعة أكثر من 740 نوعا مختلفا من تلك الأشجار.

المشروع الثالث الذي مثل علامة في مسيرة حياته هو مؤسسة ماسارانج Masarang Foundation، وهي مؤسسة تعمل على جمع الأموال ورفع الوعي لاستعادة غابات الموائل حول العالم وتمكين السكان المحليين من ساكنيها. وفي عام 2007، افتتحت مؤسسة

ماسارانج مصنعا لسكر النخيل يستخدم الطاقة الحرارية لتحويل العصير المستخرج يوميا من نخيل السكر (*Arenga pinnata*) إلى سكر أو إيثانول (وقود حيوي)، مما يعيد الأموال والطاقة إلى المجتمع في محاولة للتحرك نحو مستقبل أفضل للناس، والغابات، وإنسان الغابة، مع توفير 200 ألف شجرة سنويا كانت تقطع خشب للوقود

لنخيل السكر عند سكان الغابات في إندونيسيا قيمة كبيرة، حتى إنهم يفضلونه على الذهب ميرا للعروس. وهي شجرة يصفها الدكتور سميتس بأنها "شجرة السحر"، فكل جزء فيها من الجذور إلى الأوراق مفيد للناس. وخلال سنوات بحثه في شمال سولاويزي وأماكن أخرى في إندونيسيا حيث تنمو أشجار النخيل، تعلم سميتس أن الناس لا يستفيدون من الشجرة وخصائصها إلى أقصى حد.

ففي مانادو، عاصمة شمال سولاويزي، يستنزف الناس الأشجار فقط لصنع مشروب كحولي تقليدي، بينما الناس في أماكن أخرى يستنزفون الأشجار لصنع سكر النخيل أو يقطعونها من أجل الساغو sago، وهو نشا مستخرج من لب النخيل. لكن الشجرة لديها المزيد. فعلى سبيل المثال، يمكن معالجة نيرا nira، وهو النسغ الأبيض الذي يتم الحصول عليه من الشجرة، إلى إيثانول. يقول سميتس "يظهر بحثي أنه لا توجد شجرة يمكن أن تنتج وقودا بديلا مثل أشجار النخيل".

ويضيف "يمكن أن تساعد أشجار النخيل أيضا البيئة. فهي فعالة في منع الانهيارات الأرضية، حتى في الأراضي شديدة الانحدار". كما تستخدم الألياف عالية الجودة من نخيل السكر على نطاق واسع؛ حيث يقوم بتصديرها إلى أوروبا، حيث تستخدم في أجسام السيارات الفاخرة.

افتتح سميتس مصنع سكر النخيل هذا في توموهون، وفي كل صباح ينتج حوالي 6200 مزارع النسغ للمصنع، يُباع السكر الذي ينتجه المصنع من النسغ في إندونيسيا، كما يصدر

إلى هونغ كونغ وأستراليا وسنغافورة وأوروبا، حيث يُعرف باسم Masarang Arenga Palm Sugar.

وكما يذكر سميتس فإن مصنعه منتج وصديق للبيئة، ويمكن أن يصبح نموذجاً لأماكن أخرى في البلاد، ف"هناك ما لا يقل عن ثمانى مقاطعات بها وفرة في أشجار النخيل ولكنها لم تفعل الكثير معها"، ويعتقد سميتس أنه إذا استفادت إندونيسيا من نخيل السكر، فلن تكون هناك حاجة لاستيراد السكر بعد عامين، لهذا الغرض، قام بتصميم، ونمذجة، وحاصل على براءة اختراع لما يسمى Village Hub. والذي أظهر من خلاله كيف يمكن لبناء قدرات المجتمع وتمكين المجتمع المحلي أن يعززا التنمية الاقتصادية مع الحفاظ على البيئة الطبيعية.

من المبادرات الأخرى التي عمل عليها سميتس أنه صمم مركز شموترز للأوليات في Schmutzer Primate Center في حديقة حيوان راجونان Ragunan التي افتتحت في عام 2002 بحيث تتمتع حيوانات إنسان الغابة بالحرية والخصوصية في موطن يضم مجموعة متنوعة من أشجار ونباتات الغابات، وشلال ومياه بها سلاحف وأسماك، وحيوانات صغيرة مثل النيص وفئران الغزلان، ويسمح الزجاج الغامق السميك للزوار برؤية إنسان الغاب بينما يكون البشر غير مرئيين له. وعلى الرغم من أن سميتس لم يكن مهتما في البداية بمحادثات الحيوان، إلا أنه الآن يعتبرها ملاذاً لإنسان الغابة المصاب والذي تم مصادرتة من المهريين بينما يتم نقل الأصحاء إلى مراكز إعادة تأهيل مؤسسة بورنيو أورانجوتان للبقاء في البرية لإطلاقهم في النهاية في البرية.

في عام 2008 شارك ويلي سميتس مع جيرد شوستر في إعداد كتاب "مفكرو الغابة - تقرير إنسان الغابة، صور وحقائق وخلفية Thinkers of the Jungle – The Orangutan Report: Pictures, Facts, Background" وهو كتاب يقدم وصفاً لحياة إنسان الغابة وسلوكه ومصيره، إلى جانب ثروة من المعلومات حول هذه الأنواع المهددة بالانقراض

استنادا إلى أحدث الأبحاث، كما يوضح المؤلفان التهديد لبقاء إنسان الغابة من المصالح الاقتصادية والسياسية، واستغلال الطبيعة والجهل والجشع البشري.

حصل سميتس على جائزة ساتيا لينكانا بيمبانجونان Satya Lenkana Pembangunan غير الإندونيسية عام 1998. كما حصل على ما يعادل وسام الفروسية من هولندا لعمله في مجال الحفاظ على الطبيعة والتنوع البيولوجي، وانتُخب في زمالة أشوكا Ashoka Fellowship (والمختصة بزيادة الأعمال الاجتماعية) عام 2009.

ختاما، فقد يفسر البعض منا معنى العلم الذي ينتفع به بأنه كتب تقرأ، أو تلاميذ في الجامعات ومراكز الأبحاث، وذلك مما لا شك جزء من المعنى، لكن المعنى الأعمق، هو ذلك الأثر العام الذي تتركه، وتملكه للناس، فهم عندك شركاء فيه، يتناقلونه فيما بينهم جيلا بعد جيل، وهو كذلك تلك المؤسسات التي تستند إلى الحكمة والتي لا يكون مؤسسها هو عمود خيمتها الذي إذا وقع وقعت من بعده، وأحسب أن الدكتور ويلي سميتس قد فعل هاتين الأخيرتين، ترك أثرا وبني مؤسسات، وهذا أعمق ما ينتفع به، والله أعلم.

لمصدر المعلومات والمزيد منها طالع موقع الويكيبيديا:

[https://en.wikipedia.org/wiki/Willie\\_Smits](https://en.wikipedia.org/wiki/Willie_Smits)

وطالع موقع مؤسسة بورنيو لبقاء إنسان الغابة على قيد الحياة

<https://www.orangutan.or.id/>

وموقع سامبوجا ليستاري

<http://www.sambojalodge.com/>

وموقع مؤسسة ماسارانج

<https://masarang.eu/>

## وطالع تقرير للجزيرة حول مشروع سكر النخيل

<https://www.aljazeera.net/news/science/2020/10/28/%D8%B4%D8%AC%D8%B1-%D9%86%D8%AE%D9%8A%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%83%D8%B1-%D8%A8%D8%B7%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%BA%D8%A7%D8%A8%D8%A9-%D9%86%D9%85%D9%88%D8%B0%D8%AC-%D9%85%D9%84%D9%87%D9%85>



# برندون جريمشو

رجل واحد أحيأ موات جزيرة

نفس حرة تتوق إلى التحليق في الفضاء مثل الطيور. شجاعة اتخاذ القرار بتغيير المسار، ليس مرة واحدة، بل مرتين. الدأب والجلد والصبر الذي جعله يجد ويجهد ويعمل على مدى 50 عاما ليغير وجه الحياة على جزيرة صغيرة، حتى أصبحت أصغر محمية طبيعة في العالم. الصلابة في التمسك بما يعتقد صوابا وحقا مهما كانت الضغوط والمخاطر التي تخلب أبواب الكثرين. روح العطاء والرغبة في النفع العام التي جعلته يهب ما يملك من أجل النفع العام للبيئة والإنسان دون أن يطلب لنفسه شيئا في المقابل.. تلك هي خلاصة سمات برندون جريمشو (Brendon Grimshaw 1925 - 2012) الرجل الفريد، الذي احتاج فرادته من البعض أن يدفع عنه تهمة الجنون.. إذ كيف لإنسان أن يفعل كل ذلك وحده - تقريبا - دون أن ينتظر من الناس أجرا ولا شكورا.

ولد برندون في بلدة تقع غرب مقاطعة يوركشاير الإنجليزية، وعندما بلغ سن الخامسة عشر استكفى من الذهاب إلى المدرسة، فلم يكن مهتما بدراسة الرياضيات والميكانيكا والفيزياء، لكنه كانت مهتما كثيرا بالكتابة، ومن ثم أخذ قراره بأنه يريد أن يفعل ما يروق له، وقد كانت أمه متفهمة، ومن ثم رتبت له مقابلة مع محرر لإحدى الصحف، ومن ثم عمل صحفيا منذ أن بلغ السادسة عشرة، وأصبح أصغر محرر في صحيفة في هذه السن الصغيرة.

لكنه كان يتوق إلى التوجه لأفريقيا التي شغفت قلبه، ومن ثم قضى أغلب حياته المهنية كصحفي مراسلا ومحررا في عدد من كبريات الصحف في شرق أفريقيا خاصة في كينيا وتنزانيا، حينما كانتا لا تزالان جزءا من المستعمرات البريطانية، وصادق خلال عمله الصحفي عددا ممن أصبحوا رؤساء ما بعد الاستقلال، ومنهم جوليوس نيريري، كما صادق عددا آخر من الشخصيات المرموقة في العالم مثل السياسي الأمريكي روبرت كينيدي، والدبلوماسي الباكستاني الأمير علي خان وغيرهم.

لكن ولأن أفريقيا كانت في سبيلها للتغير، ولأن برندون كان قلبه دائماً متعاطفاً مع الشعوب ورغبتها في التحرر، وقد كان من بين أصدقائه إدواردو موندلين رئيس جبهة تحرير موزمبيق الذي كان قارئاً نهماً، وقد أحبه برندون، وقال عنه إنه كان رجلاً يحمل الخير لأهل وطنه، وإنه كان سيصبح رئيساً جيداً لموزمبيق، لكن هناك من رأى غير ذلك وقرر اغتيال الرجل في عام 1969، الأمر الذي أحزن برندون كثيراً.

ولجبه لأفريقيا وتعلقه بها، ولرؤيته أن الواقع يتغير فيها، وأن هناك أشياء خاطئة تحدث ولا يمكنه تغييرها، ولرغبته في البقاء في أفريقيا، أرد أن يبحث لنفسه على مسار آخر غير العمل بالصحافة، ولما أخبره صديق له عن سيشل وكم هي بلد جميل، قام بقضاء عطلة فيها عام 1962، وشعر بعد أسبوع من زيارته لها أنه البلد الذي يحلم بالعيش فيه، ومن ثم رغب في أن يتمكن من شراء جزيرة صغيرة تكون مكاناً لمعيشته، وقبل انتهاء عطلته، وبينما كان في زيارة لأحد المحامين بالعاصمة، كان ينظر من نافذة المكتب، فجاءه شاب بعمر الثامنة عشرة وسأله: هل ترغب في شراء جزيرة؟

لما كانت إجابة برندون بالإيجاب، تم ترتيب زيارة ليرى جزيرة موين Moyenne Island وهي أصغر الجزر الـ 115 التي يتكون منها أرخبيل جزر سيشل في المحيط الهندي إلى الشرق من أفريقيا، وعندما زارها شعر أنها المكان الذي يرغب فيه بالفعل. تقع جزيرة موين على بعد 4.5 كم من الساحل الشمالي لجزيرة موهيه Mohe أكبر جزر الأرخبيل، يبلغ طولها 400 متر، وعرضها 300 متر فقط، ويبلغ ارتفاع أعلى نقطة فيها 61 متراً، ويومها اشتراها برندون بمبلغ 8 آلاف دولار فقط من أسرة كانت تملكها وهجرتها وعادت لتقيم على شاطئ جزيرة موهيه.

تمتلك موين نفس الرمال البيضاء السماوية وصخور الجرانيت التي تميز العديد من شواطئ سيشيل، ولكنها كانت أيضاً موطناً لجدار كثيف غير منقطع من الأشجار التي تغطي الجزيرة، وتشكل هرماً منخفضاً فوق حافة المياه، كأنها كومة خربة من اللون الأخضر،

وعلى الرغم من صغر حجم الجزيرة، فقد كان استعادة الجمال الطبيعي للجزيرة بعد سنوات من الإهمال مهمة شاقة، حيث ترك مزيج من الإهمال والتدخل البشري القاسي في حالة سيئة، حيث خنقت الأعشاب الضارة أرضيتها، والتي جعلت الجزيرة متضخمة جدا لدرجة أن جوز الهند المتساقط، كما قيل، لم يكن يصل إلى الأرض أبدا، ومع مجموعة الحشائش المتشابكة، كانت الطيور غائبة بشكل ملحوظ بينما كانت الفئران تتغذى على الشجيرات.

لذا وبداية من عام 1970 حينما انتقل برندون للعيش في الجزيرة، تعرف على ابن صياد محلي عمره 19 عاما، واسمه رينيه أنطوان لافورتون، وشرع الاثنان معا في رحلة لتبديل حال الجزيرة، حيث قاما على مدار سنوات طويلة بإزالة الأدغال، وزراعة الأشجار، وشق المسارات عبر الشجيرات. لقد كان عملاً مضمناً ومرهقاً استمر فيه الاثنان طوال حياتهما.

أراد برندون من هذا العمل الشاق أن يترك الجزيرة بكرة للأجيال القادمة، بحيث تكون على صورة جزر سيشل بحالتها الأولى قبل أن يغزوها السياح، ومن ثم زرع برندون وصاحبه رينيه 16 ألف شجرة من الأشجار المحلية في الجزيرة من الماهوجني، والنخيل والمانجو والباوباب وغيرها، وقدرت بعض المصادر أنها تحوي أكبر عدد من النباتات للكيلومتر المربع في العالم، وقد استطاعت الأشجار أن تجتذب أعدادا هائلة من الطيور، كما جلب برندون إليها نوعا محليا من السلاحف التي تكاثرت ونمت أعدادها على الجزيرة.

ومع نمو السياحة في سيشيل في الثمانينيات أصبح الأرخبيل جنة استوائية، ومن ثم حول المستثمرون أنظارهم الطموحة نحو موين، وتوالت العروض على برندون، ووصل أحدها إلى 50 مليون دولار لبيع الجزيرة. لكنه قاوم كل العروض، فلم يرد أن يتبدل حال الجزيرة بدعوى "التنمية" وتفقد ما صارت إليه كواحة للتنوع الطبيعي، ولم يرد لها أن تصبح مثل باقي الجزر المحيطة التي امتلأت بالمنتجعات وفنادق الخمس نجوم التي يرتادها أثرياء العالم.

ومع وفاة رينيه عام 2007، وشعور برندون بدنو أجله أسس صندوقاً لحماية الجزيرة من العبث، كما وقع اتفاقية مع وزارة البيئة في سيشل عام 2009 لضم موين إلى منتزه سانت آن البحري الذي يضم بضعة جزر تم إعلانها كمحمية طبيعية، وذلك على أن يتم الحفاظ على طبيعة الجزيرة كما هي، محمية من "التنمية" الرأس مالية، ومن ثم ولد "منتزه جزيرة موين الوطني"، كأصغر محمية منتزه وطني في العالم.

كان برندون قد وثق تجربة حياته مع الجزيرة التي استغرقت أكثر من 40 عاماً في كتاب صدر عام 2003 وحمل عنوان "حبة من الرمل: قصة رجل واحد وجزيرة A Grain of Sand: The Story of One Man and an Island". وفي عام 2012 توفي برندون، وتم دفنه بالجزيرة، التي صارت مزاراً بيئياً يغشاه ما بين 50 إلى 300 زائر يومياً، وهو مزار لا زال على حاله من الثراء الطبيعي، لا يضم إلا مطعماً، ومتحفاً يخلد ذكرى برندون جريمشو، وقبره وقبر والده الذي زاره ليعيش معه ما بقي له من حياته، وقبر اثنين من القراصنة كان قد عثر عليهما براندون في وقت سابق. مضى إلى ربه، وبقي أثره عملاً ينتفع به الناس.

لمصدر المعلومات وللمزيد منها شاهد فيلماً وثائقياً عنه وعن الجزيرة:

[https://www.youtube.com/watch?v=Hdt3zyA\\_\\_RY&ab\\_channel=WanderingEyeFilms](https://www.youtube.com/watch?v=Hdt3zyA__RY&ab_channel=WanderingEyeFilms)

وطالع تقريرين عنه وعن الجزيرة:

<https://www.bbc.com/travel/article/20220119-moyenne-island-the-worlds-smallest-national-park>

<https://explorersweb.com/man-who-bought-tropical-island/>



# جيم سيبولد

"وأكبر محتوى رقمي" مجاني  
حول تاريخ الخرائط حول العالم

عندما يكون الشغف والهواية مصحوبان بدأب وإصرار ورغبة في التعمق فإنهما يقربانك من مصاف الأكاديميين المتخصصين، أما إذا صاحب ذلك تواضع ومعرفة حقيقية للذات دون تضخيم لها فهذا دليل على أنك أمام نفس سوية.

وهذان الأمران ينطبقان على هاو الخرائط التاريخية الأمريكي العجوز جيم سيبولد Jim Siebold الذي وصف نفسه على حسابه في موقع أكاديميا بقوله "مؤرخ خرائطي هاو". حاولت على مدار الـ 45 عاما الماضية تجميع المعلومات المتعلقة بخرائطي القديمة المفضلة، مما أدى إلى أكثر من 9000 صفحة وأكثر من 400 دراسة وموقع الويب الخاص بي منذ عام 1994". وفي مراسلة خاصة معه عرّف نفسه مرة أخرى بنبرة محترمة من معرفة الذات "يجب أن أشير إلى أنني لست باحثا معترفا به يتمتع بأوراق اعتماد مثيرة للإعجاب في مجال رسم الخرائط. أنا ببساطة هاوٍ وقت بتجميع معلومات عن خرائطي المفضلة".

أما إذا ذهبت تبحث عنه على شبكة الإنترنت، فلن تجد ما يشبع نهمك المعرفي، فلا تقارير صحفية، ولا مقابلات تلفزيونية معه، ويبدو أنه من النوع الذي يعزف عن الظهور. لكنك ستجد بعض المعلومات على حسابه على لينكد إن، تعلم منها أنه قد حصل على بكالوريوس العلوم من جامعة نورث تكساس في الفترة ما بين عامي 1967 و1969، وأنه حصل على درجة الماجستير في القيادة والإدارة التعليمية من جامعة جورج واشنطن ما بين عامي 1979 و1980، وأنه قد تولى عدة مناصب في إدارة البرامج والعمليات وتطوير الأعمال في عدد من الشركات الأمريكية، وأنه قد بدأ تأسيس موقعه الخاص الذي يتيح فيه هذا الكنز الخرائطي، مصحوبا بالمعلومات حولها.

يقول جيم في تعريفه إن الموقع - وهو نسخة منقحة وموسعة لموقعه الإلكتروني الأصلي الذي تم إنشاؤه عام 1994 - يحتوي على دراسات لخرائط 4 فترات تاريخية، الأولى: خرائط مختارة من العصور القديمة (6200 قبل الميلاد إلى 400 بعد الميلاد)، والثانية،

فترة العصور الوسطى المبكرة (400 م إلى 1300 م)؛ والثالثة، أواخر العصور الوسطى (1300 إلى 1500)؛ والرابعة عصر النهضة (1500 إلى 1800). كما يحتوي الموقع على دراسات إضافية أيضا تتناول موضوعات معينة خرائطيا، مثل المدن، والمخلوقات الحقيقية والمتخيلة، والسفن، والشعوب الأصلية، وغيرها من الموضوعات.

ويضيف في وصف الموقع أن كل رسم توضيحي لخريطة/ كرة أرضية يحتوي على دراسة مقابلة مكتوبة عنها توفر وصفا تفصيليا ومعلومات أساسية ذات صلة تتضمن، كحد أدنى، ما يلي: العنوان، المؤلف/ رسام الخرائط، الحجم، التاريخ، الموقع (أو المواقع)، المراجع، مصدر الرسم التوضيحي، والإسقاط/الشكل، والاتجاه، والنوع، والأسلوب، وأكبر قدر ممكن من المواد الوصفية التي يمكنني استخلاصها من الخريطة نفسها و/أو من الباحثين السابقين.

ويوفر (الموقع) وسيلة للوصول لقواعد بيانات مثل هذه وللمجموعات الخرائط الموجودة في المكتبات والجامعات الكبرى في العالم لمشاركتها مع أي محب للخرائط في أي مكان لديه إمكانية الوصول إلى جهاز كمبيوتر شخصي واتصال بالإنترنت.

ويعود جيم للتأكيد في تعريف الموقع على أن عملية جمع هذه المعلومات وتولييفها وتنسيقها في هذه الدراسات لا تعني بأي حال من الأحوال أي تأليف حقيقي من جهته، وإنما كان هذا مسعى شخصي بحث لتجميع وتحرير نوع المعلومات المتعلقة بمجموعة معينة من الخرائط التي كان مهتما بها، من المصادر التي كان من الممكن الوصول إليها، والتي يحرص على ذكرها، وذكر غيرها من المصادر في كل موضوع أو حقبة زمنية.

وقد قام جيم بنشر جميع هذه الدراسات في خمسة مجلدات (14 كتابا)، والتي تتكون من إجمالي 9573 صفحة ومحرك أقراص USB مصاحب، مع "إضافات" مثل: قاعدة بيانات FileMaker Pro ذات الصلة (بتنسيق pdf) التي تحتوي على جميع صور الفترة

والبيانات ذات الصلة، بالإضافة إلى المقالات ذات الصلة وأحدث نسخة إلكترونية من كل دراسة في كل مجلد.

وكما يقول جيم على موقعه فإنه يسعى لمواصلة جهوده لاستكشاف كنوز خرائط إضافية ويأمل أن تفيد هذه الجهود بعض الباحثين المستقبليين، تاركا وراءه أداة بحثية يأمل أن تكون مفيدة.

يأسرني هذا النوع من البشر القادر على الاحتفاظ بشغفه والبلوغ فيه إلى الغاية في العمق، والاحتفاظ في نفس الوقت بالتواضع، والتوازي عن الأضواء، وهو عكس ما نراه اليوم شائعا من البحث عن الألقاب والأضواء من أناس لم يستكملوا العلم بعد، والله في خلقه شئون.

لمصدر المعلومات والمزيد منها طالع موقع جيم سيبولد "خرائطي القديمة":

<https://www.myoldmaps.com/>

وطالع صفحته على لينكد إن:

<https://www.linkedin.com/in/jim-siebold-5020644a/>

وصفحته على أكاديميا:

<https://independent.academia.edu/JimSiebold>



يقال عنه أنه ربما يكون أعلم أهل الأرض بالرخويات والأصداف، الأحفورية منها والحية، وأن لديه مجموعة عالمية منها، ووصف، فضلا عن ذلك بأنه "عالم طبيعة ميداني مقدام ومستكشف لسواحل كل قارة تقريبا"٠٠

نحن نتكلم هنا عن جيرت فيرماي Geerat J. Vermiej أستاذ علم البيئة البحرية وعلم الأحياء القديمة بجامعة كاليفورنيا، ديفيس University of California, Davis، المولود بهولندا في الثامن والعشرين من سبتمبر من عام 1946، والذي أصيب بالعمى وهو ابن 3 سنوات، نتيجة لإصابته بمرض المياه الزرقاء أو الجلوكوما، ثم انتقل مع أسرته إلى نيوجيرسي بالولايات المتحدة حيث أنهى المدرسة العليا بها عام 1965، ثم تخرج من جامعة برينستون عام 1968، ثم حصل على الدكتوراه في الجيولوجيا والبيولوجيا من جامعة ييل عام 1971.

بدأت رحلة شغف جيرت بالتقاع وجمعها منذ أن بلغ العاشرة وهو لا زال بهولندا، وهو الشغف الذي انتقل معه إلى رحلته العلمية والأكاديمية في الولايات المتحدة فنشر حوالي 100 ورقة علمية، و4 كتب، تدور في معظمها حول علم الأحياء التطوري خاصة فيما يتعلق بالرخويات molluscs والأصداف shells.

يقول جيرت في صفحة "أندريستانج إيفوليوشن Understanding Evolution" على موقع جامعة بيركلي: إن معلما لهم في المدرسة في نيوجيرسي هو من عمق لديه الشغف بها: حيث أحضر معلم مدرستي أصدافا من فلوريدا كانت أكثر نفاثة ونحنا بشكل متساوٍ أكثر من الأصداف المعتدلة التي جمعتها من هولندا ومن شاطئ نيوجيرسي.

كان كل شيء في تلك الأصداف المجلوبة من فلوريدا مبهرا بالنسبة إليه، الرتبة والحجم، والشكل الخزوني البديع، والملبس الخارجي المضلع، والملبس الداخلي المختلف وأنها كانت

تلي كل المتطلبات الجمالية، وأن بينها اختلافات لا حصر لها، وأنها ذات تنوع وانتظام وتباين نحتي.

وقد كان كل ذلك كافيا لإثارة الأسئلة في ذهن الصبي الشغوف حول لماذا تتميز بعض الأصداف بهذا الثراء والبعض الآخر تكون أصدافا عادية؟ وربما من لحظة التساؤل هذا تعمق الشغف ولم يترك عقل وقلب جيرات.

اشتهر جيرات أكاديميا بعمله في التأريخ لما وصفه بأنه سباق التسليح بين الرخويات المنقرضة منذ زمن طويل ومفترساتها. ومن خلال فحص وتحليل الحفريات بحث عن أدلة على التنافس بين الأنواع ومفترساتها، وقد دفع فيرماني مجال علم الأحياء القديمة للاعتراف بالتأثيرات العميقة التي تمتلكها المخلوقات على تشكيل المصائر التطورية لبعضها البعض.

شملت كتب جيرات: التطور والتعصيد: تاريخ بيئي للحياة Evolution and Escalation: A Natural History of Life، وتاريخ طبيعي للوقوع (الأصداف) An Ecological History of Life، وسيرة ذاتية حديثة بعنوان الأيدي المتميزة: حياة علمية History of Shells، وقد شغل منصب محرر إيفوليوشن Privileged Hands: A Scientific Life. وقد شغل منصب محرر إيفوليوشن Evolution الدورية الأولى في هذا المجال.

وقد حصل جيرات خلال مسيرته العلمية على زمالة ماك آرثر MacArthur، وعلى منحة جينياس "genius" في عام 1992، وفي عام 2000 حصل على وسام دانييل جيروود إليوت Daniel Giraud Elliot من الأكاديمية الوطنية (الأمريكية) للعلوم.

وفي إجابته على سؤال عن كيفية اختياره لتخصصه يقول جيرات لموقع "شيب أوف لايف Shape of Life" "كنت أعرف ما أريد أن أكون عندما كنت في العاشرة من عمري. أردت أن أكون عالم محار conchologist، ثم عالم أحياء، أو على أي حال أن

أكون عالما يقوم بالبحث ويذهب إلى جميع أنواع الأماكن المثيرة للاهتمام، لم أتردد أبدا عن هذا الطريق، ولحسن الحظ، اختارت مهنتي السماح لي بممارستها كأستاذ".

وكما أورد موقع إنسيكلوبيديا دوت كوم Encyclopedia.com، فقد وصف بريان بورو Brian Buhrow سيرة جيرات التي دونها في كتابه آنف الذكر، فيما كتبه على موقع الاتحاد الوطني للمكفوفين على شبكة الإنترنت أنها سيرة حية وممتعة، مشيرا إلى أن فيرماي يشرح نقاطه "بكل بساطة ووضوح"، وأنها تعطي نظرة رائعة لذهن عالم رائد في مجاله.

وذكر بورو أن ما يجعل هذه الرحلة ممتعة، ليس أن جيرات كان قادرا على اقتحام مجال علمي جديد في منتصف الستينيات، بل لأن العمى لم يكن، ولم يكن ينبغي أن يكون هو الشغل الشاغل له".

واختتم بورو بقوله "أوصي بهذا الكتاب لأي شخص كفيف يريد أن يعرف ما إذا كان بإمكانه أن ينجح في بيئة تنافسية سواء كانت قانونا أو علما أو أدبا. كما أوصي به لأي شخص مبصر يشك فيما إذا كان بإمكان المكفوفين تحقيق المساواة في عالم مبصر أم لا".

في الختام، ينصح جيرات في حديثه لموقع "شيب أوف لايف" الطلاب الذين يرغبون في دراسة أي من فروع العلوم "إذا كان الطلاب يريدون مهنة موجهة نحو البحث في العلوم، فإنهم بحاجة إلى ثلاث صفات مترابطة بقوة: فضول لا حدود له حول العالم، وشغف للقيام بالعمل الجاد الضروري، والاستعداد للعمل في ظل ظروف مناوئة وبأجر ضئيل". ويلخص الأمر قائلا "عليك أن تحب هذا النوع من العمل".

لمصدر المعلومات والمزيد منها طالع المصادر التالية:

موسوعة الويكيبيديا:

[https://en.wikipedia.org/wiki/Geerat\\_J.\\_Vermeij](https://en.wikipedia.org/wiki/Geerat_J._Vermeij)

موقع إنسيكلوبيديا دوت كوم:

<https://www.encyclopedia.com/arts/educational-magazines/vermeij-geerat-j-1946-gary-vermeij>

موقع أندريستاينج إيفوليوشن:

[https://evolution.berkeley.edu/evolibrary/article/0\\_0\\_0/vermeij\\_01](https://evolution.berkeley.edu/evolibrary/article/0_0_0/vermeij_01)

وشاهد وطالع على موقع بي بي إس PBS

<https://www.pbs.org/video/geerat-vermeij-curiosity-project-kekhsk/>

وموقع شيب أوف لايف:

<https://www.shapeoflife.org/scientist/geerat-vermeij-evolutionary-biologist>

وطالع صفحة كتاب سيرته الذاتية على موقع أمازون:

[https://www.amazon.co.uk/Privileged-Hands-Remarkable-Scientific-Life/dp/0716729547/ref=tmm\\_hrd\\_swatch\\_0?\\_encoding=UTF8&qid=&sr=](https://www.amazon.co.uk/Privileged-Hands-Remarkable-Scientific-Life/dp/0716729547/ref=tmm_hrd_swatch_0?_encoding=UTF8&qid=&sr=)

# تمثيل جراندين

"كيف اقتحمت عقبة "التوحد"  
وتخصصت في سلوك الحيوان؟

يقول موقع منظمة الصحة العالمية في منشور له بتاريخ 15 نوفمبر 2023 إن التوحد - الذي يشار إليه أيضا باسم اضطراب طيف التوحد - هو مجموعة متنوعة من الحالات المتعلقة بتطور الدماغ. وإن اضطرابات طيف التوحد (ASD) تتميز بدرجة معينة من الصعوبة في التفاعل الاجتماعي والتواصل. مع أنماط غير نمطية من الأنشطة والسلوكيات، مثل صعوبة الانتقال من نشاط إلى آخر، والتركيز على التفاصيل وردود الفعل غير العادية للأحاسيس. وبحسب الموقع فإن هناك طفل من كل 100 طفل في العالم يعانون من التوحد.

وبحسب الموقع فقد يتم اكتشاف الخصائص في مرحلة الطفولة المبكرة، ولكن غالبا لا يتم تشخيص مرض التوحد إلا بعد وقت طويل. وتختلف قدرات واحتياجات الأشخاص المصابين بالتوحد ويمكن أن تتطور بمرور الوقت. ففي حين أن بعض الأشخاص المصابين بالتوحد يمكنهم العيش بشكل مستقل، فإن آخرين يعانون من إعاقات شديدة ويحتاجون إلى رعاية ودعم مدى الحياة. ويمكن للتدخلات النفسية والاجتماعية القائمة على الأدلة تحسين مهارات التواصل والمهارات الاجتماعية، مع تأثير إيجابي على رفاهية ونوعية حياة الأشخاص المصابين بالتوحد ومقدمي الرعاية لهم.

أسوق هذه المقدمات للحديث عن ماري تمبل جراندين Mary Temple Grandin إحدى العالمات الأمريكيات التي اشتهرت باقتحام العقبات وتحقيق الإنجازات في مضمارين، أولهما مجال رفع الوعي بمرض التوحد باعتبارها أحد الذين عانوا منه، وثانيهما مجال تخصصها العلمي في سلوكيات الحيوانات وبشكل خاص التعامل الأخلاقي مع الماشية من تربيتها إلى ذبحها.

ولدت تمبل جراندين عام 1947 في بوسطن، ماساتشوستس بالولايات المتحدة لأسرة شديدة الثراء. انفصل والدا جراندين وهي في سن الخامسة عشرة. عانت تمبل من

صعوبات النطق حتى سن الثالثة والنصف، لكنها كانت محظوظة بالحصول على علاج مبكر لهذه العلة.

لم يتم تشخيص إصابة جراندين رسمياً بالتوحد حتى سن البلوغ. عندما كانت تبلغ من العمر عامين، كان التشخيص الرسمي الوحيد الذي أُعطي لجراندين هو "تلف الدماغ"، وهو اكتشاف تم تأكيده لاحقاً من خلال التصوير الدماغى في جامعة يوتا عندما بلغت 64 عاماً في عام 2010. وبينما كانت جراندين لا تزال في منتصف سن المراهقة، صادفت والدتها قائمة مرجعية تشخيصية لمرض التوحد. وبعد مراجعة القائمة المرجعية، افترضت والدتها أن أعراض ابنتها يمكن تفسيرها بشكل أفضل من خلال الاضطراب، وتم تحديدها لاحقاً على أنها مصابة بالتوحد، لكن التشخيص الرسمي تم تأكيده فقط عندما كانت جراندين في الأربعينيات من عمرها.

تعتبر جراندين نفسها محظوظة لأنها حصلت على مرشدين داعمين منذ المدرسة الابتدائية فصاعداً. مع ذلك، تقول إن المدرسة الإعدادية والثانوية كانت أكثر الأوقات غير السارة في حياتها. كانت النصيحة الطبية في ذلك الوقت لتشخيص مرض التوحد هي التوصية بإيداع المصاب به في مؤسسة، وهو الإجراء الذي تسبب في انقسام مرير في الرأي بين والديها. كان والدها حريصاً على اتباع هذه النصيحة بينما عارضت والدتها بشدة الفكرة لأنها من المحتمل أن تجعلها غير قادرة على رؤية ابنتها مرة أخرى.

في المدارس الإعدادية والثانوية التي تعلمت فيها، كانت شخصية غريبة الأطوار، ومن ثم فقد تعرضت للسخرية والتنمر والمضايقة من زميلاتها، حتى أنها طردت من إحدى تلك المدارس وهي في سنة الرابعة عشرة لأنها ألفت كتاباً على زميلة لها كانت قد سخرت منها، وعندما نقلتها أمها إلى مدرسة ريفية داخلية مخصصة للأطفال الذين يعانون من مشكلات سلوكية، وهناك كما تحكي في مذكراتها التقت بالشخصية التي كانت لها مفعول السحر في حياتها، وهو مدرس العلوم ويليام كارلوك، وهو المدرس الذي كان يعمل سابقاً في ناسا،

والذي أصبح مرشدها والذي ساعدها بشكل كبير في بناء ثقتها بنفسها، وشجع فيها اهتمامها بالعلوم، وغرس فيها الحلم بأن تصبح عالمة، ومن ثم خلق عندها الحافز على مواصلة الدراسة.

وبالفعل، وبعد تخرجها من المدرسة في عام 1966، ذهبت لدراسة علم النفس البشري من كلية فرانكلين بيرس عام 1970، ثم درست الماجستير في علم الحيوان من كلية ولاية أريزونا عام 1975، ثم على درجة الدكتوراه في نفس التخصص من جامعة إلينوي في إربانا عام 1989. واليوم تعد جراندن من العلماء البارزين والمستشهد بهم على نطاق واسع في مجال المعاملة الإنسانية للماشية، كما حازت شهرة عالمية كمتحدثة حول مرض التوحد أيضا، وفي هذا الصدد يقول ستيف سيلبرمان في كتابه، NeuroTribes، أن تمبل جراندن قد ساعدت في كسر سنوات من العار والوصم لأنها كانت واحدة من أوائل البالغين الذين كشفوا علنا عن إصابتهم بالتوحد.

وإضافة لأحاديثها فقد ألقت جراندن عدة كتب من واقع خبراتها وتأملاتها وقراءاتها ككريضة بـ"التوحد"، حيث صدر كتابها الأول عام 1986 وحمل عنوان "النشوء: موسومة بالتوحد Emergence: Labeled Autistic" والذي كتب عنه الدكتور أوليفر ستوك أنه كتاب غير مسبوق لأنه لم يكن هناك من قبل سرد داخلي للمصابين بالتوحد. بينما قال عالم النفس الأمريكي برنارد ريميلاند في مقدمته للكتاب "إن قدرة تمبل على نقل مشاعرها ومخاوفها العميقة للقارئ، إلى جانب قدرتها على شرح العمليات العقلية، ستمنح القارئ فكرة عن مرض التوحد لم يتمكن سوى عدد قليل جدا من تحقيقه".

أما كتابها التالي، "التفكير بالصور Thinking in Pictures"، فقد نُشر عام 1995، وقد كتب طبيب الأعصاب أوليفر ساكس في نهاية مقدمته أن الكتاب قدم "جسرا بين عالمنا وعالمها، يسمح لنا بإلقاء نظرة على نوع مختلف تماما من العقل".

في كتاباتها المبكرة، كانت جراندين تصف نفسها بأنها مصابة بالتوحد متعافية، لكنها تخلت عن هذا التوصيف في كتاباتها اللاحقة، وقد كتب ستيف سيلبرمان موضحاً أنه "أصبح من الواضح لها أنها لم تتعافى، ولكنها تعلمت بعد جهد كبير التكيف مع الأعراف الاجتماعية للأشخاص من حولها"، وقد كان سيلبرمان هو أول من دعا جراندين للحديث في المؤتمر السنوي للجمعية الأمريكية للتوحد (ASA).

وبناءً على تجربتها الشخصية، دعت جراندين إلى التدخل المبكر لمعالجة مرض التوحد وثلّمت دور المعلمين الداعمين، الذين يمكنهم توجيه اهتمامات الطفل المصاب بالتوحد في اتجاهات مثمرة.

وتعزو جراندين نجاحها كمصممة إنسانية لمنشآت تربية وذبح الماشية إلى قدرتها على تذكر التفاصيل، وهي سمة من سمات ذاكرتها البصرية. وتقارن ذاكرتها بالأفلام الكاملة الموجودة في رأسها، والتي يمكن إعادة تشغيلها حسب الرغبة، مما يسمح لها بملاحظة التفاصيل الصغيرة.

في عام 1980 نشرت جراندين أول مقالتين علميتين لها عن سلوك الأبقار، وكانت من أوائل العلماء الذين ذكروا أن الحيوانات حساسة للمشتتات البصرية في التعامل مع المرافق مثل الظلال والسلاسل المتدلية وغيرها من التفاصيل البيئية التي لا يلاحظها معظم الناس. وفي عام 1993، قامت بتحرير الطبعة الأولى من كتابها "التعامل مع الثروة الحيوانية ونقلها Livestock Handling and Transport"، وخلال حياتها الأكاديمية طورت جراندين أفكارها وقدمت أساليب عملية جديدة تحقق رفاهية الماشية سواء في منشآت التربية أو الذبح، ونشرت نتائج عملها وفريقها البحثي في جامعة ولاية كولورادو في أكثر من 60 ورقة بحثية نشرت في الدوريات العلمية المتخصصة.

كان لتجارب جراندين المباشرة مع القلق الناتج عن الشعور بالتهديد من كل شيء في محيطها، والرفض والخوف، الفضل في تحفيز عملها العلمي والعملية من أجل التعامل

الإنساني مع الماشية. وقد علمتها رؤيتها الثاقبة لعقول الماشية أن تقدر التغييرات في التفاصيل التي تكون الحيوانات حساسة لها بشكل خاص وأن تستخدم مهاراتها في التصور لتصميم معدات مدروسة وإنسانية للتعامل مع الحيوانات.

نالت جراندين طوال حياتها المديدة العديد من التكريمات والجوائز سواء عن أعمالها في التوعية بالتوحد أو رفاهية الحيوان، كما تم استضافتها وتناولتها العديد من الأفلام الوثائقية.

وإذا كان لنا أن ننظر إلى مفاصل محورية مكنت "تمبل جراندين" الطفلة من تجاوز المحن والصعوبات التي مرت بها في حياتها فإننا لا بد أن نتوقف على دور الأم في حرصها على توفير البيئة التعليمية المناسبة لها، وعلى دور معلم العلوم في المرحلة الثانوية الذي استطاع أن ينتشلها من الوهدة النفسية التي أوقعها فيها التمر والسخرية والإيذاء اللفظي الذي تعرضت له، والذي استطاع أن يأخذ بيدها وأن يوجهها إلى حب العلوم.

وكما تشير منظمة الصحة العالمية فإن رعاية الأشخاص المصابين بالتوحد يجب أن تكون مصحوبة بإجراءات على المستوى المجتمعي الصغير والكبير لزيادة إمكانية الوصول والشمول والدعم. وهي كلها أمور كانت تمبل محظوظة أن وجدتها بعد فقدان سواء من المجتمع المحيط بها القريب منها، أو في المجتمع الواسع الذي رحب بمحاضراتها واحتفى بكتبها وأبحاثها والذي كرمها على إنجازاتها في المجالين معاً.

لمصدر المعلومات والمزيد منها طالع موقع الدكتورة تمبل جراندين:

<https://www.templegrandin.com/templehome.html>

وموقع منظمة الصحة العالمية:

<https://www.who.int/news-room/fact-sheets/detail/autism-spectrum-disorders>

وموقع الويكيبيديا:

[https://en.wikipedia.org/wiki/Temple\\_Grandin](https://en.wikipedia.org/wiki/Temple_Grandin)

وشاهد فيلم أنيميشن قصير عنها:

[https://www.youtube.com/watch?v=Ifsh6sojAvg&ab\\_channel=BlankonBlank](https://www.youtube.com/watch?v=Ifsh6sojAvg&ab_channel=BlankonBlank)

وطالع القائمة الكاملة لكتب تمبل جراندين

<https://www.templegrandin.com/templegrandinbooks.html>



# هايكه فيبير

واستكشاف لغة وثقافة التطريز  
السوري والفلسطيني عبر العيون الزرقاء

هل شغف الاستكشاف، وشغف توثيقه خصيصة من خصائص أهل الغرب، عندما يكتشفون جانبا من سحر الشرق؟ أم أن الأمر أبسط من هذا التعميم، وأن الأمر لا يعدو أن يكون اختلافات شخصية بين سمات البعض منهم، مقابل الكثير منا، خاصة حينما يتعلق الأمر بتوثيق ما تم استكشافه، وعدم تخزينه في ذاكرة الدماغ فقط عملا بالمثل المصري: العلم في الراس مش في الكراس؟

هذه الأسئلة تشتعل في رأي دائما كلما صدفت حالة مبهره تفتح الشبهة من حالات الاستكشاف الموثق قام به أحدهم في بلادنا، وكان حريا بنا أن نفعل ونحن أبناء تلك البلاد، وتعجب أنك لا تجد إلا النادر من حالات أبناء بلادنا وأمتنا وهو يقدم لنا قراءة ثقافية موثقة عن بلد آخر انتقل وانغمس فيه إلى أذنيه.

ولكن فلندع جانبا تلك الهواجس، ولنحكي الحكاية التي تمتد فصولها على مدى أكثر من 4 عقود، بطلتها امرأة ألمانية تدعى هايكه فيبر Heike Weber بدأت قصتها مع انخراطها في الحركة الطلابية منذ عام 1967، عندما بدأت في دراسة الموسيقى والأدب المقارن في برلين الغربية، وهناك التقت بالخرج السينمائي الفلسطيني جبريل عوض، أحد كوادر الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وتزوجا لاحقا.

وفي عام 1982 سافروا إلى بيروت وقاموا بتصوير فيلم عما شهداه في الحرب الأهلية اللبنانية، لكن في النهاية غادروا إلى مدينة طرطوس السورية، على متن سفينة كانت تقل يساريين تابعين للمقاومة الفلسطينية.

وفي دمشق، لم يكن من السهل على الشابة الألمانية أن تبدأ من جديد وتتعلم اللغة العربية، لكنها أرادت التعرف على الناس والتحدث معهم، ومن ثم قررت أن تستثمر شغفها في الحياة والتطريز وتصميم الملابس، مستذكرة ما تعلته من جدتها، حيث كانت قد بدأت

تعلم الحرف اليدوية في سن الرابعة في منزل عائلتها في ألمانيا، حيث كان على جيلها والأجيال السابقة أن يتعلموا هذه الأشياء.

أعجبت هايكه بكيفية خياطة الفساتين التقليدية وتعلمتها بمساعدة حماها الفلسطينية في مخيم اليرموك بدمشق، كما اكتشفت المعركة التراثية التي يخوضها الفلسطينيون ضد محاولات الاحتلال الإسرائيلي سرقة التراث العربي، حيث أبدع الفلسطينيون في الحفاظ على الهوية الفلسطينية من خلال الحفاظ على التطريز الفلسطيني، فهو اليوم يعكس الترابط بين الفلسطينيين في الداخل وفي الشتات، حيث أصبح اللباس الفلسطيني رمزا للقضية العادلة.

وعلى مدى السنوات التالية، زارت فيبر معظم أنحاء سوريا وقضت أياماً وليالي تنقب في المعاني الأسطورية لكل نقش وتطريز ورسم، وأصبحت تستطيع بنظرة واحدة التمييز بين قطعة نسجتها يد امرأة من قرية جنوب حلب، وأخرى نسجتها امرأة من القدس أو غزة. وفي أواخر الثمانينات، أسست فيبر علامتها التجارية، وعملت فيها على تصميم الملابس العصرية، بروح سورية، بالتعاون مع عمال سوريين وفلسطينيين من الريف والمدينة. فعملت على تعليمهم ومن ثم توظيفهم في الإنتاج. واختارت لعلامتها التجارية اسم "عناة Anat" لأن عناة تشير إلى الآلهة التي تمنح الحياة في الأساطير القديمة. ومن خلال هذا أرادت أن تقول إن الموت ليس النهاية، وبعد كل موت هناك بداية جديدة.

وقد أصبحت ورشة هايكه فيبر مزارا للعديد من المسؤولين والمشاهير الأجانب، منهم صوفيا ملكة إسبانيا، والملكة الأردنية نور، وزوجة الرئيس التركي أردوغان، وغيرهم. لكن الحرب في سوريا غيرت كل شيء، إذ فقدت ورشتها وفقدت الاتصال بمعظم النساء اللاتي كن يعملن معها، علماً أن عددن كان يزيد على ألف امرأة من مختلف القرى السورية والخيمات الفلسطينية في سوريا.

مؤخراً، وخلال عام 2023، جمعت فيبر أربعين عاماً من البحث والخبرة في مجال التطريز في كتاب نشرته باللغة الإنجليزية بعنوان "عناة وبطلها بعل: لغة أنماط التطريز في بلاد الشام". ودافعها في ذلك قناعتها أن "التطريز التراثي ليس مهماً عند العرب فقط، بل هو شأن إنساني عالمي" وتستعد فيبر لنشر كتابها هذا باللغة العربية، ليكون متاحاً لكل عربي يبحث عن أصول تراثه وقصصه.

يغطي الكتاب بحثاً في تطور الملابس في بلاد الشام والتحليل الاجتماعي لتراجع الممارسات الفولكلورية على مدى 150 عاماً الماضية. ويقارن الكتاب أنماط التطريز التقليدية في بلاد الشام مع الأنماط المبكرة للبشرية في نفس المنطقة، ويخلص إلى أن الأنماط الرمزية القديمة، التي تعبر عن فلسفة الحياة، ظلت قائمة في الممارسة الفولكلورية على مدى آلاف السنين.

الكتاب غني بالصور الفوتوغرافية والرسوم البيانية والرسومات التخطيطية لكل من التطريز والمصنوعات اليدوية، ويبدأ الكتاب بخريطة للمنطقة.

في المقدمة، تصف هايكه محاولاتها الأولى للتطريز "ما قت بطرزه كان يشبه إلى حد ما التطريز الفلسطيني، ولكن لا يمكن لمطرز متعلم أن يفك شفرته. ومن ثم تحاول هايكه من خلال هذا الكتاب تعليم أبجدية التطريز السوري والفلسطيني من خلال توضيح أصلها ومعناها الرمزي ومدى مرجعيتها للرموز والأنماط القديمة للمنطقة التي نشأت منها.

ينقسم الكتاب إلى عشرة فصول، ينقسم فصلان منها إلى أقسام فرعية يناقش كل منها رموزاً وتراثاً مختلفاً بمزيد من التفصيل. ويتم شرح كل قسم بأمثلة حقيقية من مجموعاتها الخاصة أو غيرها من المجموعات المحترمة، ويتم وضع كل نمط أو تصميم أو فكرة في سياق إقليمي وتاريخي وثقافي. ويختتم الكتاب بفهرس شامل ومعجم للمصطلحات العربية.

في المجمل فإن كتاب هايكه يغطي ما هو أبعد من مجرد فن التطريز، حيث أنه يتناول جوانب من الثقافة، ودور المجتمع الأمومي، ومكانة الرموز والأنماط في الفولكلور، ولغة وقواعد الغرزة التي قد تبدو غامضة.

الشاهد في هذه القصة يبرز من خلال سؤال: هل لو كان هذا الكتاب الذي يتناول نفس الموضوع - التطريز - قد صدر من تأليف وإعداد امرأة سورية أو فلسطينية هل كان سيحظى بنفس القدر من الاهتمام الذي حظي به العام الماضي في الصحافة والإعلام؟ وهل كان علينا أن نكتشف ونستكشف معاني تراثنا الخاص عبر عدسات العيون الزرقاء حتى يحظى بالتقدير، وحتى نعرف ونعترف بمكانته؟

لمصدر المعلومات والمزيد منها طالعا هذا الحوار مع هايكه فيبر:

<https://english.almayadeen.net/articles/features/a-german-woman-guarding-the-heritage-of-palestine-and-syria>

وطالع هذه المراجعة الموجزة لكتابتها:

<https://thezay.org/book-review-anat-and-her-hero-baal/>

وطالع هذا المنشور الذي كتبه مروة أبو الذهب على صفحة "من سوريا" على الفيسبوك:

[https://www.facebook.com/groups/607242483837121/?multi\\_permaLinks=1050578956170136&hoisted\\_section\\_header\\_type=recently\\_seen&locale=ar\\_AR](https://www.facebook.com/groups/607242483837121/?multi_permaLinks=1050578956170136&hoisted_section_header_type=recently_seen&locale=ar_AR)



**روبرت إلسي**  
الباحث الكندي الذي تخصص  
في التاريخ والثقافة والمجتمع الألباني

خلال زيارتي الأخيرة إلى ألبانيا (من 26 سبتمبر إلى 3 أكتوبر 2023) حرصت على سؤال مرافقي في هذه الزيارة الصديق هاني صلاح عما إذا كانت هناك مكتبات لبيع الكتب وهل بها كتب بلغات أخرى غير الألبانية، وقد أشار الصديق إلى وجود مكتبة في قصر الثقافة الذي يقع مباشرة أمام مسجد أدهم بك.

وخلال زيارة المكتبة لفت انتباهي كتاب عن تاريخ الطائفة البكاشية في ألبانيا وثقافتها باللغة الإنجليزية، وبسرعة ذهبت عيني لمطالعة اسم الكاتب لأعرف إن كان مؤلفه ألبانيا أم غير ذلك. وقد وجدت أن اسم الكاتب هو "روبرت إلسي Robert Elsie" (1950 - 2017)، ولأنني كنت قد قررت التأيي في شراء الكتاب خشية ألا يكون وافيا بما أحتاج إلى معرفته من معلومات، على أن أبحث عن أمازون حول بدائل وأشتري الأنسب منها.

وخلال تصفحي لموقع أمازون للكتب، أردت أن أعرف أكثر عن كاتب الكتاب الذي هممت بشرائه، ففوجئت بأن له العديد من الكتب حول التاريخ والثقافة والمجتمع الألباني، وهو الأمر الذي جعلني أبحث عنه وأعرف أكثر عنه لأكتشف أنه قد خصص الـ 39 عاما الأخيرة من حياته ليتعمق في دراسة الألبانية، ويصبح كاتبا ومترجما متخصصا في الدراسات الألبانية.

استوقفتني تلك المعلومة، حيث لا أعرف مثلا مسلما ولا عربيا وحيدا يحمل هذه المهمة على كتفيه، الدراسات الألبانية، باستثناء الدكتور محمد موفاكو، واهتمامه منطقي كونه ألباني الأصل (اسمه عربيا محمد موفق الأرنأووط).

أما روبرت إلسي فهو ليس بعربي ولا مسلم، وإنما ألماني الأصل ولد في فانكوفر بكندا، حيث حصل عام 1972 على دبلومة في العصور واللغات الكلاسيكية القديمة، ليوصل دراساته العليا في كل من ألمانيا وفرنسا وأيرلندا حتى يحصل على الدكتوراه في الدراسات

الكلية Celtic Studies عام 1978، والكلتية هي أصل عدد من اللغات الأوروبية منها الأيرلندية والويلزية وغيرها.

بدأت زيارات إلسي لألبانيا عام 1978، حيث كان ضمن مجموعة من الطلاب والأساتذة القادمين من جامعة بون. ثم التحق بسيمينار دولي حول اللغة والأدب والثقافة الألبانية في بريشتينا (عاصمة كوسوفو الآن)، وفي الفترة ما بين عام 1982 إلى عام 1987، عمل في وزارة الخارجية الألمانية في بون، ومن عام 2002 إلى عام 2013 في المحكمة الجنائية الدولية ليوغوسلافيا السابقة في لاهاي كترجم فوري للعديد من القضايا البارزة بما في ذلك محاكمة سلوبودان ميلوسيفيتش.

رحلات إلسي العلمية واهتمامه باللهجات الألبانية جعلته على اتصال بالألبان من ألبانيا وكوسوفو واليونان والجبل الأسود وإيطاليا وكرواتيا وبلغاريا وأوكرانيا ومقدونيا وتركيا وقام بعمل عشرات التسجيلات للغة الألبانية.

وبصفته مترجماً، قدم روبرت إلسي للقارئ "مجموعة مختارة من الأغاني من أشهر دورة من الشعر الملحمي الألباني". كما قام إلسي خلال حياته بتأليف العديد من الأعمال الدراسية ولم يتبق لديه عمل كبير غير منشور لإكمال قبل وفاته.

في بداية مسيرته العلمية قدم إلسي العديد من المؤلفات والترجمات إلى اللغتين الإنجليزية والألمانية حول ومن الأدب الألباني، حيث قدم قاموس الأدب الألباني عام 1986، وتاريخ الأدب الألباني (مجلدين)، وترجم أعمالاً أدبية ألبانية (شعر وقصص)، وكتب تراجم لشعراء ألبان، وتم تجميع نقده للأدب الألباني في مجلد دراسات في الأدب والثقافة الألبانية الحديثة.

كما كتب عن الوضع السياسي المتفجر في كوسوفا عام 1997: كوسوفا في قلب برميل البارود، ثم "جمع الغيوم: جذور التطهير العرقي في كوسوفا ومقدونيا، وثائق في أوائل القرن العشرين" عام 2002.

وفي السنوات التالية تحول اهتمامه إلى الثقافة الشعبية والتاريخ، والأنثروبولوجيا فقدم قاموس الدين والأساطير والثقافة الشعبية الألبانية عام 2001، كما قام بترجمة القانون العرقي الألباني، وقدم لدراسة عالم أنثروبولوجيا نرويجي عن كوسوفا، وأعد دراسة عن تغير نظام الأسرة في كوسوفا عام 2003، كما قدم دراسة قديمة أعدت عن حياة الفلاحين الألبان. كما حرر وترجم الأجزاء الألبانية من كتاب سياحتنامة لأوليا جلبي، كما قدم مخطوطة حول التاريخ الألباني كتبها كاهن فرنسي في القرن التاسع عشر، كما قدم مخطوطة لباحث مجري عن رحلاته في البلقان، كما نشر يوميات الشاعر والرسام البريطاني إدوارد لير، ونشر مجموعة من النصوص التاريخية المبكرة عن ألبانيا.

ونظرا لقلة معرفة العالم بألبانيا وكوسوفا، فقد نشر القاموس التاريخي لألبانيا، ثم القاموس التاريخي لكوسوفا، عام 2004، كما عاد لدراسة الأدب وقدم تاريخ الأدب الألباني عام 2005، كما قدم مختارات من الملاحم الشفهية الألبانية الشمالية، كما قدم ترجمات ثرية لكتاب الألبانية الشماليين، فضلا عن أعمال أدبية أخرى في مجالات أدبية عديدة. فضلا عن ذلك فتنه التصوير الفوتوغرافي الألباني المبكر وقدم عنه ألبومين. أما كتابه عن البكاشية الألبانية، والذي كان سبب التفاتي إليه، فهو آخر ما كتب، وقد نشر بعد وفاته في عام 2017.

هذه فقط إطلالة سريعة على بعض ما أنجزه هذا الباحث الذي عشق الألبان والألبانية أدبا وثقافة وتاريخا وامتدت أعماله لتتسع لطيف واسع مما يمكن وصفه بالدراسات الأنثروبولوجية المتنوعة والمثيرة حول ألبانيا والألبان، وهو ما لم يفعله بهذا الشمول والاتساع - حسب علمي المحدود - عربي ولا مسلم، وهو أمر يدعو للتأمل.

ومن ثم لم يكن غريباً أن يحصل على وسام الامتنان من ألبانيا، في 15 مايو 2013، والذي قلده إياه رئيس ألبانيا الأسبق بويار نيشاني، وذلك لإسهاماته كباحث لأكثر من 35 عاماً في التركيز على "ثقافة ولغة وأدب وتاريخ الألبان" وتعزيزها عالمياً إلى جانب "الصورة الإيجابية لألبانيا في العالم".

لمصدر المعلومات والمزيد منها طالعوا الويكيبيديا:

[https://en.wikipedia.org/wiki/Robert\\_Elsie](https://en.wikipedia.org/wiki/Robert_Elsie)

وطالعوا موقع روبرت إلسي والذي يضم الكثير من كتبه وكتباته ومقابلاته على هيئة بي دي إف:

<http://www.elsie.de/index.htm>



تناول تجربته فيلم وثائقي أنتجته شبكة ديسكفري العالمية عام 2018، كما تناولت السينما الهندية عام 2019 سيرته، ومعاناته وإنجازاته في فيلم حمل اسم مبادرته التي جلبت له الشهرة "الفائقون الثلاثون Super 30". إنه معلم الرياضيات الهندي أناند كومار Anand Kumar البالغ من العمر 48 عاما، والحائز على جائزة التعليم العالمية لعام 2018، ضمن العديد من الجوائز والتكريمات المحلية والعالمية.

ولد أناند في ولاية بهار الهندية عام 1973، وقد ذاعت شهرته بسبب مبادرته/ مدرسته سوبر 30 أو الفائقين الثلاثين Super 30، الذي بدأه عام 2002، والذي يدرّب من خلاله الطلاب المحرومين للاستعداد لامتحان IIT-JEE، وهو الامتحان الموحد للقبول في المعاهد الهندية للتكنولوجيا (IITs).

كان والد أناند يعمل كاتباً في دائرة البريد بالهند، ولضعف راتبه لم يكن قادراً على تحمل تكاليف التعليم الخاص لأطفاله، لذا فقد درس أناند في مدرسة حكومية هندية متوسطة، وهناك تطور اهتمامه العميق بالرياضيات، ثم درس في مدرسة باتنا الثانوية في باتنا بولاية بهار. وخلال تخرجه، استطاع كومار أن يقدم أوراقاً بحثية حول نظرية الأعداد، نُشرت في مجلة الطيف الرياضي البريطانية. وقد استطاع كومار الحصول على القبول للدراسة في جامعة كامبريدج، لكنه لم يتمكن من السفر بسبب وفاة والده ووضعته المالي.

وفي عام 1992، بدأ كومار بتدريس الرياضيات. حيث استأجر فصلاً دراسياً مقابل 500 روبية في الشهر، وبدأ مع هذه الفصول، مدرسة رامنوجان للرياضيات. وفي غضون عام، نما فصله من طالبين إلى ستة وثلاثين طالباً، وبعد ثلاث سنوات التحق به ما يقرب من 500 طالب. وفي أوائل عام 2000، عندما جاء إليه طالب فقير بحثاً عن تدريب لدخول امتحان المعاهد الهندية للتكنولوجيا، ولم يكن الطالب قادراً على تحمل رسوم القبول

السنية بسبب الفقر، دفع ذلك أناند للتفكير في بدء برنامجه للفائقين الثلاثين ( Super 30) في عام 2002، وهو البرنامج الذي جعل صيت أناند يطابق الآفاق.

فمنذ عام 2002، وتحديدًا في شهر مايو من كل عام، تجري مدرسة رامانوجان للرياضيات اختبارًا تنافسيًا لاختيار 30 طالبًا لبرنامج Super 30. حيث يتقدم العديد من الطلاب للاختبار، وفي النهاية يأخذ ثلاثين طالبًا ذكيًا من الأكثر فقرًا، ويقوم بتدريسهم، ويوفر لهم المواد الدراسية والسكن لمدة عام. حيث يعدهم لامتحان القبول المشترك للمعاهد الهندية للتكنولوجيا (IIT). وتقوم والدته، جاياتي ديفي، بالطبخ للطلاب، بينما يتولى شقيقه براناف كومار الإدارة. وخلال الفترة من 2003 إلى 2018، اجتاز 417 طالب من أصل 480 امتحانات القبول في المعاهد.

الفريد في المبادرة أن أناند لا يحصل على أي دعم مالي لـ Super 30 سواء أكان دعماً حكومياً أو خاصاً، ويدير المشروع من أرباح الرسوم الدراسية التي يكسبها من معهد رامانوجان. وبعد نجاح سوبر 30 وشعبيته المتزايدة، تلقى أناند عروضاً من القطاع الخاص - سواء من الشركات الوطنية أو الدولية - وكذلك من الحكومة للحصول على مساعدة مالية، لكنه رفض ذلك؛ حيث أراد الحفاظ على استمرارية مبادرة Super 30 من خلال جهوده الخاصة.

ورغم رفضه الدعم المادي، إلا أن مبادرة كومار المتميزة لم تمر دون اعتراف وتكريم وجوائز، ففي مارس 2009، بثت قناة ديسكفري برنامجاً مدته ساعة واحدة حول مبادرته Super 30، فضلاً عن الفيلم الوثائقي الذي أنتجته عام 2018، كما قامت الممثلة وملكة جمال اليابان السابقة نوريكا فوجيوارا بزيارة مقر مبادرته في مدينة باتنا لعمل فيلم وثائقي عن مبادرته، وتناولته برامج قناة بي بي سي.

وقد خصصت صحيفة النيويورك تايمز الأمريكية نصف صفحة حوله، وأدرجت مجلة تايم الأمريكية مبادرته Super 30 في قائمة الأفضل في آسيا Best of Asia 2010،

وأدرجت مجلة نيوزويك مبادرته/ مدرسته في قائمة المدارس الأربعة الأكثر ابتكاراً في العالم. كما تم اختيار أناند من قبل مجلة فوكس Focus الأوروبية كواحد من الشخصيات العالمية التي لديها القدرة على تشكيل المهويين بشكل استثنائي. واختارته مجلة مونوكل البريطانية ضمن قائمة 20 مدرسا رائداً في العالم.

وقد تحدث أناند عن مبادرته في العديد من المعاهد على المستوى العالمي بما في ذلك المعهد الهندي للإدارة أحمد آباد وعدد من المعاهد الهندية للتكنولوجيا، وفي جامعات كولومبيا البريطانية الكندية وطوكيو اليابانية وستانفورد الأمريكية. وتم ذكره أيضاً في كتاب ليمكا للأرقام القياسية Limca Book of Records (2009) لمساهمته في مساعدة الطلاب الفقراء على اجتياز اختبار IIT-JEE من خلال توفير تدريب مجاني لهم.

وحصل أناند على عدة جوائز هندية منها أعلى جائزة من حكومة ولاية بيهار وهي جائزة "مولانا عبد الكلام آزاد شيكشا بوراسكار"، في نوفمبر 2010. كما تم منحه جائزة رامانوجان للرياضيات المرموقة في المؤتمر الوطني الثامن للرياضيات في راجكوت، كما منح درجة الدكتوراه الفخرية في العلوم (DSc) من جامعة كارباغام، كويمباتور. كما حصل على "جائزة راشتريا بال كالين" من رئيس الهند رام ناث كوفيند.

أما على المستوى الدولي، فقد تم تكريمه في أبريل 2011 من قبل حكومة كولومبيا البريطانية، في كندا، كما تم تكريمه من قبل وزارة التعليم في ولاية ساكسونيا الألمانية. وفي 8 نوفمبر 2018، حصل على جائزة التعليم العالمية، كما تم تكريمه في الولايات المتحدة بـ "جائزة التميز التعليمي لعام 2019" من مؤسسة التميز في التعليم (FFE).

وختاماً فقد أخرج مخرج بوليوود فيكاس باهل فيلماً سينمائياً عن حياته بعنوان Super 30 عام 2019، قام فيه هريثيك روشان بدور أناند كومار، استناداً إلى حياته وأعماله. وحقق الفيلم نجاحاً في شبك التذاكر وأصبح مصدر إلهام كبير للعديد من الطلاب.

لا شك أننا نفتقر في بلادنا إلى مثل هذه النوعية من المبادرات الأهلية التي تتولى رعاية النابغين من الفقراء وتؤهلهم لمراحل تعليمية عالية في التخصصات الصعبة، والأساسية للنهوض والتقدم.

لمصدر المعلومات والمزيد منها طالع الويكيبيديا:

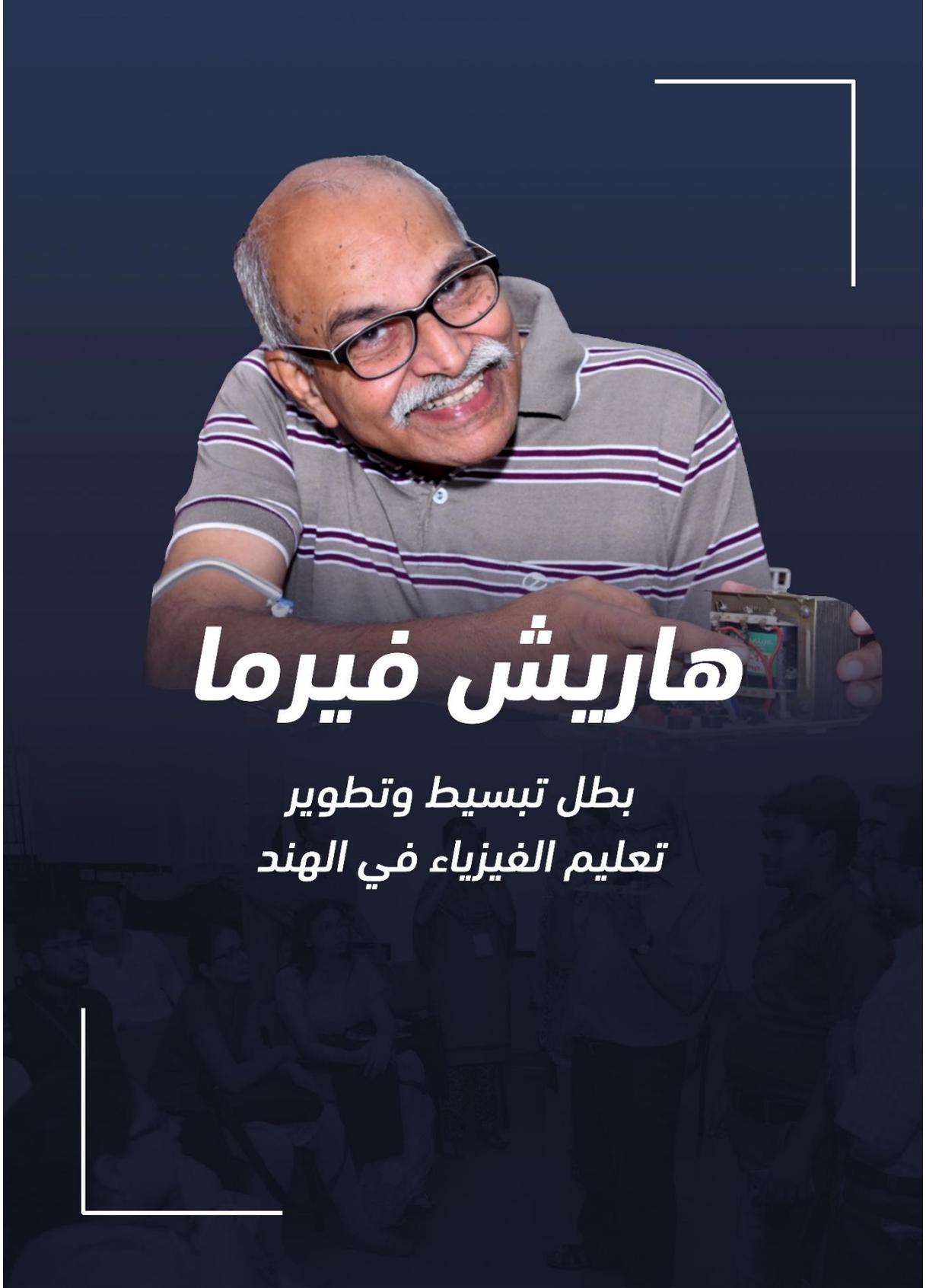
[https://en.wikipedia.org/wiki/Anand\\_Kumar](https://en.wikipedia.org/wiki/Anand_Kumar)

وطالع موقع المبادرة/ المدرسة

<http://www.super30.org/>

وشاهد موجز الفيلم السينمائي عنه:

[https://m.imdb.com/video/vi3503012889?playlistId=tt7485048&ref\\_=m\\_tt\\_ov\\_vi](https://m.imdb.com/video/vi3503012889?playlistId=tt7485048&ref_=m_tt_ov_vi)



# هاريش فيرما

بطل تبسيط وتطوير  
تعليم الفيزياء في الهند

من السهل على كل منا أن ينتقد تعليم مادة ما في مراحل التعليم المختلفة، وأن ينتقد معلمها، وأن ينتقد قدرة الطلاب على استيعابها، ولكن من الصعب أن يجعل أحدها قضية حياته أن يحل تلك المشكلة على كافة مستوياتها، وبكل السبل المتاحة.

وبسبب إنجازه لهذا الصعب، في مادة عسيرة وحيوية في نفس الوقت كالفيزياء وفي بلد شاسع، متنوع كإنديا، استحق الأستاذ الدكتور هاريش تشاندرا فيرما Harish Chandra Verma أستاذ الفيزياء في المعهد الهندي للتكنولوجيا في كانبور أن يصبح بطل تبسيط وتطوير تعليم الفيزياء في الهند، وأن يستحق أن يتم تكريمه بالجائزة الوطنية المعروفة باسم بادما شري Padma Shri لعام 2020، وهي من أرفع الجوائز الهندية التي تمنحها الحكومة الهندية سنويا لأصحاب أبرز الإنجازات في خدمة المجتمع الهندي في يوم جمهورية الهند.

كانت بدايات هاريش مع التعليم غير موفقة، لم يكن مهتما بالتعليم، وكانت أسرته تعاني من أوقات صعبة، وكان التكيف صعبا عليه مع نظام تعليمي في ولاية بيهار الهندية حيث كان يعتمد بالأساس على "حفظ" المقررات عن ظهر قلب، وباءت كل محاولات والده بالفشل في جعله يهتم أو يركز في دراسته. واحتالت والدته الأمية على الأمر وهو في الصف العاشر، بأن حفرتة في أحد المناسبات المشهورة بصناعة الحلوى، بأنه إذا جلس إلى جوارها لمدة ساعة ومعه كتبه وكراساته فإنها سوف تمنحه الحلوى التي يحبها، وفي البداية استغل أميتها في مجرد الجلوس، لكنه شيئا فشيئا بدأ يفتح الكتب ويذاكر تمضية للوقت، ومن ثم تحسنت علاقته بالتعليم والمواد الدراسية وتحسنت درجاته.

بعد ذلك، التحق بكلية باتنا للعلوم، حيث كانت البيئة التعليمية محفزة مع معلمين ذوي كفاءة عالية وبنية تحتية عالية الجودة. ولذلك استطاع إنهاء شهادة البكالوريوس (مع

مرتبة الشرف) في الفيزياء، وبعد ذلك، حصل على درجتي الماجستير والدكتوراه في الفيزياء من المعهد الهندي للتكنولوجيا - كانبور.

عقب إنجازه الدكتوراه التحق بالعمل كمحاضر بكلية باتنا للعلوم، وكان حله فضلًا عن أن يساعد طلابه في الحصول على علامات جيدة، أن ييسر بناء بيئة تعليمية تثير في نفوس طلابه حب الفيزياء، وهو مسعى لا زال مستمرًا فيه حتى يومنا هذا.

قبل تعيينه للعمل في الوظيفة كان هاريش قد تعرف على أشهر كتب تعليم الفيزياء في العالم وهو كتاب ديفيد هاليداي وروبرت ريسنيك، وكما يقول هاريش فإنه أحب الكتاب، لأنه كتاب واضح، و متماسك، وصياغته للمشكلات ممتازة، وقريب الصلة بمناهج الصفوف الحادية والثانية عشرة، لذلك قرر أن يعتبره بداية أساسية جيدة للطلاب الجدد في قسم الفيزياء بالكلية.

وعلى مدار أربع أو خمس سنوات بذل جهودًا مضيئة باستخدام ذلك الكتاب لتحقيق هدفه مع طلاب، من المفترض أنهم من ألمع الطلاب في ولاية بيهار، إلا أنه رغم ذلك لم يستطع أن يجعلهم يفهمون الفيزياء بالطريقة التي يريد.

ومن ثم خرج هاريش من ذلك بأول حكمة في مسيرته التدريسية: "لقد أدركت أنه لا يمكن تدريس العلوم بمعزل عن غيرها، ودون معرفة الحياة التي يعيشها طلابي. وأن الأمر لا يتعلق بالموضوع، أو بنظرية أو بفصل أو بصيغة أو بمفهوم معين. ومن ثم فكما يقول: كان عليه أن يعرف نوع الحياة التي كان طلابه يعيشونها خارج أسوار الجامعة، ومن ثم احتاج إلى إعادة ضبط منهجه في التدريس وفقًا لذلك".

كان واقع حياة طلاب هاريش في كلية باتنا أنهم في أغلبهم قد جاءوا من المدن والبلدات الصغيرة في ولاية بيهار، ومن ثم كان عليه أن يدرس لهم وفقًا للحقائق التي يعيشونها في واقعهم، حتى يكونوا مستريحين في فهم واستيعاب المعرفة التي ينقلها لهم،

ومن ثم، فإنه وإن كان كتاب هاليداي وريسنك كتابا ممتازا، إلا أنه لم يكن متوافقا مع حياة طلابه، وهنا بدأ هاريش يسعى للبحث عن أحد يكون قد صاغ نسخة من كتابهما وبنفس الأصالة والوضوح والتماسك، ولكن بما يتوافق مع حياة الطلاب العاديين في بيهار، ولما لم يجد بغيته، ولما كانت كل كتب الفيزياء التي ألفها هنود، مجرد بيانات وحقائق علمية صماء.

ولما كان ذلك كذلك، كان عليه أن يواجه التحدي وأن يقوم بنفسه بإعداد ذلك الكتاب المدرسي الذي يتناسب مع طلابه، والذي يكون في ذات الوقت أصيلا، وواضحا، ويمس قلوب طلابه، ومن ثم أمضى ثمانية أعوام يعد محتوى كتابه "مفاهيم الفيزياء Concepts of Physics" الذي صدر في مجلدين عام 1992، وصمد وأثبت جودته وحسن قبوله وسط الطلاب طوال كل تلك السنين.

وبحلول عام 1994 كان هاريش قد انتقل للعمل كعضو هيئة تدريس بمعهد التكنولوجيا الهندي- كانبور، حيث كان يتولى تدريس طلاب بكالوريوس التكنولوجيا، وهناك أدرك أن المشكلات المرتبطة بتدريس الفيزياء لم تكن مقصورة على ولاية بيهار، وأنها مشكلة وطنية، وأن طلاب معاهد التكنولوجيا الهندية، والتي كان يلتحق بها أفضل وألمع الطلاب من جميع أنحاء الهند، لكن ما رآه من مشكلات في كلية باتنا، كان يتكرر في طلاب البكالوريوس بالمعهد، وهي انعدام الرابط بين كل ما درسوه سابقا، وبين حياتهم الحقيقية، مما يؤثر على تعلمهم، وأنتك إذا كنت تفهم المفاهيم الأساسية جيدا بما فيه الكفاية، فسوف تستطيع أن تنشئ حلولا جديدة، وأن تبتكر بمفردك، وهو ما كان غائبا عن طلاب السنة الأولى بالمعهد.

كانت المشكلة في الطريقة التي يتم بها تدريس الفيزياء لطلاب الصفوف من التاسع إلى الثاني عشر، والتي كان ينتج عنها مخرجات سيئة. وهكذا، وفي أوائل عام 2002، بدأ التفاعل مع المعلمين من جميع أنحاء الهند، وخاصة أولئك الذين يقومون بتدريس المدارس

الثانوية من خلال الرابطة الهندية لمعلمي الفيزياء (IAPT). عندها قرر إنشاء محتوى للهند بأكمله. فبدأ بتطوير التجارب التي يمكن استخدامها من قبل المعلمين كعروض توضيحية في فصولهم الدراسية، والتي تكون مدتها دقيقة أو دقيقتين والتي يمكن تعديلها في حصة دراسية مدتها 40 دقيقة، وذلك بدلا من الاكتفاء بمجرد الرسوم التوضيحية على السبورة. ومن ثم، فقد قام هاريش حتى الآن بإنشاء ما يقرب من 1000 تجربة للعروض التوضيحية. كما أنه يعقد ورش عمل لمعلمي المدارس مع التركيز على استخدام تدريس الفيزياء القائم على العروض التوضيحية التي تمكن الطلاب من إقامة صلة بين العلم والحياة. كما قام بتدريب أكثر من 8000 مدرس. ووفقا للتعليقات التي تلقاها، فقد قام حوالي 1000 منهم بتغيير نهجهم في التدريس، مما أدى بهم إلى إنشاء تجاربهم التوضيحية الخاصة فضلا عن استخدام تجاربه أيضا.

وفي إطار عمله المستمر في هذا المسار، ينظم هاريش مخيمات تستمر من 5 إلى 7 أيام لتدريب المعلمين في كانبور بشكل منتظم، ومن رحم تلك المخيمات، والورش وما يجري فيها من نقاشات، افتتح 26 معلم معاملهم الخاصة، والتي أطلق عليها اسم "أنفيشيكا Anveshika"، ومع نمو أعداد تلك المعامل، تم في عام 2011 تأسيس الشبكة الوطنية لمعامل الفيزياء في الهند National Anveshika Network of India (NANI) والتي أصبحت برنامجا فريدا تابعا للرابطة الهندية لمعلمي الفيزياء، وفي خلال الأعوام التسعة التي مضت على تأسيس البرنامج، توسع ليغطي 26 مدينة هندية. ويتم قيادة جميع تلك المعامل Anveshikas في الغالب من قبل معلمي المدارس، الذين يقومون بهذا العمل طواعية إلى جانب الوفاء بالمهام التدريسية في مدارسهم، حيث يجدون الوقت للتدريس في تلك المعامل، وإدارتها، ودعوة الطلاب والمعلمين من المدارس الأخرى من أجل تعليم أفضل. ومن عباءة الشبكة نشأ مشروع آخر "اختبار معامل العلوم الوطني للمهارات التجريبية" National Aveshika Experimental Skill Test (NAEST)، وهو حدث سنوي

يستهدف تشجيع ثقافة التجارب العلمية حيث يتم تنظيم مسابقة وطنية للمدارس والكليات، من خلال شبكة المعامل، حيث ينفذ آلاف الطلاب من المدارس والكليات من جميع أنحاء الهند للاختبار كل عام، ويتبارون في تصميم تجارب جديدة وتقوم جميع المعامل الـ 26 بتكرارها في مراكزهم، حيث تخضع للتقييم. وفي الجولات النهائية، لا يحددون أي مهلة زمنية للطلاب لإكمال تجاربهم، ولا يسمح لأي طالب بالمغادرة دون إكمال التجربة وفهم العملية العلمية التي تقف وراءها، والهدف من ذلك هو التأكد من تعلمهم.

اليوم، وعلى الرغم من تقاعده عام 2017، أصبح تركيز هاريش الأخير على تقديم دورات مجانية عبر الإنترنت لطلاب البكالوريوس في المدن الصغيرة والبلدات الواقعة في الحزام الهندي. وتقدم هذه الدورات بعد أن عرض عليه معهد التكنولوجيا الهندي - كانبور بعد تقاعده منصة لإدارة هذه الدورات.

تهدف تلك الدورات إلى تهيئة الجيل القادم من معلمي العلوم، ومن خلال هذه الدورات عبر الإنترنت، يحاول هاريش تسهيل وصول هؤلاء الطلاب إلى التعليم الجيد، وتحفيزهم ليصبحوا معلمين جيدين، وفي الوقت نفسه مساعدتهم على الاستمتاع بالفيزياء.

كانت الدورة الأولى التي قدمها تتعلق بأشباه الموصلات في وقت ما من عام 2017، ولكنها كانت باللغة الإنجليزية، وهي لغة أدرك الدكتور هاريش فيما أنها قد تسبب عوائق أمام التعلم. لذلك، فإنه في العام التالي، قدم ثاني دوراته المجانية على الإنترنت حول نظرية النسبية باللغة الهندية. لقد كانت دورة مدتها ثلاثة أشهر موزعة على 24 محاضرة، كل محاضرة مدتها 30 دقيقة. وقد التحق بها ما يقرب من 18 ألف طالب طرحوا ما يصل إلى 4 آلاف سؤال، وقدم الدكتور هاريش 11 ألف إجابة عليها، أما دورته الثالثة فكانت حول ميكانيكا الكم، وقد التحق بها 29 ألف طالب.

وكما هو الحال في كل حركات من الحركات التي تقدم للناس ما ينفعهم، والتي يصبح الناس شركاء فيها، فإنها لا بد لها من أن تسلك لمنتهاها في مسارين:

- مسار ترتقي فيه الأفكار التطبيقية على سلم الإبداع في تحقيق الغاية منها.
- مسار الوصول إلى الشعيرات الدموية الاجتماعية وأعني بذلك أن تصل بأكسجين وغذاء النفع إلى أبعد مدى في نهاية سلم المجتمع، وأبعد مدى في مسارات خريطته الجغرافية، وأعني بذلك أن تصل إلى الفقراء في القرى والأحياء الفقيرة.

وعلى هذا النهج سارت حركة تبسيط وتقريب الفيزياء، وإذا كان الدكتور هاريش فيرما قد قاد عملية التطور الفكري الإبداعي، ثم شاركه بعد ذلك المعلمون.

إلا أن مسار الوصول إلى شعيرات المجتمع قاده طلاب معهد التكنولوجيا الهندي - كانبور، عبر مبادرتهم "شيشكا سوبان Shiksha Sopan"، والتي تسعى إلى مساعدة الأطفال المحرومين الذين يعيشون في القرى المحيطة بالحرم الجامعي. ويشاركهم في مبادرتهم أستاذهم هاريش فيرما، حيث يقدم الطلاب المتطوعون دروساً في مراكز التعلم الخاصة بهم. ويوفرون برامج للمنح الدراسية بحيث يكون للأطفال ما يكفي من المال لشراء الكتب والقرطاسية والزي المدرسي.

هل لنا في أساتذة جامعات مثل هاريش فيرما في بلادنا يهتمون بتبسيط وتطوير طرق تدريس موادهم لكل من طلاب المدارس والجامعات، ويقودون نهضة معرفية عبر بوابات تخصصاتهم؟

لمصدر المعلومات والمزيد منها طالع:

<https://www.thebetterindia.com/213974/padma-shri-hc-verma-physics-book-iit-kanpur-education-india/>

[https://en.wikipedia.org/wiki/Padma\\_Shri](https://en.wikipedia.org/wiki/Padma_Shri)

وطالع موقعه على الإنترنت:

<http://www.hcverma.in/>

وموقع مبادرة شيكشا سوبان:

<https://shiksha-sopan.org/Contribution>



المعلم الذي لا يستقل بالإحسان والابتكار والإبداع في عمله، ليقوم بالمهمة المقدسة لتعليم الناس الخير، وليس لتحصيل التلاميذ الدرجات العليا فحسب. والنظام الذي يسمح للمدارس بأن يكون لها أسلوبها الخاص والمبدع في التعليم، فتخرج كوامن الإبداع ممن يريد أن يفعل ذلك منهم.

تلك كانت هي المعادلة التي هيأت الظروف للمعلم محمد علي Muhammad Ali المدير التنفيذي للمدرسة الإعدادية الحكومية التي تقع في قرية كاريث شارجول Karith Shargole النائبة التي تقع في منطقة كارجيل، التابعة لإقليم لاداخ Ladakh والذي يقع في شمال الهند في منطقة مرتفعات الهيمالايا، لكي يتميز في عمله، ويتأهل للحصول على الجائزة الوطنية للمعلمين National Teachers Award والتي أعلنت عنها وزارة التعليم الهندية في الخامس من سبتمبر 2021 الجاري على حسابها على تويتر.

في التقرير المنشور عنه على موقع "ذا بتر إنديا The Better India" بتاريخ 18 سبتمبر 2021، يقول محمد علي "لا يقتصر هدفي كمدرس على مساعدة الطلاب في الحصول على درجات عالية في الامتحانات، أريدهم أن يتعلموا مدى الحياة. أريدهم أن يكتسبوا المعرفة والمهارات التي يمكن أن تكون مفيدة لهم حتى وهم بالغين. أيضا، لا أعتقد أننا يجب أن نمارس الضغط على أطفالنا بسبب العلامات. هذه ليست طريقة للتعلم حقا. مضيفا أنه في النهاية "لا يمكن لكل طفل أن يأتي في المرتبة الأولى في الفصل".

ولد محمد لعائلة من منطقة شانشيك Chanchik في منطقة كارجيل Kargil، ودرس في مدارس حكومية محلية قبل أن يكمل تخرجه في كلية أمار سينغ، في جامو. وبعد التخرج، قام بالتدريس في مدرسة خاصة محلية لمدة عامين قبل أن يتم تعيينه كمدرس في مدرسة حكومية في عام 2006.

أثناء توليه مسؤولياته كمدرس في المدرسة الحكومية، حصل على ماجستير في العلوم البيئية، وماجستير في اللغة الإنجليزية وماجستير في التعليم، كل ذلك من خلال التعلم عن بعد. ويعترف محمد - وهو ابن مصور بقسم المعلومات المحلي - بأنه "لم يكن الطالب اللامع" ولكنه عاش في عائلة كان الشغف بالأكاديميين يلوح في الأفق فيها بشكل كبير، وهذا ما دفعه للسعي وراء التعليم العالي حتى بعد حصوله على وظيفة. وبعد 10 سنوات من الخدمة في أجزاء مختلفة من لاداخ، تم تعيين محمد في منصبه الحالي في المدرسة الإعدادية الحكومية في كاريث في عام 2016.

يتذكر محمد أنه عندما وصل إلى هناك لأول مرة، كان هناك العديد من أوجه القصور الأساسية المرتبطة بالمدارس الحكومية مثل الحالة السيئة للفصول الدراسية، ومستويات التعلم ضعيفة، ونجل الأطفال الشديد حين التعبير عن أنفسهم، والثقة المتدنية بالنفس لديهم مع الضعف الأكاديمي وخاصة في مهارات القراءة والكتابة لديهم.

ولحل مشكلات المدرسة طور محمد طرقا تعليمية مثيرة للاهتمام: كانت إحدى أولى القضايا التي سعى إلى معالجتها هي الافتقار إلى الثقة والاستعداد والمهارات في قراءة اللغات الإنجليزية والأردية. ويشير إلى أن هذه اللغات غالبا ما كان يتم تدريسها عن طريق الترجمة إلى اللغة المحلية، ثم يتم تقديم الأسئلة والأجوبة المكتوبة في نهاية كل فصل. بينما جعلت اللغات للتحدث بها وكتابتها وتعلمها.

لذلك، قرر بالتعاون مع المعلمين تجديد طريقة تدريس اللغات، حيث بدأوا بالحصول على كتاب دورة Rapidex للتحدث باللغة الإنجليزية، وقرروا تطوير منهج تعليمي باستخدام الدروس الموجودة فيه. وتم تعليم الأطفال الصغار أساسيات اللغة الإنجليزية المنطوقة وكما ارتفعت الدرجة زاد التعقيد. أيضا، من أجل تحسين النطق خلال الفترة المبكرة من ولايته، قام أيضا بتدريس الصوتيات الأساسية للطلاب والمعلمين. وقد تم ذلك من خلال قضاء 5 دقائق فقط في اليوم أثناء التجمع الصباحي لمدة شهرين تقريبا في عام 2016.

واليوم، ينظم في كل يوم دراسي درسا مدته 25 دقيقة للغة الإنجليزية والأردية بالإضافة إلى الفصول التقليدية الأخرى. إلى جانب تعليمهم اللغة الإنجليزية المنطوقة، يقوم المعلمون تحت إشرافه بإجراء مجموعة متنوعة من الأنشطة المرتبطة بتعلم اللغة مثل المسرحيات القصيرة وغيرها. كما يطلب المعلمون من جميع الطلاب الـ 41 المسجلين في المدرسة إجراء عروض تقديمية باللغة الإنجليزية في التجمع الصباحي أيضا. حيث خصصوا كل صباح لفصل واحد، حيث سيقدم طلاب الفصل عرضا تقديميا أثناء التجمع.

ونظرا لأن كل الاجتماع صباحي تم تخصيصه لفصل واحد، كان لدى الطلاب وقت لإعداد وممارسة عروضهم التقديمية. في البداية، وجد الطلاب ذلك غريبا، لكن في الوقت الحالي، وفي كل صباح مدرسي يقدمون مجموعة متنوعة من الموضوعات أو القصص إما باللغة الإنجليزية أو الأردية.

المبادرة الأخرى من محمد علي توجت إلى الموضوعات التي يعاني الطلاب من صعوبتها. أحد الأمثلة على ذلك هو تعلم العناصر وأعدادها الذرية في الجدول الدوري. وكان ما فعلوه هو تعيين عنصر في الجدول الدوري ورقمه الذري لكل طالب. وطلب من جميع الطلاب حفظ العنصر والأرقام الذرية المخصصة لهم.

وقبل التجمع الصباحي، أثناء أخذ الحضور، وبدلا من استدعاء أرقام قوائم الفصل، سيعلم المعلمون عن أرقامهم الذرية على أن يستجيب الطلاب باسم العنصر المحدد لهم. ومع استمرار المعلمين في تكرار هذا التمرين كل يوم، سرعان ما يتذكر الطلاب من كل من المدارس الابتدائية والمتوسطة أسماء العديد من العناصر والأرقام الذرية الخاصة بكل منها. وقد أجروا تمارين مماثلة لمساعدة الطلاب على تذكر أسماء الولايات الهندية وعواصمها ومواضيع أخرى.

كانت المبادرة الثالثة التي قاموا بها هي بناء تكوين جليدي اصطناعي (قبا جليدية ice stupa) خلال العطلة الشتوية في كاريث حتى يواصلوا التعلم خلال الموسم. حيث كان

الطلاب في السابق يعودون من إجازاتهم الشتوية التي تبلغ ثلاثة أشهر متناسين الكثير مما تعلموه ويفقدون التواصل مع عملية التعلم. ولمعالجة هذه المشكلة والتأكد من أن الطلاب يحافظون على درجة معينة من الاتصال بالمدرسة، قرروا الشروع في مشروع بناء تكوين جليدي اصطناعي، وتهدف هذه التكوينات للحفاظ على الجليد المتكون خلال فصل الشتاء لاستخدامه من قبل أهل القرية في الفصول التالية في الري.

كان أول تكوين جليدي اصطناعي شيدوه في شتاء عام 2016. لكنه "فشل لحسن الحظ" كما يقول المعلم محمد علي، لأن هذا الفشل أجبرهم على المحاولة مرة أخرى في العام التالي. وفي شتاء عام 2017، شيد الطلاب تكويناً جليدياً صناعياً بارتفاع أكثر من 12 متر، وسرعان ما وصلت الأخبار عن مشروعهم إلى الناشط الاجتماعي والتربوي المعروف سونام وانغتشوك Sonam Wangchuk، الذي ابتكر وأشاع هذه الهياكل في منطقة له Leh عاصمة لاداخ، والذي كافأهم بمنح المدرسة 100 ألف روبية ساعدتهم في إصلاح حالة المدرسة.

كما تم تكريم المدرسة عام 2018 من قبل وزارة الموارد المائية لدورهم في بناء القباب الجليدية، وفي عام 2019 عندما بلغت القبة الجليدية التي بناها الطلاب والمعلمون أكثر من 22 متراً، تم تكريمهم بجائزة الحفاظ على المياه والتي بلغت قيمتها 200 ألف روبية، حيث استمرت القبة حتى شهر أغسطس من عام 2020 مما سمح للمزارعين بري حقولهم.

لكن المبادرة الابتكارية الأهم للمعلم محمد علي كانت في مفهوم الفصول الدراسية الخاصة بالموضوع والتي بدأها عام 2018، حيث لا تحتوي مدرسته على صفوف دراسية بالمعنى التقليدي - بل على فصول دراسية خاصة بالموضوع. حيث يذهب الطلاب إلى فصول مختلفة ليم تدريسهم من قبل معلم المادة المعنية باستخدام مواد التدريس والتعلم ذات الصلة (TLM).

ومع الفصول الدراسية الخاصة بالموضوع، يتوفر للأطفال خيار ليس فقط من خلال مواد التدريس والتعلم الخاصة بهم، ولكن أيضا الخاصة بالصفوف العليا. لن تجعل هذه الفصول الدراسية الخاصة بالموضوع الطلاب على دراية بمواد التدريس والتعلم للصف الأعلى فحسب، بل ستعمل أيضا كمنصة حيث يمكن للأطفال مراجعة دروس الصف السابق.

وكما يشير محمد علي في نفس التقرير فإن "هذه الفصول الدراسية من الصف الأول إلى الصف الثامن جذابة ومحفزة وبالتالي تعزز فهم الطالب للمواد الخاصة بهم. وقد تم تجربتها في عام 2016، تضم المدرسة اليوم 9 مدرسين و10 فصول دراسية خاصة بالموضوع للدراسات الاجتماعية والعلوم واللغة والألعاب والرياضيات والأردية والفصول الذكية والمكتبة وغيرها.

ويضيف محمد "يأخذ كل مدرس مادة هذا الموضوع على عاتقه، ويطور مواد التدريس والتعلم الخاصة به ويبدأ في النهاية في تحمل المسؤولية الكاملة للحفاظ على الفصول الدراسية الخاصة بالموضوع".

وخلال عامي 2020 والنصف الأول من 2021 وبسبب كوفيد-19 كان هناك تحدي كبير أمام أطفال المدارس في القرى التي لا يوجد بها اتصال بالإنترنت تقريبا وقليل من الاستعداد لما سيأتي، لذا يعترف محمد علي أن معظم عام 2020 كان بمثابة عملية فاشلة لطلابه دون أي تعلم.

وفي 15 فبراير 2021، سمحت الإدارة بإعادة فتح المدارس في الأماكن التي لا يوجد بها اتصال عبر الإنترنت. يقول "عندما انفتحنا لفترة وجيزة، أدركنا أن إغلاق المدارس لمعظم عام 2020 كان له تأثير مدمر على تعلمهم، مع ذلك، ومع الموجة الثانية، تم إغلاق المدارس مرة أخرى في مارس وأبريل. وآثر محمد والمعلمون ألا يبقوا مكتوفي الأيدي هذه المرة. فقاموا بتصميم مهام أسبوعية للطلاب، وطلب من المعلمين الذين يعيشون بالقرب

منهم تسليمها في نهاية كل أسبوع إلى منازل الطلاب القريبة من سكنهم. ونظرا لمتطلبات التباعد الاجتماعي، كان الطلاب يحضرون مهامهم الكتابية إلى البوابة، ويلتقط المعلمون صوراً لهم، ويتحققون منها ويقدمون تقييماتهم.

يقول محمد " كانت هذه طريقتنا في الحفاظ على مشاركة الطلاب"، وقد استمر هذا لمدة شهرين تقريباً، قبل أن تبدأ فصول المجتمع في المروج والمراعي والأراضي القاحلة في قرى مختلفة بالتعاون مع منسق القرية المعين من قبل إدارة التعليم والمجتمع التعليمي في القرية.

خلاصة الأمر، أننا أمام معلم مثابر ومدير مدرسة مبدع، كانت مهمته الأولى بث الثقة في نفوس طلاب مدرسته قبل أي شيء وإكسابهم معارف ومهارات تساعد في الحياة، وتطوير أساليب تعليمية تعبر بهم الصعوبات، وأنشطة إبداعية خارج جدران المدرسة تبث فيهم روح المشاركة والمسئولية الاجتماعية وتزيد من الروابط بين المعلمين والطلاب حتى في أيام العطلات والأزمات.

فتحية لهذا المعلم والمدير والقائد المجتمعي، وتحية لفريقه من المعلمين الذين استجابوا له، وكانوا عوناً له في خطته الإبداعية بالرغم من أنهم في النهاية معلمين في مدرسة حكومية في قرية نائية.

لمصدر المعلومات والمزيد منها طالع تقرير ذا بتر إنديا:

<https://www.thebetterindia.com/262508/ladakh-kargil-government-school-unique-teacher-national-award-muhammad-ali/>

وتويته وزارة التعليم الهندية عن منحه الجائزة الوطنية للمعلمين:

[https://twitter.com/eduminofindia/status/1434487699176661000?ref\\_src=twsrc%5Etfw&lang=bg](https://twitter.com/eduminofindia/status/1434487699176661000?ref_src=twsrc%5Etfw&lang=bg)

# نجاتيلا سریداران

الحالم بالكلمات ورحلة الشغف  
والإرادة والصبر على مدى ربع قرن

يقال كثيرا إن الهند بلد العجائب، وعجائب الهند لا تأتي فقط من تنوع الأديان واللغات والعادات والتقاليد لشعب يناهز المليار و400 مليون نسمة فقط. ولكن لعجائب النماذج البشرية التي تخرج من هذا الثراء الثقافي والاجتماعي.

من بين تلك القصص المثيرة للإعجاب قصة ذلك الرجل الثماني المتسرب من التعليم من أهالي كيرالا "نجاتيلا سریداران Njattyela Sreedharan" والذي عكف خمسة وعشرين عاما ليخرج قاموسا فريدا بأربع من اللغات المحلية للجنوب الهندي.

لتقدير حجم الإنجاز الفريد كما يحكي قصته موقع "ذا بتر إنديا The Better India" علينا أن نعرف أن أول قاموس أنتج لإحدى تلك اللغات الأربع (وهي اللغة المالاياامية)، أنجزه العالم اللغوي الألماني هيرمان جوندردت Hermann Gundert عام 1872، وبعد ما يقرب من 150 عام جاء هذا الرجل الهندي البالغ من العمر 83 عاما، ونشر قاموسا بأربع لغات رئيسية في جنوب الهند، وهي اللغات المالاياامية والتاميلية والتيلوجو والكانادا، ويحتوي هذا القاموس الضخم على مليون و250 ألف كلمة، حيث يوجد لكل كلمة في المالاياامية الكلمة المقابلة لها في اللغات الثلاث الأخرى.

كان هذا عمل حياته، عشقه وحبه، حيث استثمر أكثر من 25 عاما في تجميعه بشق الأنفس، في مسقط رأسه في تالاسيري بولاية كيرالا. والجدير بالذكر هنا أن هيرمان كان أيضا في تالاسيري عندما ألف معجمه قبل كل تلك السنوات!

يقول نجاتيلا "أعتقد أن روحه (روح هيرمان) دخلت جسدي وجعلتني أعمل في هذا المشروع". الأمر الأكثر إثارة للدهشة هو أن نجاتيلا لم يكمل حتى التعليم الرسمي، حيث ترك المدرسة عندما كان في الصف الرابع، لكن شغفه بالكلمات هو الذي دفعه إلى تحقيق ذلك.

ولد نجاتيلا عام 1938، وبعد أن ترك المدرسة في الصف الرابع، التحق بالعمل في مصنع للسجائر، وخلال عمله بذلك المصنع التحق بالامتحان القياسي العام الثامن Eighth Standard Public Examination بعد الدراسة من المنزل، واجتازه بنجاح، ومن ثم حصل على وظيفة في دائرة الأشغال العامة، وعلى الرغم من أنه كان يعمل على القاموس منذ عام 1984، إلا أنه لم يستطع التفرغ له إلا بعد خروجه على المعاش عام 1994، فانكب على العمل فيه، وكما يقول: "كنت أقضي ساعات في غرفتي أسكب الكلمات وأعمل عليها. لقد منحني الكثير من الرضا والسعادة".

وعلى الرغم من أنه لم يكن قد تحصل على الكثير من التعليم الرسمي، فقد كان دائماً ما يستمتع بالقراءة وكان دائماً يختار كتباً ممتعة. كما أنه أحب أيضاً السفر ومقابلة أشخاص من أماكن مختلفة والتفاعل معهم، كما تعلم اللغات الإقليمية الأربع لجنوب الهند بمفرده من مخالطته للناس.

يقول نجاتيلا: "ساعدني التفاعل مع السكان المحليين في هذه الأماكن على تعلم الفروق الدقيقة في هذه اللغات". و"بمجرد أن علم الناس بشغفي، انفتحوا علي. وفي كل مكان سافرت إليه، كنت دائماً موضع ترحيب وكان الناس دائماً فضوليين ومستعدين للمساعدة في عملي التجميعي".

ويذكر نجاتيلا كيف كان يجد أحيانا بسهولة معنى كلمة في لغتين من اللغات الأربع ولا يهدأ حتى يتمكن من العثور عليها كلها. يقول: "غالبا ما أصحح الأخطاء في القواميس التي كانت شائعة الاستخدام".

يتحدث عن كيف كان يجد أحيانا معنى كلمة معينة في لغتين ويكافح للعثور على معناها في لغتين أخريين، ويضرب مثلا بـ "إحدى هذه الكلمات التي جاهد معها كانت في العثور على كلمة تيلوجوية مكافئة لـ "vayambu"، وتعني نبات الأيورفيدا في المالايالامية. حيث استغرق الأمر منه ما يقرب من ست سنوات للعثور عليه".

وكانت هناك العديد من لحظات اليورিকা التي يعترف بها نجاتيلا "إنها مثل لعبة وكان التشويق في إيجاد المعنى في جميع اللغات الأربع لا مثيل له. كانت هناك حالات جاءت فيها كلمة المعنى في المنام وكنت أقفز من السرير حرفيا لتدوينها".

وفي حين أن مثل هذه الدراسات المقارنة تتم عادة من قبل الجامعات والباحثين، شرع نجاتيلا سريداران في هذه الرحلة بمفرده دون أي دعم مالي على الإطلاق. يقول: "كان من الصعب جدا العثور على ناشر. لقد زرت العديد من دور النشر والمؤسسات الخاصة ورفضت جميعها".

كان المخرج الوثائقي الشاب، ناندان، هو الذي قرر تصوير حياته ونضالاته في فيلمه الوثائقي "الحلم بالكلمات Dreaming of Words". في الفيلم، يسلط ناندان الضوء على الصعوبات التي واجهها سريداران عندما كان يبحث عن ناشر.

وبعد العديد من التقلبات، شهد القاموس أخيرا النور في نوفمبر 2020 في 900 صفحة، وذلك عندما أثمرت الجهود الجماعية لمنتدى المواطنين كبار السن في ولاية كيرالا Senior Citizens Forum in Kerala. تم الانتهاء من العمل في الفيلم الوثائقي قبل انتشار الوباء مباشرة وتم عرضه في العديد من المهرجانات السينمائية في جميع أنحاء العالم.

الجميل في هذا الإنجاز هو الشغف والنهم المعرفي الذي قال عنه الإمام علي رضي الله عنه: منهومان لا يشبعان: طالب علم، وطالب مال. لكن الشغف وحده لم يكن يكفي لأن تسير مركبة الإنجاز إلى نهايتها رغم الصعوبات والمعوقات وربما الأمور المحبطة، إلا أن تكون مصحوبة بالإرادة، والدأب والإصرار والصبر، كما تعلمنا قصة موسى والخضر.

لمصدر المعلومات والمزيد منها طالع موقع ذا بتر إنديا:

<https://www.thebetterindia.com/246205/83-yo-kerala-school-dropout-creates-unique-dictionary-in-4-south-indian-languages-vid01/>

وشاهد موجز الفيلم الوثائقي "الحلم بالكلمات"

<https://filmfreeway.com/DreamingofWords>



# ماك وزارا رذرفورد

أصغر طيارين يطوفون حول العالم  
بمفردهم

كلها كانت الفرص التي نتاح للصغار في أمة من الأمم لإثبات ذواتهم وتحقيق أحلامهم، والانطلاق في مساحات جديدة كلما كان مستقبل هذه الأمة واعداً، وكلها كانت أعمار هؤلاء الصغار أصغر، كلما دل ذلك على مدى الحرية في البيئة التي يعيش فيها هؤلاء.

اليوم - الجمعة 20 مايو 2022 - طالعت على إحدى صفحات الفيسبوك خبراً على وصول اليافع البريطاني البلجيكي الأصل ماك رذرفورد Mack Rutherford ذو الستة عشر عاماً إلى مصر، رحلة ماك كان قد بدأها في مارس من نفس العام من العاصمة البلغارية صوفيا عابراً البحر الأبيض المتوسط إلى الصحراء الأفريقية، وصولاً إلى مطار أكتوبر للرياضات الجوية في مصر قادماً من مطار برج العرب وقاصداً مطار الأقصر، وذلك في إطار رحلة جوية يقوم بها منفرداً في طائرة رياضية خفيفة بقصد تحطيم الرقم القياسي على موسوعة جينيس لأصغر شخص يطوف حول العالم بمفرده على متن طائرة.

ويعتزم ماك في رحلته زيارة 52 دولة في 5 قارات كما أعلن على موقعه ماك سولو MackSolo، يقول ماك "عشت حياتي كلها في بلجيكا، وقد عرفت على وجه اليقين أنني أريد الطيران منذ أن كنت في الحادية عشرة من عمري، بعد أن سافرت لمئات الساعات مع والدي، وهو طيار محترف. وعندما كان عمري خمسة عشر وثلاثة أشهر، استلمت رخصة طيار لطائرات خفيفة الوزن، مما جعلني في ذلك الوقت أصغر طيار في العالم، ومنذ ذلك الحين، قمت أيضاً برحلتين عبر المحيط الأطلسي".

وعن هدفه من رحلته يقول ماك "أريد أن أغتنم هذه الفرصة لمقابلة الشباب على طريقي الذين يقومون بأشياء لا تصدق، ويحدثون فرقاً في مجتمعاتهم أو حتى في العالم، والذين يعرف القليل من الناس عنهم في كثير من الأحيان. مختتماً كلامه بالقول: "معا يمكننا أن نظهر أن الشباب يحدثون فرقاً".

ماك لم يكن الوحيد في الأسرة، فقد سبقته أخته زارا رذرفورد Zara Rutherford والتي كان عمرها 19 عاما عندما أتمت رحلتها حول العالم في طيران منفرد كما أشار تقرير لموقع البي بي سي في 20 يناير 2022، وكما أفاد التقرير فقد حطت زارا في مطار كورتيك ويفيلجيم في بلجيكا متأخرة شهرين عن الموعد الذي كان مخططا لعودتها من رحلتها، وذلك بسبب تعطلها في بعض محطات الرحلة التي بدأت في 16 أغسطس 2021، وطارت فيها مسافة 51 ألف كم، وهبطت خلالها في 60 محطة في 5 قارات. كانت أصغر امرأة قامت برحلة مماثلة قبل ذلك هي الأمريكية شيبستا ويز Shaesta Waiz عام 2017 وكانت تبلغ 30 عاما، بينما الرقم المسجل للرجال هو للبريطاني ترافيس لودلو Travis Ludlow والذي قام بالرحلة أيضا خلال عام 2021 وعمره 18 و150 يوم.

ربما يرى البعض في الأمر نوعا من العبث غير الهادف، لكنني أرى فيه إذكاء لروح التحدي والمغامرة التي تستصغر الصعاب، وتجعل القوم يرتادون أصعب البيئات برا وبحرا وجوا، ويتنافسون في ذلك، وكأنهم هم المخاطبون بـ"السير في الأرض"، والذي لا بد له من أدوات ومهارات وكفاءات وروح قتالية لا تثأق إلا من خلال مثل تلك المنافسات.

لمصدر المعلومات والمزيد منها:

طالع موقع ماك سولو:

<https://macksolo.com/>

وطالع خبر الفيسبوك:

<https://www.facebook.com/Elfaslaonline/posts/5800762979991369>

وطالع تقارير البي بي سي عن ماك وزارا:

<https://www.bbc.co.uk/news/uk-england-hampshire-60849537>

<https://www.bbc.co.uk/news/uk-england-hampshire-59899980>

وعن ترافيس لودلو:

<https://www.bbc.co.uk/news/uk-england-beds-bucks-herts-57641567>

## التعريف بالكاتب

### مجدي علي سعيد

- كاتب ومحرر وباحث من مواليد حي السيدة زينب بالقاهرة عام 1961
- تخرج من كلية الطب، جامعة القاهرة، عام 1986.
- حصل على دبلوم الدراسات الأفريقية من قسم الأنثروبولوجيا - معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، عام 1996.
- المحرر العلمي لموقع الجزيرة.نت من ديسمبر 2018 حتى ديسمبر 2023.
- مستشار تحرير موقع كلافو من أبريل 2016 إلى سبتمبر 2017.
- عضو فريق مراقبة الجودة - قناة العربي الفضائية من أغسطس 2016 إلى يناير 2018.
- رئيس تحرير الطبعة العربية لمجلة نيتشر من أغسطس 2012 حتى نهاية مارس 2016.
- مدير قسم البحوث - شركة نيوميديا لإنتاج الأفلام الوثائقية - من يناير حتى يوليو 2012.
- مدير تحرير قسم نماء - موقع أون إسلام - النسخة العربية - مؤسسة مدى للتنمية الإعلامية، أغسطس 2010 - أغسطس 2011
- عمل لمدة عشر سنوات كاتبا ومحررا في موقع إسلام أون لاين 2000 - 2010
  - المحرر العلمي: 2000 - 2001.
  - رئيس القسم الثقافي والعلمي: 2002 - 2004.
  - مدير تحرير صفحة "ساحة مناهضة الحملة الأمريكية": 2003.
  - رئيس وحدة البحوث والتطوير: 2005 - 2006.
  - رئيس تحرير تنفيذي موقع المرأة والأسرة: أحد مشاريع إدارة المشاريع الخارجية بإسلام أون لاين: 2007.
  - رئيس تحرير تنفيذي القسم التنموي: 2008 - مارس 2010.

- عضو مجلس الرابطة العربية للإعلاميين العلميين منذ يوليو 2006 حتى نهاية 2012، رئيس الرابطة العربية للإعلاميين العلميين 2009 – 2010.
- عضو نقابة الصحفيين البريطانية منذ عام 2015.
- نشرت له الكتب والبحوث التالية:
  1. الانتخابات الطلابية في الجامعات المصرية العام الجامعي 88-1989، نشر عام 1989 بالاشتراك مع آخرين.
  2. ألبانيا بين الآمال والمخاطر، مركز الإعلام العربي، 1994
  3. لجنة الإغاثة الإنسانية مناخ النشأة وعوامل انتهاء الدور، بحث في إطار ندوة الإسلاميون والمجتمع المدني، المركز الدولي للدراسات، 2001، منشور موجزا في نشرة إسلام 21.
  4. تجربة بنك الفقراء، الطبعة الأولى عن مركز يافا للدراسات والأبحاث بالقاهرة عام 1999، والطبعة الثانية عن الدار العربية للعلوم في بيروت عام 2007، وصدرت طبعته الإلكترونية الأولى في مايو 2018.
  5. دليل الإعلامي العلمي العربي (محرر ومشارك)، لجنة النشر بالرابطة العربية للإعلاميين العلميين، 2008.
  6. الإمام الشيخ محمد عبده والجمعيات الأهلية، بحث منشور في الإمام محمد عبده مائة عام على رحيله 1905 – 2005، دار الكتاب المصري واللبناني، 2009. ونشر ككتاب مستقل بعنوان: العمل الأهلي حياة الأمة. تجربة الإمام محمد عبده، 2009، ونشرت الطبعة الإلكترونية الأولى منه عام 2018.
  7. تأملات قرآنية في الإصلاح والنهضة، المركز الحضاري للدراسات المستقبلية بالقاهرة، 2009، ونشرت الطبعة الإلكترونية الأولى (وهي طبعة ثانية مزيدة ومنقحة) عام 2018.

8. حركة التعاونيات.. الطاقة التنموية المهذرة، دار البشير، نوفمبر 2009، ونشرت الطبعة الإلكترونية الأولى عام 2018 (وهي الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة وبعنوان جديد هو: حركة التعاونيات أداة النهضة التنموية).
9. من سير صناعات الحياة، دار البشير، 2009، الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة عن مؤسسة اقرأ، 2013.
10. التعليم مشروع الأمة.. عبرة الماضي والحاضر وآفاق المستقبل، المركز الحضاري للدراسات المستقبلية، 2010.
11. العلوم والتكنولوجيا.. أفكار وتجارب في التغيير والنهضة، المركز الحضاري للدراسات المستقبلية، 2010.
12. مؤمنون على طريق التنمية (مشاركة مع عبد الله الطحاوي) – مؤسسة مواطنون من أجل التنمية – أغسطس 2010.
13. ثلاث دراسات تقديمية لكتب: "طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد" لعبد الرحمن الكواكبي، و"الإسلام دين الفطرة" لعبد العزيز جاويش، و"المسئلة الشرقية" لمصطفى كامل، في إطار مشروع "في الفكر النهضوي الإسلامي"، مكتبة الإسكندرية، دار الكتاب المصري واللبناني، 2011، و2012، وقد نشرت تلك الدراسات مجمعة في كتاب إلكتروني بعنوان: في سبيل النهضة والاستقلال.. قراءة في الأسس المعنوية من خلال ثلاثة كتب، وذلك في عام 2018.
14. المفاتيح المكسورة.. رحلة البحث عن الذات والمشروع، دار أكتب، 2011.
15. فسيفساء.. تجارب إنسانية في التنمية والنهضة، دار أكتب، 2011.
16. نقاط مضيئة.. خمسون شمعة مضيئة في حياتنا (الجزء الأول) – كتاب إلكتروني – 2015.
17. نقاط مضيئة.. خمسون شمعة مضيئة في حياتنا (الجزء الثاني) – كتاب إلكتروني – 2016.

18. نقاط مضيئة.. أربعون شمعة مضيئة في حياتنا (الجزء الثالث) – كتاب إلكتروني – 2017.
19. قصص ومعان.. هوامش على متون 50 حياة – كتاب إلكتروني – 2018.
20. شعاع من الماضي.. ملامح مشروع النهضة 1890 – 1920 – كتاب إلكتروني – 2018.
21. 100 فكرة بسيطة ومبتكرة من أجل عالم أفضل، كتاب إلكتروني – 2018.
22. نحو حلف فضول معاصر.. هوامش على متون مناهضة الحرب والعولمة، كتاب إلكتروني، 2018.
23. المنظومة الصحية المصرية.. نظرات عابر سبيل، كتاب إلكتروني، 2018.
24. التنصير والدعوة.. مسارات الخطوط المتوازية، كتاب إلكتروني، 2018.
25. قصص ومعان.. هوامش على متون 50 حياة (الجزء الثاني)، كتاب إلكتروني، 2019.
26. رواد صغار.. 50 قصة في الريادة الاجتماعية تحت 18، كتاب إلكتروني، 2021.
27. نحو حلف فضول معاصر (2) المتضامنون مع فلسطين ونضالاتهم ضد العدوان الإسرائيلي والنفوذ الصهيوني، كتاب إلكتروني، 2021.

يمكن التواصل معه على البريد الإلكتروني:

[Magdy.said1961@gmail.com](mailto:Magdy.said1961@gmail.com)

الصفحة الرسمية على الفيسبوك:

<https://www.facebook.com/Dr.magdysaid/>

المدونة الخاصة:

<https://drmagdysaid.wordpress.com/>